جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

كلية الآداب
Faculty of Arts

ISSN: 1858 - 89 48 ردمك

## مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة أم درمان الأهلية بالشراكة مع
دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السودان

# العدد الأول

مجلة آداب جامعة أم درمان الأهلية علمية دولية محكمة - العدد الثاني ربيع الأول 1443هـ - مارس 2021م

ISSN: 1858 - 89 48 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة آداب Adab Journal
الناشر : دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي
الخرطوم - السودان.
ردمك: 1858-8948
للتواصل: جوال : 00249 918109938 - 00249911232253

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية



## هيئة التحرير

المشرف العام

د. فتح العليم عبد الله

رئيس هيئة التحرير

د. هالة أبا يزيد بسطان محمد

سكرتير التحرير

د. آدم أحمد آدم عجيل

أعضاء هيئة التحرير

د. مصعب أبوبكر أحمد إسماعيل

أ. راوي عمر إسحق محمد

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر

## الهيئة العلمية و الإستشارية

| | |
|---|---|
| ـ بروفسور يوسف فضل حسن | السودان |
| ـ بروفسور عمر حاج الزاكي | السودان |
| ـ بروفسور صلاح الدين الفاضل أرسد | السودان |
| ـ بروفسور علي صالح كرار | السودان |
| ـ بروفسور كرار أحمد بشير العبادي | السودان |
| ـ بروفسور جبارة عبدالله محمد الحسن | السودان |
| ـ برفسور أحمد بن بو جمعة | الجزائر |
| ـ بروفسور محمد يزيد سالم | الجزائر |
| ـ بروفسور محمد يسن الشكري | العراق |
| ـ بروفسور محمد زروق الحسن | السعودية |
| ـ بروفسور حاتم الصديق محمد أحمد | السودان |
| ـ دكتور الصديق عمر الصديق | السودان |


الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

# شروط وضوابط النشر بمجلة آداب

ترحب مجلة (آداب) بمساهمات الكتاب والمفكرين العلمية المبتكرة وعرض الكتب مع تغطية المؤتمرات العلمية وتلخيص ما جاء فيها من توصيات وذلك بإحدى اللغات العالمية الحية - اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وذلك وفق القواعد الآتية:

1. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو أجيز للنشر في مجلة أخرى.
2. أن يكون عنوان البحث مختصراً ومعبراً عن موضوعه.
3. ألا تقل عدد كلمات البحث عن خمسة ألف كلمة ولا تزيد عن ثمانية ألف كلمة وجوباً.
4. يتصدر البحث مستخلصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، وفي حالة الأبحاث باللغة الفرنسية، يكون المستخلص بذات اللغة والآخر باللغة العربية، يشمل المستخلص أهمية الموضوع ومحاوره أو مباحثه ومنهجه وأهم النتائج والتوصيات إن وجدت (لا تزيد عدد كلمات المستخلص عن مائتين وخمسين كلمة ولا تقل عن المائتين كلمة بعد تضمين الكلمات المفتاحية أسفل المستخلص فيما لا يزيد عن خمس كلمات وجوباً).
5. أن يتصدر البحث مقدمة منهجية موجزة تتضمن التعريف به، أهدافه، أهميته والمنهج المتبع في الكتابة وتقسيمه إلى محاور أو عناصر أو مقاصد.
6. تكتب البحوث العربية بخط نوع Simplified Arabic مقاس 14 بمسافة 1.5 بين الأسطر، أما البحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية فتكتب بخط نوع Times New Roman مقاس 12 ومسافة 1.5 بين الأسطر، على أن يكون عنوان البحث بخط مقاس 16 عريض والعناوين الجانبية بخط مقاس 14 عريض.
7. تترك هوامش 3 سم يمين الصفحة في البحوث العربية ويسار الصفحة في البحوث الإنجليزية والفرنسية، ومسافة 2.5 سم لبقية الهوامش، على أن يكون حجم الورقة عادي (A4).

8. التزام الموضوعية وأن تكون وجهات النظر والحجج واضحة ومعززه بالتوثيق العلمي كما هو الحال في الدراسات الأكاديمية المنهجية العلمية.
9. يتم توثيق المعلومات بالترقيم التسلسلي تحت عنوان: (الهوامش) في نهاية البحث. وتكتب أسماء المراجع حسب تسلسل الترقيم الوارد في المتن بالتفاصيل التالية: (الكاتب - الكتاب - الجزء أو الطبعة إن وجدا - جهة النشر - سنة النشر - الصفحة) وجوباً.
10. أن يكون البحث خالياً من أخطاء الصياغة والأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية وجوباً.
11. تورد الملاحق في نهاية البحث، مع وجوب إرفاق الاستبانة المنهجية المعروفة للدراسات التي تتبع هذا الأسلوب.
12. يُرسل البحث لسكرتير تحرير المجلة من نسخة إلكترونية مثبت عليها في صفحة منفصلة اسم صاحب الورقة، درجته العلمية، جهة العمل، بريده الإليكتروني، على البريد الإلكتروني للمجلة adab.journal2021@gmail.com
13. تخضع البحوث المستلمة لمراجعة أولية من هيئة التحرير للتأكد من أهليتها العلمية وللهيئة الحق في قبول أو رفض البحث المقدم في هذه المرحلة أو بعد التحكيم العلمي دون إبداء الأسباب.
14. يُعرض البحث بعد إجازته الأولية لمحكم أو أكثر، وفي سرية تامة للوقوف على صلاحيته علمياً ومنهجياً.
15. في حالة قبول البحث يُعاد لصاحبه لتنفيذ تصويبات المحكمين ومن ثم إرساله مرة أخرى عبر البريد الإلكتروني للمجلة في فترة لا تتجاوز الأسبوع.
16. تشجع المجلة البحوث المشتركة من باحث أو أكثر على أن يكون ذلك مبرراً بطريقة البحث وتعدد التخصصات.
17. لا ترد البحوث التي لا تقبل للنشر.
18. تؤول حقوق النشر للمجلة بعد الموافقة على النشر النهائي.
19. المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

# كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد..

تواصل مجلة " آداب " العلمية المحكمة، الصادرة في كلية الآداب جامعة أم درمان الأهلية الصدور، بإخراج العدد الثاني منها؛ خدمة للبحث العلمي الرصين، في تخصصات كلية الآداب المختلفة، في إطار سعيها إلى تزكية الفكر المعرفي وترسيخ أهداف وغايات البحث المنهجي الجاد، لتضع بصمة فارقة في مجال النشر العلمي المحكم.

أضافت المجلة ، لهيئتها العلمية والاستشارية أساتذة أفاضل من جامعات إقليمية: (العراق والجزائر)، ونأمل أن يتسع النطاق في الأعداد القادمة، وأن يضفي هذا المنحى قيمة علمية تعضد رسالتها وتفتح أمامها أفق الانتشار والتشاركية العلمية المثمرة مع الجامعات الإقليمية - إن شاء الله.

لقد احتوى هذا العدد سبع دراسات في شتى علوم الآداب، منها علوم التربية الإسلامية، وعلوم اللغات: العربية، والإنجليزية، والفرنسية. ونأمل أن يجد فيها القارئ سياحة فكرية ماتعة ومفيدة. ونشير إلى أننا نستقبل ما يقدمه القُراء من ملاحظات، على البريد الإلكتروني، خدمة للمجلة وسعيا لترقيتها ولتحقيق رسالتها العلمية المنشودة.

والله ولي التوفيق

**رئيس هيئة تحرير المجلة**

جامعة أم درمان الأهلية
مجلة آداب العلمية المحكمة
كلية الآداب
Faculty of Arts

# الفهرس

1- أغراضُ نِسْعْر المُثَقِّب العَبْديِّ
بروفسيور محمَّد زروق الحسن علي
2- الكنداكة (أيقونة) ثورة ديسمبر 2018م السودانية
بروفسيور / عمر حاج الزاكي
3- قيمة الإبداع السردي لدى عشاق العصر الجاهلي' وأثرها في خطابهم الشعري
دكتورة مها صلاح بشرى محمد عثمان
4- أثر استخدام الهواتف الذكية على انحراف الأحداث بالتطبيق على عينة من أطفال مدارس الأساس بمدينة ود مدني
دكتور آدم أحمد آدم
5- قراءة فنيَّة في نِسْعْر مِسْكين الدَّارميِّ
دكتورة / إشراقة عثمان أحمد موسى
6- صور من نقد الشعر السوداني الحديث وضعف التطبيق (دراسة تحليلية تطبيقية)
دكتور / مصعب أبو بكر أحمد إسماعيل
7- المكتبة الجامعية ودورها في الإثراء الأكاديمي
دكتور / أسعد عوض الله بين صالح التوم
8- الرمزية عند شعراء هذيل (عينية أبي ذؤيب أنموذجاً) دكتور
1/ خالد بابكر هاشم الدرديري
2/ أحمد حسين أحمد أبو جبل
9- الكلمات المتداخلة بين اللغتين العربية والفرنسية وأثرها على التبادل الثقافي واللغوي
دكتورة / نادية عبد الرحيم محمد
10- إعادة كتابة التاريخ الإسلامي الدواعي والمبررات
دكتورة / هاجر أبو القاسم محمد الهادي
11- عرض كتاب الخيار الاستراتيجي في السودان عن طريق المصالحة
دكتور عبدالله صالح سفيان

# أغراضُ شِعْر المُثَقِّب العَبْديّ (دراسة أدبيَّة نقديَّة)

بروفسير/ محمَّد زروق الحسن علي

**مستخلص**

يعنى هذا البحثُ بدراسة أغراض شعر المُثقِّب العَبْديّ ، وهو شاعرٌ جاهليٌّ بَحْرَانيٌّ مُقِل، أزورَّتْ عنه أقلام الباحثين والدارسين إلَّا قليلا .

اشتمل البحثُ على مستخلص باللغتين العربيَّة والإنجليزيَّة ومُقدِّمة وتمهيد عَرَّفَ بحياة المُثقِّب العَبْديّ وشعره ، وخمسة مطالب. المطلب الأول: الوصف، المطلب الثاني: الغزل، والثالث: المدح، والرابع: الفخر، والخامس: أغراض أخرى. ثم خاتمة، وهوامش البحث، وثَبْت بالمصادر والمراجع .

ولعلَّ أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها أبرزت شخصية المُثقِّب العَبْديّ من خلال أغراض شعره .

خرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها: في بعض شعر المُثقِّب غرابة ألفاظ ومتانة تراكيب، وحيناً يميل شعره إلى السهولة. كان المُثقِّب مُجيدًا في وصفه ولاسيما حين وصف ناقته وصفًا دقيقًا بإحساس بدويٌّ قُح . في غزل المُثقِّب ذكرٌ للوَصْل والهَجْر وذَرْف الدموع الغِزار على فراق الأحبة، ثانياً: عن الصفات الحسيَّة إلَّا اليسير منها، وقد أسهب في وصف الظَّعْن بشيء من البراعة والإمتاع .

كما جاء مدح المُثقِّب سهل الألفاظ سلسها، خاليًا من الألفاظ الحُوشيَّة المُتوعِّرة.

ويظهر في شخصية المُثقِّب جوانب مشرقة منها التسامح والتؤدة والأناة .

**Abstract:**

This research is concerned with the study of Al Muthagib's poetry purposes, a Bahrani poet from El Asr El Jaheli, with little poetic production. Thus, researchers have written little about him

The research includes an abstract in Arabic and English, an introduction and a preface to the life of Al Muthagib, his poetry and 5 Matlabs.

The first Matlab is descriptive, the second is about flirtation, the third is about praising, the fourth talks about pride, and the fifth is other purposes, along a list of resources and references.

this study, the character of Al Muthagib is highlighted by the purposes of his poetry. This study came out with several results :

–His poetry embraces some strangeness of words, and

–strength of its structure, but sometimes it needs to ease.

–Al Muthagib was generously descriptive, especially when he described his camel in a pure Bedouin sense.

–He talked about yarn mentioning the connection that's there, beside the neglect and mourning the departure of loved ones. While he avoided the materialistic stuff except only few. In addition he talked a great deal about migration in a crafty pattern

–His Praise poetry is simple away from hustle vocabulary.

–His character has many bright sides including forgiveness, tolerance and persistence.

مقدمة

المثقِّبُ العَبْديُّ شـــاعرٌ جاهليٌّ فَحْل ولكنه مُقل، كان في زمن الملك عمرو بن هند، بيد أن مصـــادر الأدب التي ترجمت وروت له شـــعراً أهملت جوانب كثيرة من حياته، فلم تُحدثنا عن مولده ونشـــأته وأُســـرته، فبقيت هذه الجوانب غامضـــة ، ليس ثمة ما يُفصـــح عنها، ثم طَفِقْتُ استنطق شعره لعلَّه ينطق بشـــيء يسـير عنها، ولكنه صمت صَمْتاً مُطبقاً .

وأول ما جعلني أُعنى بشـعر المُثقِّب قصـيدتاه المُفضَّـليَّات النونيَّة (أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِك مَتِّعيني ...) التي اسـتجادها جُلُّ نقاد الشـعر القديم، (لا تَقُولَنَّ إذا ما لم تُرد ...)؛ لما فيها من مكارم الأخلاق. ولذا بحثتُ عن ديوانه غير أنَّي عُدْتُ خالي الوفاض غير مرة، ثم حصـــلتُ مؤخراً على نســـخة مُحقَّقة حديثاً بتحقيق الدكتور

حسن حمد وشرحه، فقوي عزمي على دراسة شعره مضموناً وشكلاً، بادئاً بأغراض شعره، رابطاً إياها بحياته، ورحلاته الدؤوبة بين البادية والحاضرة جِدًّا تارة، وهَزْلاً تارة أخرى.

اشتملت هذه الدراسة على مستخلص باللغتين العربية والإنجليزية ومقدمة وتمهيد عَرَّف بحياة المُثقِّب العَبْديّ وشعره. وخمسة مطالب، المطلب الأول: الوصف ، وقد توفَّر المُثقِّب لوصف الحيوان من ناقة، وفرس، وثور وحشيّ، ولوصف الناقة فيه القِدْحُ المُعلَّى. المطلب الثاني: الغزل، والمطلب الثالث: المدح، والرابع: الفخر، والخامس: أغراض أُخرى، اقتضب المُثقِّبُ القَوْلَ فيها كالحكمة والعتاب واللدد في الخصومة. ثم لخصَّتُ في الخاتمة أهم نتائج الدراسة، وأعقبتُها بالهوامش، ثم ثَبْت بالمصادر والمراجع.

**تمهيد**

**المُثَقِّبُ العَبْديُّ: حياتُه وشِعْرُه :**

**أ- نسبه :**

هو عَائذ بن مِحْصَن بن ثَعْلبة بن وَاثِلة بن عَدي بن عَوْف بن دُهْن بن عُذْرَة بن مُنَبِّه بن نُكْرَة بن لُكَيْز بن أَفْصى بن عبد القيس[1] ، بن أَفْصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار[2] . وذكر ابن قتيبة أن اسمه مِحْصَن بن ثعلبة[3] .

المُثقِّب شاعر قديم جاهليٌّ[4] من أهل البحرين، سُمِّي المُثقِّب لبيت قاله:

**رَدَدْنَ تَحِيَّةً وكَنَنَّ أُخْرى * وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ لِلعُيونِ**[5]

**ب- حياته :**

لم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن حياة المثقِّب العبديّ خلا أنه من أهل البحرين ، وأنه كان في زمن الملك عمرو بن هند، ثم شهد بضع سنوات من ملك أبي قابوس النُّعمان ابن المُنذر[6] .

---

(1)محمد بن سلَّام الجُمحيّ، طبقات فحول الشعراء، 271/1 .

(2) انظر: المفضليات للمفضل الضَّبيّ، ص149

(3) انظر: الشعر والشعراء ، ص250 .

(4) المفضليات، ص149 .

(5)محمد بن سلَّام الجُمحيّ، طبقات فحول الشعراء، 171/1 . الوصاوص: جمع وصواص، وهو ثُقْبٌ في الستر ونحوه على قدر العين ينظر منه. يريد ستر الهودج .

(6)، لعمر فرّوخ تاريخ الأدب العربي 160/1 .

وفي أخباره أنه وُلِدَ في وسط القَطيف وما حوله[7] . ولمع نجمُ أبيه مِحْصَن بن ثعلبة لمَّا أصلح بين بَكْر وتَغْلِب بعد حرب البَسوس[8] .

يقول المثقِّب[9] :

**أَبي أَصْلَحَ الحيّينِ بَكْراً وتَغْلِباً * وقَد أُرْعِشَتْ بَكْرٌ وخَفَّ حُلُومُها**

لم يذكر أحدٌ ممَنْ روى للمثقِّب العبديّ شعراً، أو ترجم له شيئاً عن تاريخ محتمل لمولده عدا المستشرق جوستاف فون جرنباوم، الذي جعل ميلاد المثقِّب عام 550م[10] . وعلى هذا يكون المثقِّب قد مات وعمره سبعة وثلاثون عاماً، على أكثر الروايات التي تقول إنه توفي سنة 35 ق.هـ (587)م .

وجاء في ديوان المثقِّب: (رجَّح الصيرفيُّ أن مولده قبل عام 550م بخمسة عشر عاماً حتى يتطابق عمره وشعره ، فأن ينادي الملك عمرو بن هند بـ (أخي) وهو ابن ثلاثة عشر، أو حتى ثلاثة وعشرين عاماً، فهذا لا يجوز، لأن عمرو بن هند هذا تولَّى شؤون الملك عام 563م، وعلى هذا يكون عُمر المثقِّب – حسب رواية جرنباوم – ، ثلاثة عشر ربيعاً، وطال أمد حكمه حتى عام 587م، وعندها يكون عُمر المُثقِّب ثمانية وعشرين عاماً فهل عُمره – حتى آخر حكم الملك عمرو بن هند هذا – يسمح له بمناداة الملك (أخي):

**فإمَّا أنْ تَكُونَ أخي بحَقٍّ * فأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَميني**

وعلى هذا رجَّحتُ أن تكون حياة المُثقِّب بين (535–587م) [11] .

بيد أن جرنباوم لم يذكر مصدره الذي استقى منه تحديد مولد المثقِّب، ثم وافق مُحقِّق الديوان حسن حمد الصيرفيَّ في رأيه، وكان الصيرفيُّ قد سبق إلى تحقيق ديوان المُثقِّب.

غير أنَّ هذا كله قائم على الاستنتاج والترجيح لنصٍّ ورد في شعر المثقِّب العبديّ لمَّا خاطب الملك عمرو بن هند بعبارة (أخي). على أنَّنا ههنا نفتقر إلى دليل قوي يؤكد عام مولد المثقِّب بخلاف كلمة (أخي) التي اعتمد عليها المُحقِّقان (الصيرفيُّ وحسن حمد). ولكن طه حُسين يرى أن هذا التحديد لا يخلو من إسراف سخيف[12] .

---

(7) انظر: معجم ما استعجم ، ص81، وجاء فيه (ونزلت نُكْرَة الشِّفار والظهران، إلى الرمل وما بين هَجَر).

(8)انظر في أخبار حرب البسوس : الأغاني، ط8، دار الثقافة، بيروت عام 1990م، 5/29–55 ، وأيام العرب في الجاهلية لجاد المولى وآخرين ص142–168، والكامل في التاريخ لابن الأثير 1/523–539 .

(9) ديوان المثقِّب العبدي، تحقيق د. حسن حمد، ص79 .

(10)العربي لجوستاف فون جرنباوم ، دراسات في الأدب ص265 .

(11) ديوان المُثقِّب، ص10–11 .

(12)،حديث الأربعاءطبع ونشر مؤسسة هنداويّ – القاهرة ، 1/174.

**ج- أُسرته :**

لم تذكر مصادر الأدب شيئاً عن أُسرة المُثقِّب، وصمت شعره عن ذلك أيضاً.

**د- شعره :**

المُثقِّب العبديُّ شاعرٌ مُجيد، غريب الألفاظ، متين التراكيب جدًّا، ولكنَّ شعره يَضِحُّ أحياناً ويسهل[13] . امتاز شعره بوصفه لمجتمعه، واصفاً عناصر السوء فيه من أولئك المنافقين الحُوَّل القُلَّب، مادحاً أهل الكرم وبذل المال، حاضًّا على الاهتمام بالجار، ورعاية حقِّه، ذاكراً خلائقه، ومزاياه الكريمة الفُضلى[14] .

وقد قرَّظ شِعْرَه طه حُسين قائلاً :"يُعجبني فيه عظمة تأتيه من هذا القِدَم الذي لا يخفى علينا مصدره إخفاء ،ويُخيَّل إلينا أنه صوت الصحراء أو صوت الساحل، أو صوت جيل بأسره من أجيال الناس، كان قويًّا مُلِحًّا، فطبع نفسه على الزمن، وفرض نفسه على ذاكرة الأجيال فرضًا"[15] .

يقول المثقِّب[16] :

واعْـلَـمْ أنَّ الـذَّمَّ نَـقْـصٌ لـلـفَـتَـى * ومَـتَـى لا يَـتِـقِ الـذَّمَّ يُـذَمْ
أُكْـرِمُ الـجَـارَ وأَرْعَـى حَـقَّـهُ * إنَّ عِـرْفَـانَ الـفَـتَـى الـحـقَّ كَـرَمْ
أنـا بَـيْـتـي مِـنْ مَـعَـدٍ فـي الـذُّرى * ولـي الـهَـامَـةُ والـفَـرْعُ الأَشَـمْ
لا تَـرانـي رَاتِـعـاً فِـي مَـجْـلِـسٍ * في لُحُومِ النَّـاسِ كـالسَّـبْعِ الضَّـرِمْ
إنَّ شَـرَّ الـنَّـاسِ مَنْ يَكْشِـرُ لـي * حِـينَ يَـلْـقَـانـي وإنْ غِـبْـتُ شَـتَـمْ

هذا ضرب من سهولة أُسلوب المُثقِّب، وإنِّي لأجده سهلاً مُمتنعاً، دون محاكاته خَرْطُ القَتَاد، خلافاً لرأي عمر فرَّوخ آنف الذكر(ولكنَّ شعره يَضِحُّ ...) .

في شعر المُثقِّب وصف للحيوان ولاسيما الناقة، واصفاً لها في حَلِّة وتَرْحاله قاطعاً المَهامِة والقِفار، مُجيداً في وصفها، مُلمًّا بوصف الخيل والثور الوحشيّ، ذاكراً الحرب والفرسان .

مدح المُثقِّب الملوك مثل عمرو بن هند والنعمان بن المنذر في غير موضع من شعره. ولمَّا لم يطمئن لأمر الملك عمرو بن هند خَيَّره بين الصداقة الحقَّة والعداوة الصريحة، قائلاً:

فـإمَّـا أنْ تَـكُـونَ أَخِـي بِـحَـقٍّ * فـأَعْرِفَ مِنْـكَ غَثِّي مِنْ سَـمِـينِي

---

(13)، لعمر فرَّوخ ، تاريخ الأدب العربي 160/1 .

(14)طه حسين حديث الأربعاء 174/1

(15) ديوان المثقِّب، ص11 (بتصرف) .

(16)ديوان المثقِّب نفسه، ص73 .

**وإلَّا فـاطَّـرِحْـنِـي واتـخِـذْنِـي * عَـدُوّاً أَتَّـقِـيـكَ وتَـتـقِـيـنِـي**[17]

بيد أنَّ عمر فرَّوخ عَدَّ ذلك خشونةَ بَدْو قائلاً: "هذه صراحةٌ وخشونةٌ مألوفتان في البَدْوِ"[18] .

ولعلَّ المُثقِّب هنا آثر الصـراحة حين ارتاب في علاقته بالملك عمرو بن هند، غير آبه بما تجرُّه عليه هذه الصـراحة من غضـب الملك وعِقابه. وأراها جُرأةً في التعبير وبُعْداً عن النِّفاق والمُداهنة، أكثر من كونها خشونة بدويَّة كما قال فرَّوخ.

ويرى جوستاف فون جرنباوم أنَّ المُثقِّبَ بَدويٌّ ارتبط بالحضارة المدنية بروابط قوية[19] .

ومدحُ المُثقِّب النعمان بن المنذر فحواه التنويه بقوته وسلطانه الباطش تارة، ونائله الغَمْر تارة أخرى[20]

**فـإنَّ أبـا قَـابُـوسَ عِـنْـدي بَـلاؤه * جَـزَاءً بـنُـعْـمـى لا يَـحِـلُّ كُـنـودُهـا**

**وَجَـدْتُ زِنَـادَ الصَّـالِـحِـينَ نَـمَـيْـنَـهُ * قَـدِيـمـاً كـمـا بَزَّ النُّجومَ سُـعودُهـا**

**فَلَو عَلِمَ اللـهُ الجِبـالَ ظَلَمْنَـهُ * أَتـاهُ بـأَمْـرَاسِ الـجِـبـالِ يَـقـودُهـا**

وللمُثقِّب قصـيدةٌ جيِّدةٌ للغاية ذكرها ابنُ سـلَّام مُقرِّظاً إياها[21]. وهي القصـيدة النونيَّة المُفضـليَّة التي مطلعها:

**أَفَـاطِـمُ قَـبْـلَ بَـيْـنِـك مَـتِّـعِـيـنِـي * ومَـنْـعُـكِ مـا سـألـتُـكِ أَنْ تَـبِـيـنِـي**

وذكر ابن قُتيبة شـيئاً منها قائلاً: "كان أبو عمرو بن العلاء يسـتجيد هذه القصـيدة له ويقول: لو كان الشعرُ مِثْلَها لوجبَ على الناس أن يتعلَّموه"[22] .

**هـ- ديوانه :**

حُقِّق ديوان المُثقِّب ثلاث مرات، حقَّقه الشيخ محمد حسن آل ياسين، ونشره في بغداد عام 1956م. ثم حقَّقه الأستاذ حسن كامل الصيرفيُّ في القاهرة عام 1971م. ثم حَقَّقه كَرَّةً ثالثة الدكتور حسن حمد، شارحاً

---

(17) نفسه، ص67 .

(18) لعمر فرَّوخ اريخ الأدب العربي، 1/161-162 .

(19)لجوستاف جرنباوم دراسات في الأدب العربي، ، ص265 .

(20) ديوان المُثقِّب، ص46-47 .

(21) انظر، طبقات فحول الشعراء 1/271-274 .

(22) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ص250 .

أبياته شرحاً مُوسَّعاً جيّداً قائلاً: "فرغبتُ في شرح الديوان بيتًا بيتًا تقريبًا، لشعر رصين جيّد إلى شباب اليوم، إيصالاً لمضامين أزليَّة من أجدادنا إلى أولادنا وأحفادنا"[23] .

الوصف عند المثقب العبدي:

**أ- وصف الناقة :**

الوصف هو ذِكْرُ الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات[24]. كان الحيوان للجاهليّ رفيق السفر، وشريكاً في الكفاح ضد مؤثرات الطبيعة وعواملها. والناقة من أهم موضوعات الوصف لالتصاقها بواقع الجاهليّ، ولاضطراره إليها في تنازع عيشه وبقائه[25].

وللناقة القِدْحُ المُعلَّى بين موضوعات الوصف عند المُثقِّب، فهي رفيقته في حَلِّه وترحاله، فكم قطع بها المَهامِه والقِفارَ في غير رحلة إلى ممدوح دون كلال أو ملال. واصفاً سرعتها ، مشبهاً لها بالفَحْل؛ لكبر جسمها وشدته، ثم شبَّهها كَرَّة أخرى في حركة يديها بنائحة تلطم خَديْها. ذاكراً سيره بها في حَمَّارة القَيْظ في طريق واضح يهدر فيه صوت الجن. واصفاً نشاطها، ووقع قوادمها على الحصى كأنه رنين في باطن الوادي، والأرض الوعرة، قائلاً[26]:

حَتَّى تُلُوفِيتُ بِلَكِّيَّةٍ * مُعْجَمَةِ الحَارِكِ والمُوفَدِ

تُعطِيكَ مَشْياً حَسَناً مَرَّةً * حَثَّكَ بِالمِرْوَدِ والمُحْصَدِ

تَنْمِي بِنَهَّاضٍ إِلى حَارِكٍ * تَمَّ كَرُكْنِ الحَجَرِ الأَصْلَدِ

كَأَنَّما أَوْبُ يَدَيْها إِلى * حَيْزُومِها فَوْقَ حَصَى الفَدْفَدِ

نَوْحُ ابْنَةِ الجَوْنِ عَلَى هَالِكٍ * تَنْدُبُهُ رَافِعَةَ المِجْلَدِ

كَلَّفْتُها تَهْجِيرَ دَاوِيَّةٍ * مِنْ بَعْدِ شَأوي لَيْلِها الأَبْعَدِ

حتى قال[27]:

لا يَرْفَعُ السَّوْطَ لَها رَاكِبٌ * إِذَا المَهَارِي خَوَّدَتْ فِي اليَدِ

---

(23) ديوان المثقِّب، ص1 (بتصرف) .

(24) نفسه، ص6 .

(25) ابن رشيق ،العمدة 2/294-295 .

(26)لإيليا حاوي، فن الوصف وتطور في الشعر العربيّ، 1/37 .

(27) ديوان المثقِّب، ص26-28 .

تَسْـــــمَــعُ تَــعْــزَافــاً لَــهُ رَنَّــةٌ * فــي بَــاطِــنِ الــوَادي وفــي الــقَــرْدَدِ

لا ينفكُّ المثقِّب يصـف الناقة وصـفاً ذا أفانين، ذاكراً خَلْقها وسـيرَها وبُروكها ونشـاطها، مصـوِّراً حياة الجاهليِّ أصـدق تصـوير، ولاسـيما في البادية، فهو دائم السـفر مُصـطلياً بحَرِّ الهاجرة، مُمتطيًا ناقة مفتولة الذراعين، واسعة الخطو، يطوي سيرُها السريعُ البلادَ طيًّا، ناعتًا سيرها السريع فكأن هِرًّا مُقيَّدًا على جانبها يُريد لها الأذى، وهي تبعده فكأنها تُخادعه. وقد أيقن أن ناقته ستوصله – بعون الله – إلى ممدوح ، قائلاً[28]:

قَــطَــعْــتُ بِـفَــتْــلاءِ الــيَــدَيْــنِ ذَرِيــعَــةً * يَــغُــولُ الــبِــلادَ ســَــوْمُــهــا وبَــريــدُهــا

فَــبِــتُّ وبــاتَــتْ بــالــتَّــنــوفَــةِ نَــاقَــتــي * وبــاتَــتْ عَلَيــهــا صَــــفْــنَــتــي وقُــتُــودُهــا

كــأنَّ جَــنــيــبًــا عِــنْــدَ مَــعْــقِــدِ غَــرْزِهــا * تُــرَاوِدُهُ عَــنْ نَــفْــســـــهِ ويُــريــدُهــا

وأَيْــقَــنْــتُ –إنْ شـــــاءَ الإلــهُ– بــأنَّــهُ * ســَــيُــبْــلِــغُــنــي أَجْــلادُهــا وقَــصِــيــدُهــا

ولعلَّ أجود وصف للناقة عند المُثقِّب في قصيدته النونيَّة (أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِك مَتِّعيني)، فقد وصفها وصفاً دقيقاً بأكثر من عشـرين بيتًا يَنُمُّ عن حسٍّ بدويٍّ وإدراك بقيمة الناقة في حياته ، مُسْـهِباً في وصـف ضـمور خصرها، وزفراتها وسرعتها وذَيْلها، وقلة لبنها، وصوت أنيابها ، مُشبهاً لها بالسفينة حين تتصبَّب عَرَقاً، مُكْسِباً إياها صفة الإحساس، إذ هي تتأوه آهة الرجل الحزين حين يضـع عليها الرَّحْلَ، ذاكراً أنها تتأوه حنيناً لديارها، مُلمًّا بالحديث عن ضـجرها من طول حَلِّه وارتحاله في البوادي لا يريحها ولا يسـتريح[29]. جاعلاً إياها تتكلَّم قائلة: ما لهذا الرجل يسـافر دائماً، هل سـتبقى هذه عادته وتبقى عادتي في حمله وإيصـاله لمطلبه. ثم يزعم أنها تقول: أهكذا نبقى على طول الزمن في سفر، ألا يخاف عليَّ ويحافظ على بقائي سالمة لكي أحمله وبعد أن أخبرته الناقة بلسان حالها لا بلسان مقالها كما زعم، عاد كَرَّةً أخرى يصف قوتها وضخامتها بعد أن براها السير. لقد أبقى ارتحالُه في جِدِّه وباطله منها هيكلاً ضخماً كأنه بنيان مدكوك[29]. يقول المُثقِّب[30]:

فَسَــــلِّ الــهَــمَّ عَــنْــكَ بِــذَاتِ لَــوْثٍ * عُــذَافِــرَةٍ كَــمِــطْــرَقَــةِ الــقُــيــونِ

بِصَــــادِقَــةِ الــوَجــيــفِ كــأَنَّ هِــرًّا * يُــبــاريــهــا ويــأخــذُ بــالــوَضــــيــنِ

إذا مــا قُــمْــتُ أَرْحَــلُــهــا بــلَــيْــلٍ * تــأَوَّهُ آهــةَ الــرَّجُــلِ الــحَــزِيــنِ

تَــقُــولُ إِذَا دَرَأْتُ لــهــا وَضِــــيــنــي * أَهــذا دِيــنُــهُ أَبــداً ودِيــنــي ؟

---

[28]ديوان المثقِّب ، ص28–30 .

[29]ديوان المثقِّب، ص44–46 .

[30] محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء، 273/1 .

أكُــلُّ الــدَّهْــرِ حَــلٌّ وارْتِــحَــالٌ * أَمــا يُـبْـقـي عَـلـيَّ ومـا يَـقـيـنـي !

فـأَبْـقـى بـاطِـلـي والـجِـدُّ مِـنْـهـا * كـدُكَّـانِ الـدَّرَابِـنَـةِ الـمَـطِـيـنِ[31]

وهذا الوصف قَمينٌ بإعجاب طه حُسين حين قال: " إنما أقف بك عند هذه الأبيات لأنها خليقةٌ بأعظم الإعجاب وأقواه حقًّا...أما أنا فأرى أنه من أروع ما قال الناس، لا في اللغة العربية وحدها، بل في غيرها من اللغات أيضا" [32] .

وقد بدا لنا وصـفُ الناقة عند شـاعرنا المُثقِّب فلذة إثر فلذة، فهي رفيقتُه في سَـفَر طويل الأمد مُجتازًا المفاوز والفلوات، يتبع ليله نهاره حتَّى جأرت بالشَّكوى غير مرة (أهذا دِينُه أبداً ودِيني)، مُشبِّهاً إياها تشبيهات عدة بموصـوفات من بيئته. ورغم أن ابن رشـيق القيروانيَّ لم يذكر المُثقِّب ضـمن نُعَّاج الإبل حين قال: "وأما نُعَّاج الإبل فَطَرَفة في مُعلَّقته من أفضـلهم، وأَوْس بن حَجَر، وكَعْب بن زُهير والشَّـمَّاخ، وأكثر القدماء يُجيد وصفها؛ لأنها مراكبهم ...) [33].

وعبارة ابن رشـيق (وأكثر القدماء يُجيد وصـفها ...) تُدخل المُثقِّب في نُعَّاج الإبل، ولعلَّ هذا كافٍ لئلا أَغْمِطَ المُثقِّب حقَّه في جودة الوصف .

وقَمينٌ بالذكر أن المثقِّب لم يذكر البعير إلَّا في معرض تشـبيهه ناقته به في الضـخامة والقوة، ولعلَّ رفيقته الناقة شـغلته عما سـواها. ويُؤخذ على المُثقِّب أنه كافأ ناقته أسـوأ مكافأة غير مُشـفق عليها على الرغم مما قدَّمته له من أياد بيضاء ، لمَّا أوصلتْه إلى ممدوحٍ مُمتطياً إياها في جِدِّه وهَزْله .

**ب- وصف الفَرَس :**

وصـف المُثقِّب الفرس وصـفًا مقتضـبًا، وأنه لا يرى غنًى وثروةً يملكها الفتى، إذا لم يكن مالكاً دِرْعاً واسـعة ليِّنة جيِّدة، ورُمْحاً قويًّا، وجواداً ضـخماً قادراً على الصـبر في المعارك، مرتفع الجانبين، ضـخم الأطراف، مُعوج الساقين، ضامر الخصرين، قائلاً[34]:

ولا أرى مـالاً إذا لَـمْ يَـكُـنْ * زَغْـفٌ، وخَـطَّـارٌ ونَـهْـدٌ مُـغَـارْ

مُسْـتَشـرِفُ القُطْرَيْنِ، عَبْلُ الشَّـوى * مُـحَـنَّـبُ الـرِّجْـلَـيْـنِ فـيـهِ اقْـوِرَارْ

---

(31) طه حسين ، حديث الأربعاء، 179/1

(32) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء، 274/1 .

(33) ديوان المثقِّب، ص60 .

(34) ديوان المثقب العبدي، ص65-66 .

ذكر المثقِّبُ الفرسَ في موضعين مفردين من شعره، واصفًا فرسًا أثيرًا إلى قلبه، عالجه وسقاه اللبن دون ماء حتى حان وقت الشتاء، وعندئذ غدا قويًّا يخلع الوتد المربوط بالحَبْل، يقول[35]:

**دَاوَيْتُهُ بِالمَحْضِ حتَّى شَتَا * يَجْتَذِبُ الآرِيَّ بِالمِرْوَدِ**

وهذا وصف للخيل قاطبة حين يكون الفرسان على صَهواتها، فهي نشيطة لا ينتابها الكلال، يظهر العَرَق على جسمها كأنه يسيل لغزارته، وقد غدت أجسامُها سوداءَ كقرون البقر الوحشيَّة لكثرة الغبار الذي لصق بعَرَقها من جهد المعركة، يقول المثقِّب[36]:

**تَنَبَّعُ مِنْ أَعْطَافِها وجُلُودِها * حَميمٌ وآضَتْ كالحَمَاليجِ قُودُها**

وهكذا بدأ وصف الفرس عند المُثقِّب مُقتضبًا رغم أنه عَدَّ امتلاك الفرس ثروةً لا غنًى عنها. ولعلَّ حياته البدويَّة القُحَّة وملازمته ناقته ردحاً من الزمان، لم تُتح له سانحة لوصف الفرس وصفًا يُلحقه بنُعَّاج الخيل الذين كانوا مُجيدين في وصفها .

**ج- وصف الثور الوحشيّ :**

وصف المُثقِّبُ الثورَ الوحشيَّ استطراداً لمَّا شبَّه ناقته به في صورة تكاد تكون مكررة في جُلِّ الشعر القديم، فحواها خوف الثور من الصائد وكلابه، مُشبِّهاً تردد أحشائه المنهارة من الفزع بفزع العصافير واضطرابها. واصفاً سُفْعَة وجهه (سواد فيه حُمْرة)، وأكله البقل النابت من مطر شديد القَطْر، وشدة سَمْعه، وانطلاقه مُسْرِعاً مُخلِّفاً وراءه غباراً كَحَبْل من ليف أملس، وهو يركض في أرض خلاء ليس فيها غير صوت الجن، وقطعان متفرقة من الدواب ترعى هنا وهناك. وبعدئذ وصل الثور إلى موضعين هما (العليا والمنتهى) مُقيماً فيهما وقت الهاجرة، مائلاً باتجاه المغرب، غير منحرف عن هدفه. يقول المُثقِّب[37] :

**كَأَنَّهَا أَسْفَعُ ذو جُدَّةٍ * يَمْسُدهُ الوَبْلُ ولَيْلٌ سَدِ**

**يُصِيخُ لِلنَّبْأَةِ أَسْمَاعَهُ * إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلمُنْشِدِ**

**ضَمَّ صِمَاخَيْهِ لِنُكْرِيَّةٍ * مِنْ خَشْيَةِ القَانِصِ والمَوْسَدِ**

**يَتْبَعُهُ فِي إِثْرِهِ وَاصِلٌ * مِثْلُ رَشَاءِ الخُلُبِ الأَجْرَدِ**

---

(35) ابن رشيق القيرواني ، العمدة، 296/2 .

(36) ديوان المثقِّب، ص93 .

(37) ديوان المثقِّب، ص90 .

فـي بَـلْـدَة تَـعْـزِفُ جِـنَّـانُـهـا * فـيـهـا حـنَـاطِـيـلُ مِـنْ الـرُّوَّدِ

قَـاظَ إِلـى الـعَـلْـيـا وإِلـى الـمُـنْـتَـهـى * مُسْتَعرِضَ المَغْرِبِ لَمْ يَعْضُدِ[38]

---

وعلى الرغم من أن المُثقِّب مضى يستطر في وصف الثور إلى آخر الشوط، بيد أنه أفصح بأن ذا الوصف لم يقصده، ولم يكن معتاداً على هذا التشبيه، فقد جاء عفو الخاطر، قائلاً[39]:

فَـذَاكُـمُ شَـبَّـهْـتُـهُ نَـاقَـتِـي * مُـرْتَـجِـلاً فـيـهـا ولَـمْ أَعْـتَـدِ

وأجود ما في هذا الوصف تشبيه المُثقِّب للغبار بحَبْل من ليف أملس، حتى ذكر أبوبكر بن دُرَيْد: (لم يُوصف الغبار بأحسن من لفظ هذا قطُّ) [40].

**المحور الثاني : الغزل :**

الغزل هو إلف النساء والتخلُّق بما يوافقهن[41]. والغزل عند الشاعر القديم ليس فنًّا مستقلاً برأسه، وإنما هو غرض من الأغراض المتعددة التي تشتمل عليها قصيدته، ولكن له حق الصدارة التي يستهل به ثم ينتهي منه إلى غيره[42].

استهل شاعرنا المثقِّب غير قصيدة من شعره بالغزل، ذاكراً اسم محبوبته تارة، مُمتنعاً عنه أخرى، وهو غزلٌ مُفعَمٌ بذكريات الماضي، وغير قليل من الحزن على فراق الأحبة، وقد أكثر فيه الشاعر من الاستفهام غير مرة، ناعتاً محبوبته بالغانية، مُتجشِّماً الصَّبْر إليها، رغم ما طلبته من ثمن باهظ جدًّا نظير شَرْبة ماء من يدها، قائلاً[43]:

هَـلْ عِـنْـدَ غَـانٍ لِـفُـؤادٍ صَـدِ * مِـنْ نَـهْـلَـةٍ فـي الـيَـوْمِ أو فـي غَـدِ

يَـجـزِي بـهـا الـجَـازونَ عَـنِّـي ولـو * يُـمْـنَـعُ شُـرْبـى لَسَـقَـتْـنـي يَـدي

قَـالَـتْ: ألا لا يُشْـتَـرى ذَاكُـمُ * إلَّا بـمـا شِـئْـنَـا ولَـمْ يُـوجَـدِ

---

(38) المصدر نفسه، ص49 .

(39) ديوان المثقِّب،، ص30–31 .

(40) نفسه، ص31–34 .

(41) نفسه، ص34 .

(42) نفسه، ص33 .

(43) العمدة 116/2 .

وثمة محبوبةٌ أخرى أسماها الشاعر هِنْداً، شاكياً ضَنَّها بتمتيعه وانصراف فؤادها عنه، جاعلةً جديد وَصْلها قديماً باليًا، ذاكرًا سرعة تقلُّبها، يقول[44]:

**أَلا إنَّ هِنْداً أَمْسِ رَثَّ جَديدُها * وَضَنَّتْ وما كَانَ المَتاعُ يَؤودُها**

**فَلَوْ أَنَّها مِنْ قَبْلُ جَادتْ لنا بهِ * عَلَى العَهْدِ إذْ تَصْطادُني وأَصِيدُها**

**ولكنَّها مِمَّا تَمِيطُ بِوُدِّها * بَشَاشَةَ أَدنَى خُلَّةٍ تَستَفيدُها**

ولعلَّ خُلْفَ الوَعْدِ سمةٌ تلازم محبوبات المثقِّب، فهذى محبوبته فاطمة، يطلب إليها أن تُبقي له شيئاً من وَصْلها قبل فراقها، وأن لا تَعده كذباً، فيمر الصيف بمواعيدها دون أن يلتقيا، وأنه يُجازي القطيعة بمثلها ولو جاءت من حبيبة أثيرة إلى قلبه. يقول المُثقِّب[45]:

**أَفَاطِمُ! قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعيني * ومَنْعُكِ ما سَألتُكِ أنْ تَبيني**

**فَلا تَعِدي مَواعِدَ كاذِباتٍ * تَمُرُّ بها رِياحُ الصَّيْفِ دُوني**

**فإنِّي لَوْ تُخالِفُني شِمالي * خِلافَكِ ما وَصَلْتُ بها يَميني**

**إذاً لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ: بِيني * كَذلِكِ أجْتَوي مَنْ يَجْتَويني**

برع المُثقِّب في موضوع وثيق الصلة بالغزل وهو وصف ظَعْن الحبيبة، وتتبع سيرها، ونعت النساء في هوادجهن نعتاً لعله أطول وأمتع ما قيل في الظَّعْن، يقول[46]:

**لِمَنْ ظُعُنٌ تَطلَّعُ مِنْ صَبيبٍ * فَمَا خَرجتْ مِنَ الوادي لَحِينِ**

**مَرَرْنَ عَلَى شَرافِ فذَاتِ هَجْلٍ * ونَكَّبْنَ الذَّرَانِحَ بالَيَمينِ**

**وهُنَّ كَذاك حِينَ قَطَعْنَ فَلْجاً * كأنَّ خُدوجهنَّ عَلَى سَفِينِ**

**وهُنَّ عَلَى الرَّجائزِ واكِناتٌ * قَواتِلُ كُلِّ أَشْجَعَ مُسْتَكِينِ**

وصف المُثقِّب الظَّعْنَ متسائلاً عن نساء مسافرات ظهرن من قرب (صَبيب)، وسرن في الوادي متمهلات، ثم خرجن بعد إبطاء، وقد جاوزن عدة مواضع مثل (شراف وذات هَجْل) وجعلن (الذرانح) على يمينهن، ثم

---

(44) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص65–66 (بتصرف).

(45) ديوان المثقِّب، ص23–25 .

(46) المصدر نفسه، ص42–43 .

عبرن (فَلْجاً) كأنَّ مراكبهن على سطوح سفن تمشي الهُوينى، وهن نساء حِسان يخضع لهن الفرسان حين يقتلنهم بلِحاظهن.

لا ينفك المُثقِّب يصف الظَّعْنَ، مشبهاً النسوة بغزلان تتناول أغصاناً قريبة من شجر السِّدْر البريّ، وقد ابتعدن عن صاحبتهن، ورآهن الشاعر من خلال ستر رقيق، ثم أرخين ستراً جعلن فيه فتحات على قدر عيونهن ليرين دون أن يراهن أحد، ناعتاً ما بدا له من حُسنهن، وما أخفين أكثر مما أبدين، ذاكراً أَسْرَهُنَّ القلوب، مراقباً لهن علَّ حُلوته تكون بينهن، هامساً لبعضهن، وقد جَهَّز ناقته للسفر في حَمَّارة القَيْظ ، قائلاً[47]:

كَغِزْلانٍ خَذَلْنَ بِذَاتِ ضَالٍ * تَنُوشُ الدَّانِياتِ مِنَ الغُصُونِ

ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ ، وسَدَلْنَ رَقْماً * وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ لِلعُيونِ

أَرَيْنَ مَحاسِناً وكَنَنَّ أُخْرى * مِنَ الأَجْيادِ والبَشَرِ المَصونِ

فقُلْتُ لبَعْضهنَّ، وشُدَّ رَحْلي * لِهَاجِرةٍ عَصَبْتُ لها جَبيني

وهذا وصف آخر للظعن وموقف الفراق، تساءل فيه الشاعر مستفهماً غير مرة، هل يستطيع قلبه المُتيَّم نسيان محبوبته؟ فذكراها تُلحُّ عليه ملازمة إياه لا تبرحه قِيدَ أُنْمُلة، واصفاً حزنه لفراقها ذارفاً دمعاً غزيراً، مشبهاً له بحبات اللؤلؤ لمَّا رأى ليلى وصاحباتها في هوادجهن مسافرات صباحاً، لائماً عقله الذي لم ينهه عن بكائه وطَيْشه، قائلاً[48]:

هَلْ لهذا القَلْبِ سَمْعٌ أوْ بَصَرْ * أَو تَناهٍ عَنْ حَبيبٍ يُذَّكَرْ

أو لِدَمْعٍ عَنْ سَفاهٍ نُهْيَةٌ * تَمْتَري مِنْهُ أَسَابِيُّ الدِّرَرْ

مُزمَعِلَّاتٌ كَسِمْطَيْ لُؤْلُؤ * خُذِلَتْ أَخْرَاتُهُ فيهِ مَغَرْ

إنْ رأى ظُعْناً لِلَيْلى غُدْوَةً * قَدْ عَلا الحَزْماءَ مِنْهنَّ أُسَرْ

ومما تقدم يتضح أن الغزل عند المُثقِّب العَبْديّ نأى عن الصفات الحسيَّة إلَّا اليسير منها، ذاكراً الوَصْل والهَجْر، وقد بدا فيه الشاعر حزيناً جَزِعاً ذارفاً دموعاً غِزاراً لفراق الأحبة، واصفاً الظَّعْن، مُسْهِباً في الحديث عنه، وهو وصف بارع ممتع للغاية، لمَّا أرانا رحلة الظَّعْن بكل تفاصيلها في نسق مُنسجم. وبعض من غزل المُثقِّب جاء تقليداً لما تواضع الشعراء عليه من ذكر المرأة في مستهل قصائدهم دون أن يصدر عن عاطفة

---

([47])ديوان المثقِّب، ص54–55 .

([48]) المفضليات، ص287 .

حَرَّى أو هوى جامح، ذاكراً عدة أسماء مثل ليلى وفاطمة وغانية، ولعلَّ هذا من قبيل قول ابن رشيق القيروانيّ: "وللشعراء أسماءٌ تَخِفُّ على ألسنتهم وتحلو في أفواههم فهم كثيراً ما يأتون بها زُوراً نحو ليلى، وهند ، وسلمى، ودعد ... وفاطمة ...وأشباههن"[49] .

**المدح عند المثقب العبدي:**

المدحُ بابٌ رئيس من أبواب الشعر في الجاهليَّة؛ لاتصاله بالحياة القبليَّة، فقد كان على الشاعر أن يُدافع عن أعراض قومه ويمدح سادتهم وفرسانهم، ويُطري فضائلهم ويُمجِّد أعمالهم[50].

مدح المُثقِّبُ الملوكَ في عصره في طليعتهم الملك عمرو بن هند، وأبو قابوس النعمان بن المنذر، فالأول ملك كريم بسَّام، ذو أصل عريق قوي مهاب إن ضرب بسيفه شجرة غاص إلى بطنها، منسوب لحُجْر وعائد، يصل نسبه للمنذر الأكبر، ثم أثنى الشاعر على جهود الملك عمرو بن هند في توطيد أركان الملك، ذاكراً كتيبته (دَوْسَر) وحسن بلائها، داعياً الله جلَّ وعلا أن يُحسن مكافأته على نَجْدته لهم، وإن جحد آخرون معروفه، متحدثاً عن صنيع الملك أنه أصلح الأمر، ومنع الظلم، واقتص من الظالم بعدما أصابه الغرور فأمال خَدَّه تيهاً، جاعلاً خاتمه القصيدة ناطقة بقوة الملك ومنعته، لقد أهلك عيش الدهر من أهلك ثم جاء الملك عمرو بن هند فأهلك من كان عيشه حلواً، وجعله مُرّاً قاسياً.

يقول المُثقِّب[51] :

وإلى عمرو ـــــ وإنْ لَمْ آتِهِ . * تُجْلَبُ المِدْحةُ أو يَمضي السَّفَرْ

واضحُ الوَجْهِ، كريمٌ نَجْرُهُ * مَلَكَ السَّيْفَ إلى بَطْنِ العُشَرْ

حَجَريٌّ عائديٌّ نَسَباً * ثُمَّ للمُنْذِرِ إذْ جَلَّى الخَمَرْ

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فِينا ضَرْبةً * أثْبَتَتْ أَوْتادَ مُلْكٍ مُسْتَقِرْ

صَبَّحَتْنا فَيْلَقٌ مَلْمُومَةٌ * تَمْنَعُ الأَعْقَابَ مِنْهُنَّ الأُخَرْ

فَجَزَاهُ اللهُ مِنْ ذي نِعْمَةٍ * وَجَزَاهُ اللهُ إنْ عَبْدٌ كَفَرْ

وأَقامَ الرَّأْسَ وَقْعٌ صَادِقٌ * بَعْدَ ما صَافَ، وفي الخَدِّ صَعَرْ

ولَقَدْ رَامُوا بسَعْيٍ ناقِصٍ * كَي يُزيلُوهُ فأَعْيا وأَبَرْ

---

(49) ديوان المثقِّب، ص55–57 .

(50) نفسه، ص57–59 .

(51)ديوان المثقِّب، ص36–37 .

**ولَـقَـدْ أَوْدَى بِـمَـنْ أَوْدَى بِـهِ * عَـيْـشُ دَهْـرٍ كـانَ حُـلْـواً فـأمـرْ**

ولعل المُثقِّب سلك سبيل الإيجاز في مدحه الملك عمرو بن هند، مُشيداً بكرم أصله وعِرْقه، جامعاً صفات القوة والمَنْعَة في ممدوح، بيد أن الأمور بعد ذلك لم تسر كما يُحبُّ المُثقِّبُ ويهوى ، إذ نجده يخاطب الملك عمرو بن هند في موضع آخر من شعره مُخيِّراً إياه بين الصداقة الحقَّة والعداوة الصريحة ، قائلاً[52]:

**فـإمَّـا أنْ تَـكـونَ أخـي بـحَـقّ * فـأَعْرِفَ مِنْـكَ غَثِّي مِنْ سَـمـيني**

**وإلَّا فـاطَّـرِحْـنِـي واتـخِـذْنـي * عَـدُوًّا أَتَّـقـيـكَ وتَـتَّـقـيـنـي**

أي إنْ لم تكن الأُخوَّة على ما بيَّنتُ فانفض مما بيني وبينك يدك ، واتخذني عدواً لك احترز منك وتحترز أنت مني، وينطوي كُلٌّ مِنَّا على ضِغْن صاحبه، والحذر من شره[53]. لكن الأصمعيَّ قال: "أراه غير الملك؛ لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام"[54] [57]. وثمة أمثلة تجرأ فيها الشعراء على الملوك بنبرة أكثر حِدَّةً مما قال المُثقِّب، ففي شعر جابر بن حُنَّى التغلبيّ ويَزيد بن الخَذَّاق الشَّنيّ غير قليل من تلك الجُرأة في مخاطبة الملوك[55]. ولذا فشك الأصمعيّ في بيتيْ المُثقِّب (فإمَّا أن تكون أخي ...) في غير مكانه، فهما لا يتجاوزان التخيير بين الصداقة الحقَّة، والعداوة الصريحة وإنْ عدَّها عمر فرُوخ من خشونة البدو[56]. مدح المثقِّبُ أبا قابوس النعمان بن المنذر ناعتاً إحسانه الذي لا يُنكر، وأنه من سلف صالح، زادوه كرماً ، كما علت الكواكب على النجوم، مبالغاً في مدحه بأنه الأعلى مكانة بين الملوك بزَّهم فعالاً وكرماً وجوداً. ذاكراً بطشه بالأعداء حين يرسل كتيبة ضخمة تحمل رُسل الموت يصل صوتُ مشي عَسْكرها إلى أطراف الأرض، متجاوزاً إياها إلى عنان الفضاء، قائلاً[57]:

**فـإنَّ أَبـا قَـابُـوسَ عِـنْـدي بَـلاؤهُ * جَـزَاءً بِـنُـعْـمـى لا يَـحِـلُّ كُـنـودُهـا**

**وَجَـدْتُ زِنَـادَ الصَّـالِـحـينَ نَـمَـيْـنَـهُ * قَـديـمـاً كـمـا بَزَّ النُّجومَ سُـعودُهـا**

**فـلَـوْ عَـلِـمَ اللهُ الـجِـبـالَ ظَـلَـمْـنَـهُ * أتـاهُ بـأَمْـرَاسِ الـحِـبَـالِ يَـقـودُهـا**

---

([52]) ابن رشيق ، العمدة 2/121-122 .

([53]) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص48-49 (بتصرف) .

([54]) ديوان المثقِّب، ص37-39 .

([55]) نفسه، ص67 .

([56]) انظر: شرح المفضليات للتبريزي 2/1036 .

([57]) انظر: الموشح للمرزباني، ص303، والخزانة للبغداديّ 4/429، والمفضليات، ص292

إلـى مَـلِـكٍ بَـزَّ الـمُـلـوكَ بِسَـــعْـيـهِ * أَفَـاعِـيـلُـهُ حَـزْمُ الـمُـلـوكِ وجُـودُهـا

وجَـأْوَاءَ فيـهـا كَوْكَـبُ المَوْتِ فَخْمَـةٍ * تَقَمَّصَ بـالأَرْضِ الفَضـــاءِ وَئيـدُهـا

وتبدو صورة مدح المَلِكَيْنِ عمرو بن هند والنعمان بن المنذر واحدة في كثير من قسماتها من مدح بكرم الأرومة، وإخضاع قبائل من العرب ، ونَعْت الكتيبة ، وهو مدح سهل الألفاظ سلسها، ليس فيه لفظة حوشيَّة مُتوعِّرة، رغم أنَّ المُثقِّب جاهليٌّ قديم ، ولعلَّ صلته بالحاضرة عبر رحلاته الدؤوبة إليها أكسبته هذه السهولة.

ومن جيِّد المدح عند المُثقِّب مَدْحُه خالد بن أَنْمَار الذي فَكَّ أَسْرَ ابن أخت الشاعر وهو شأس بن نهار المعروف بالمُمزِّق العبديّ، قائلاً[58]:

إنَّـمـا جَـادَ بشـــأسٍ خَـالِـدٌ * بَعْـدَمـا حَـاقَـتْ بـهِ إحـدى العِظَمْ[59]

مِـنْ مَـنـايـا يَـتَـخـاسَـــيْـنَ بـهِ * يَـبْـتَـدِرْنَ الـزَّوْلَ مِـنْ لَـحْـمٍ ودَمْ

بَـاكِـرُ الـجَـفْـنَـةِ رِبْـعِـيُّ الـنَّـدى * حَسَـــنٌ مَـجْـلِسُـــهُ غَـيْـرُ لُـطَـمْ

يَـجْـعَـلُ الـمَـالَ عَـطـايـا جَـمَّـةً * إنَّ بَـذْلَ الـمَـالِ فـي الـعِـرْضِ أَمَـمْ

لا يُـبـالـي طـيِّـبَ الـنَّـفْـسِ بـهِ * عَـطَـبَ الـمَـالِ إذَا الـعِـرْضُ سَـــلِـمْ

فَكَّ خالدٌ أَسْرَ المُمزِّقِ العَبْديّ بعدما أحاطت به إحدى الشدائد التي كانت تأتيه واحدة بعد أخرى، ناعتاً كرم خالد الذي يُباكر الجميع ويسبقهم، مُطْعِماً الناس من جِفانه، ذاكراً حُسْنَ مجلسه؛ لما فيه من سكون وحِلْم، وبذله المال لذوي الحاجات، وهذا قَمينٌ بأن يجعل عِرْضه يسلم من الشَّتْم واللَّعْن، غير آبهٍ لفقدان المال أو نفاده. وهذا المدح وإن بدا قليلاً كمًّا فهو كثير كيفاً وجودةً، فالمُثقِّب مدح ممدوح بما يوافقه، ناعتاً عمرو بن هند والنعمان بن المنذر بكرم الأصل والقوة والمَنْعَة والبَطْش بالأعداء، ثم أطرى كرم خالد وطيب معشره، وكثرة عطاياه وجعله ماله وقاية لعِرْضه[60].

وقد سلك المُثقِّب طريقة الإيضاح والإشادة بممدوح، وإنْ خَيَّر ممدوح عمرو بن هند بين الصداقة الحقَّة والعداوة الصريحة، مُحقِّقاً غير قليل من شروط جودة المدح، ولاسيما شروط مدح الملوك التي ذكرها ابن رشيق القيروانيُّ قائلاً: "وسبيل الشاعر إذا مدح مَلِكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكر الممدوح، وأن يجعل معانيه جَزْلة، وألفاظه نقية، غير مُبتذلة سوقيَّة ... ويجتنب مع ذلك ... والتجاوز والتطويل) [61].

---

([58]) انظر، المفضليات، ص209 ، 211 ، 296 .

([59])لعمر فرَّوخ، تاريخ الأدب العربي، 1/161-162 .

([60]) ديوان المثقِّب، ص46-48 .

([61]) نفسه، ص69-70 .

الفخر:

الفخر تعبير عن الناحية الإيجابية من مصـير الإنسـان، إنه تعبير عن النصـر، والتكافؤ والشـعور بالرضـا عن النفس وعن الوجود. وكانت طبيعة العصـر الجاهليّ توافق طبيعة الشـعر الفخريّ أو بالأحرى كانت تُلزم الشاعر بها، لمَّا كانت حياة الجاهليين حروباً وغزوات لا هوادة فيها في سبيل العيش[62] .

عَدَّ ابن رشيق القيروانيُّ الفخر والمدح شيئاً واحداً، إلا أن الشاعر يخصُّ به نفسه وقومه (الفخر)، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار.

وللمثقِّب فخرٌ قبليٌّ وآخرُ ذاتيٌّ، فقد فخر غير مرة بشجاعة قومه وظهورهم على أعدائهم في معارك شتَّى، ذاكراً أن أباه أصـلح بين الإخوة من بَكْر وتَغْلِب، بعدما طاشـت بكر وارتعدت من الغضـب، ثم أصـلح بين عَوْف وعامر، واضعاً خطة صلح مُحْكَمة لا عيب ولا لوم فيها، قائلاً[63]:

أرى بِـدَعـاً مُسْـتَـحَـدثـات تُريبُـني * يَجُوزُ بهـا مُسْـتَضْـعَفٌ وحَليمُهـا

فـإنْ تَـكُ أموالٌ أُصـيبـتْ وحُوِّلـتْ * دِيـارٌ فـقـد كُـنَّـا بـدارٍ نُـقـيـمُـهـا

ونَـحْـمِـي عَنِ الثَّغْرِ المَخُوفِ ويُتَّقى * بغَـارتِنـا كَيْـدُ العِـدى وضُـيـومُهـا

نَـعُـدُّ لأَيَّـامِ الـحِـفـاظِ مَـكـارمـاً * فَعـالاً وأَعْراضـاً صَـحيحـاً أَدِيمُهـا

أبـي أَصْـلَـحَ الـحَـيَّيْنِ بَكْراً وتَـغْلِبـاً * وقَـدْ أُرْعِشَـتْ بَكْرٌ وخَفَّ حُلُومُهـا

وقَـامَ بصُـلْحٍ بَـيْـنَ عَـوْفٍ وعَـامـرٍ * وخُطَّـةِ فَصْـلٍ مـا يُعـابُ زَعيمُهـا

لا ينفك المثقِّب يفخر برجال قبيلته مُنوِّهاً بكرمهم وأريحيتهم في الليالي ذات البَرْد القارس، واصـفاً تكاتفهم في السَّراء والضَّراء، ورفعهم الظُّلْم عن الآخرين.

يقول المُثقِّب[64]:

إذَا الرِّيحُ جاءَتْ بالجَهَامِ تَشُـلُّـه * هـذا لِيلُـهُ شَـلَّ القِلاصِ الطَّرائـدِ

كَفى حَـاجَـةَ الأَضْـيـافِ حَتَّى يُريحَهـا * عَـنِ الـحَـيِّ مِـنَّـا كُـلُّ أَرْوَعَ مَـاجـدِ

ولَـيْسَ أَخُونـا عِنْـدَ شَـرٍّ يَخـافُـهُ * ولا عِـنْـدَ خَـيْـرٍ إنْ رَجـاهُ بـوَاحـدِ

---

(62) خالد: هو ابن أنمار بن الحرث، أحد بني أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْز. ورواية المفضليات: بعدما حاقتْ به إحدى الظُّلَم .

(63) ديوان المثقِّب ، ص 69

(64) ديوان المثقب العبدي ، ص 70

إذَا قِيـلَ مَنْ لـلمُعْضِـلاتِ أَجـابَـهُ * عِظَـامُ اللُّهي مِنَّـا طِوَالُ السَّـواعـدِ

ولعلَّ أفضل ما فخر به المُثقِّب شيمه ومزاياه الشخصية من إكرام الجار، وتحاشي الغِيبة وتجنُّب الرياء والحِلْم على الجُهَّال، قائلاً[65]:

أُكْـرِمُ الـجَـارَ وأَرْعَـى حَـقَّـهُ * إنَّ عِـرْفَـانَ الـفَـتـى الـحـقَّ كَـرَمْ
أنـا بَـيْـتـي مِـنْ مَـعَـدٍ فـي الـذُّرى * ولـي الـهَـامَـةُ والـفَـرْعُ الأَشَـمْ
لا تَـرانـي رَاتِـعـاً فـي مَـجْـلِـسٍ * في لُحُومِ النَّـاسِ كـالسَّـبْعِ الضَّـرِمْ
إنَّ شَـرَّ النَّـاسِ مَـنْ يَكْشِـرُ لـي * حِـينَ يَـلْـقَـانـي وإنْ غِـبْـتُ شَـتَـمْ
وكَـلام سـيّـئٍ قَـدْ وُقِـرَتْ * أُذُنـي عنـه ومـا بـي مِـنْ صَـمَـمْ
فـتَـعَـزَّيْـتُ خَشَـاةَ أنْ يـرى * جَـاهِـلٌ أَنِّـي كَـمَـا كَـانَ زَعَـمْ
ولـبَـعْـضُ الصَّـفْـحِ والإعْـرَاضِ عَـنْ * ذي الـخَـنـا أبْـقـى وإنْ كـانَ ظَـلَـمْ
أَجْـعَـلُ الـمَـالَ لـعِـرْضـي جُـنَّـةً * إنَّ خَـيْـرَ الـمَـالِ مـا أَدَّى الـذِّمَـمْ

فخر المُثقِّب بدماثة خُلُقه، فهو من أصـل كريم ينتمي إلى أشـرف أولاد مَعَد بن عدنان، وأن بيته من أشرف البيوت التي تنحدر من مَعد بن عدنان، وإن عُدَّ النسب فله أكرم وأعلى منزلة فيه .

أسـهب المُثقِّب في الحديث عن شـيمه وخصـاله، وهو لا يتحدث في أعراض الناس بما يكرهون ولا يغتابهم بما يؤذي جسومهم ونفوسهم، مشبهاً اغتياب الناس بأكل لحومهم من قِبَل أَسَد نَهِم شَرِه، إنها صورة تُنفِّر من الغِيبة؛ لما فيها من إفساد عظيم بين الناس، يقول الحق تبارك وتعالى: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُموه ) [66]. والمُثقِّب لا يكتفي بأنه لا يخوض في أعراض الناس فحسـب، بل يزيد على ذلك بأنه يَسُدُّ أُذُنَيْه عن سماع الكلام السيّئ، رغم أن سَمْعَه سليم، وليس به ثقل أو صمم. ثم أخبر بأنه تصبَّر على المكاره خوفاً من أن يظن به جاهلٌ نقصاً كان قد أُلصق به، وقد ابتعد عن الفاحش البذيء متجاوزاً عن كلامه تَعفُّفاً عن الردِّ عليه، جاعلاً ماله ساتراً وحصناً أمام عِرْضه وشرفه، وأن خير المال ما حقَّق العهود والحرمات وصانها سالمة من كلِّ عيب ودنس .

وهكذا بدت صـورة الفخر عند المُثقِّب مألوفة مكررة عند جُلِّ شـعراء عصـره ، من نَعْت رجال القبيلة بالشجاعة وحُسن الفعال، بيد أن فخره بشيمه ودماثة خُلُقه جيِّد للغاية من رعاية حقوق الجار، وتحاشي الغِيبة، والحِلْم على الجُهَّال، وهي معانٍ جِدُّ عظيمة يفتقر إليها الناس في كلِّ زمان ومكان، قمينة بالدرس والتطبيق .

---

[65] المصدر السابق ، ص 69

[66] سورة الحجرات، آية 12.

## أغراض أخرى :

### أ/ الحكمة :

لشاعرنا المثقِّب حِكَمٌ بَثَّها في بعض قصائده معبّراً بها عن تجاربه في الحياة وسَبْره أَغْوَار الناس، مُقدّماً للناس نصائح جَمَّة من وجوب الوفاء بالوعد، واتقاء الذم والسب ، داعياً إلى الاعتداد بالنفس وأن يُصدر المرء عن رأيه لا عن آراء الآخرين، فإن لم يتحرك الإنسان إلَّا مدفوعاً أو لاهثاً وراء غيره، فحياته وموته سيان، بل موته خير من حياته . ثم دعا كَرَّةً أخرى لأن يواجه المرء مشكلاته بنفسه، ولا يكن ضعيفاً خوَّاراً يميل إلى الدعة والاتكاء على الوسائد .

يقول المثقِّب[67]:

**لا تَقُولَنَّ إذا ما لَمْ تُرِدْ * أنْ تُتِمَّ الوَعْدَ في شيءٍ نَعَمْ**

**واعْلَمْ أنَّ الذَمَّ نَقْصٌ للفتى * ومتى لا يَتَّقِ الذَّمَّ يُذَمْ**

ويقول[68] :

**وللمَوْتُ خَيرٌ للفتى مِنْ حياتِهِ * إذا لَمْ يَثِبْ للأمْرِ إلَّا بقائدِ**

**فعَالِجْ جَسيماتِ الأُمورِ ولا تَكُنْ * هَبيتَ الفُؤادِ هَمُّهُ للوَسَائدِ**[69]

ذكر المثقَّب في حِكمه الزمان وتغيُّر طباع الفتى، فها هو ذا وقد ولَّى ذلك الزمان الذي كان فيه فارساً مغواراً، ولاهياً ضاحكاً، والليالي والنهار تغير طباع الفتى وتلوي عنقه عن غيّه وضلاله، ولا شيء ينفع مع الشيب وصروف الزمان، فلا الهارب مهما ابتعد يُنجيه هربه وابتعاده منه، ولا ينفع الحَذِرَ حَذَرُه، قائلاً[70] :

**فَذَاكَ عَصْرٌ قَد خَلا، والفَتَى * تُلوي لياليهِ بهِ والنَّهارْ**

**لا يَنْفَعُ الهَاربَ إيغالُهُ * ولا يُنَجّي ذا الحِذارِ الحِذَارْ**

دعا المثقِّب إلى التفكير العميق المتزن في الأمور، وهي تبدو متشابهة لناظرها دون تمعُّن وتمحيص، والعِبْرة لا تتجلَّى إلَّا بالتدبُّر والتؤدة، وهذه المعاني نجدها في غير موضع من شعره، يقول[71]:

---

(67) ديوان المثقِّب، ص72–73 .

(68) المصدر نفسه، ص87 .

(69) المصدر نفسه، ص88 .

(70) المصدر نفسه، ص93 .

(71) ديوان المثقب العبدي، ص94، وجاء في شعراء النصرانية قبل الإسلام للويس شيخو، ص415(ومن حكمه قوله بالاغترار بأشباه الأمور: إن الأمور ...البيت) .

**إنَّ الأُمورَ إذَا اســـتقبلتَها اشـــتبهتْ * وفـي تَـدبُّرهـا الـتِّـبْـيَـانُ والـعِـبَـرُ**

**إذَا مـا تَـدَبَّـرتَ الأُمـورَ تَـبَـيَّـنَـتْ * عِياناً صَـــحيحاتُ الأُمورِ وعُورُها**[72]

ومما تقدم ذكره من مواضع الحكمة في شعر المثقِّب يتضح أنها إرشادية أخبرتْ عن رجل مُجرِّب في الحياة، سَبَرَ أَغْوَارَ الناس، كيف لا وقد امتدت رحلاته من البادية إلى الحاضرة مما أكسبه تجارب جمَّة .

**ب/ العتاب واللدد في الخصومة :**

دعا المُثقِّب على قوم أضاعوا جِياده وإبله في موضع يُسمَّى (الوَعْوَاع)، لائماً إياهم لمَّا عطَّلوا صنمهم، وانهالوا عليه نَقْراً بأدوات الحَفْر والنَّقْر كالأثامج والوكوس، أو لعله أراد أنهم انتقصوا مكانة صنمهم بالتخليط وشروه بثمن بخس قائلاً[73]:

**لَـحَـى الـرَّحـمـنُ أَقـوامـاً أَضـــاعـوا * عَـلَـى الـوَعْـوَاعِ أَفـراســـي وعِـيســـي**

**ونَصْـــبُ الـحـيِّ قَـدْ عَـطَّـلـتُـمـوهُ * ونَـقْـرٌ بـالأَثَـامِـجِ والـوكـوسِ**

أما اللدد في الخصومة فيبدو واضحاً في قوله[74]:

**لَـعَـمْـرُكَ إنَّـنـي وأبـا رِيـاحٍ * عَـلَـى طُـولِ الـتَّـهـاجُـرِ مُـنْـذُ حِـيـنِ**

**لَـيُـبْـغِـضُـنـي وأُبْـغِـضُـهُ، وأَيـضـاً * يَـرانـي دُونَـهُ وأَراهُ دُونـي**

**فَـلَـو أَنَّـا عَـلَـى حَـجَـرٍ ذُبِـحْـنـا * جَـرَى الـدَّمَـيـانِ بـالـخَـبَـرِ الـيَـقـيـنِ**

أخبر المثقِّب بأنه يحمل البُغْضَ لأبي رياح ويبادله أبو رياح أيضاً، ويرى كلٌّ منهما نفسه فوق الآخر، مبالغاً في أمر تلكم العداوة والبغضاء، ولو ذُبحا على حَجَر واحد، لسال دَمُه في جهة ودَمُ أبي رياح في جهة أخرى، بيد أن الشاعر لم يُبِنْ سبب الفجور في تلكم الخصومة .

والموضعان آنفا الذكر ليس فيهما هجاء صريح يتضمن السَّب والشَّتْمَ، ولذا وضعتهما تحت عنوان العتاب واللدد في الخصومة وهو الأليق بهما.

ولعلَّ خلو شعر المثقِّب من الهجاء يرجع إلى أنه كان يُوطِّن نفسه على التسامح، ولا يُبادل السيئة بمثلها. فقد أخبرنا في شعره غير مرة بأنه يتصامم عن الكلام السيّئ وليس به صمم، ويدعو إلى تجنُّب

---

(72) ديوان المثقِّب، ص94 .

(73) ديوان المثقب العبدي، ص95، وانظر: معجم البلدان لياقوت الحمويّ (وعواع) ، وشعراء النصرانية قبل الإسلام، ص415 .

(74) المصدر السابق ، نفسه ص99، والأبيات في لسان العرب (دمي) من غير عزو. ونسبتها بعض المصادر إلى الفرزدق تارة وإلى الأخطل، وعلي بن بدَّال من بني سُلَيْم تارة أخرى.

الغِيبة، ويزن الأمور بميزان التؤدة والأناة. والأبيات الأخيرة (لعمرك ...) نُسبت لأكثر من شاعر مما يجعل الشك يدنو إليها .

**خاتمة**

1- المُثقِّب العَبْديُّ شاعرٌ جاهليٌّ قديم مُقِل، من أهل البحرين يُعدُّ من أكبر شعراء نُكْرَة، سُمِّي المُثقِّب لقوله: (... وثَقَّبنَ الوَصَاوِصَ للعُيونِ).

2- في بعض شعره غرابة ألفاظ ومتانة تراكيب وحيناً يميل شعره إلى السهولة. وصف عناصر السوء في مجتمعه، ولاسيما المنافقين الحُوَّل القُلَّب.

3- استجاد كثيرٌ من النقاد قصيدته النُونيَّة (أفاطمُ ...) وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء حين قال : "لو كان الشعرُ مِثْلَها لوجب على الناس أن يتعلَّموه".

4- وصف المُثقِّب الحيوان من ناقة وفرس وثور وحشيّ، مُجيداً في وصف الناقة ، كيف لا وقد كانت رفيقته في سفر طويل الأمد، واصفاً إياها بإحساس بدويّ قُح في حركتها وسكونها، قاطعاً بها المَهامِه والقِفار، حتى جأرت بالشكوى غير مرة (أهذا دِينُه أبداً ودِيني) . ويُؤخذ عليه عدم إشفاقه عليها رغم ما قدَّمته له من أياد بيضاء، ممتطياً إياها في جِدِّه وهَزْله ، ثم وصف الفرس والثور الوحشيَّ وصفاً مُقتضباً، وقد جاء استطراداً ولم يعتد الشاعر عليه .

5- نأى غزلُ المُثقِّب عن الصفات الحسيَّة إلَّا اليسير منها، ذاكراً الوَصْل والهَجْر ، ذارفاً دموعاً غِزاراً على فراق الأحبة ،مُسهباً في وصف الظَّعْن بشيء من البراعة والإمتاع. وجاء بعض غزله في مفتتح قصائده تقليداً لما تواضع الشعراء عليه ، وهو حينئذ خالٍ من عاطفة حرَّى وهوى جامح .

6- مدح المُثقِّبُ الملكَ عمرو بن هند، وأبا قابوس النعمان بن المنذر بكرم الأرومة، وإخضاع قبائل من العرب ، ذاكراً سلطانهما الباطش، مُخيّراً ممدوحه عمرو بن هند بين الصداقة الحقَّة والعداوة الصريحة. ثم مدح خالد بن أنمار مُطْرياً كرمه وطِيب معشره ونائله الغَمْر، وجعله ماله وقاية لعِرْضه ، لمَّا فكَّ أَسْرَ ابن أخت المُثقِّب (شأس بن نهار) المعروف بالمُمزِّق العبديّ. وهو مدح سهل الألفاظ سلسها، ليس فيه ألفاظ حوشيَّة مُتوعِّرة، رغم أنَّ المُثقِّب جاهليٌّ قديم .

7- صورة الفخر بالقبيلة عند المُثقِّب مألوفة مكررة عند جُلِّ شعراء عصره من نَعْت رجال القبيلة بالشجاعة وحسن الفعال ، بيد أن فخره بشيمه ودماثة خُلُقه جيِّد للغاية من رعاية حقوق الجار، وتحاشي الغِيبة، والحلم على الجُهَّال وهي معانٍ جِدُّ عظيمة يفتقر إليها الناس في كل زمان ومكان، قمينة بالدرس والتطبيق .

8- خلا شعرُ المُثقِّب من الهجاء، ولعله كان يُوطِّن نفسه على التسامح، ولا يبادل السيئة بمثلها، مُتصاماً عن الكلام السيّئ وليس به صمم. ولكنَّ في شعره شيئاً يسيراً من العتاب، واللدد في الخصومة. ويبدو أن أبيات الخصومة في شعره تفتقر إلى دليل دامغ، فقد نُسبت إلى أكثر من شاعر، وهي لا تتسق والسياق العام لشعر المُثقِّب، وقد أخبر شعره بأنه كان يزن الأمور بميزان التؤدة والأناة .

**التوصيات:**

**1**- دراسةُ شعر المُثقِّب دراسةً بلاغيةً تُظهر صوره وأساليبه البيانيَّة والمُحسِّنات البديعية .

**2**- دراسة شعراء قبيلة نُكْرَة وفي مقدمتهم المُفَضَّل النُكْريُّ والمُمزِّق العَبْديُّ وقد أزوَرَّت أقلام الباحثين والدارسين عنهما .

**المصادر ولمراجع**


أولاً: القرآن الكريم

(17) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر – بيروت ، عام 1982م.

(14) ابن رشيق القيروانيُّ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، طبع دار الجيل – بيروت ، ط4، عام 1972م.

(11) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق مُفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، عام 1985م.

(18) ابن منظور، لسان العرب، طبع دار صادر – بيروت (د.ت) .

(1) أبو الفرج الأصفهانيُّ، الأغاني، دار الثقافة – بيروت، ط8، عام 1990م.

(20) أبو عُبيد البكريُّ الأندلسيُّ ، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السَّقَّا، عالم الكتب، بيروت ، عام 1945م.

(15) إيليا حاوي ، فن الفخر وتطوره في الأدب العربيّ، منشورات دار الشرق الجديد – بيروت، ط1، عام 1960م.

(16) إيليا حاوي، فن الوصف وتطوره في الشعر العربيّ، نشر دار الشرق الجديد– بيروت، ط، عام 1959م.

(2) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، نشر دار مارون عبود، بيروت، عام 1979م .

(7) البغداديّ، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1977م ، ومكتبة الخانجى– القاهرة، (د.ت) .

(10) التبريزي، شرح المفضليات، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت) .

(6) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر مصطفى البابي الحلبي– مصر، ط2، (د.ت) .

(3) جاد المولى وآخرين، أيام العرب في الجاهلية طبع عيسى البابي الحلبي، مصر، عام 1942م.

(8) جوستاف فون جرنباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة د. إحسان عباس وآخرين، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (د.ت) .

(9) ديوان المُثقِّب العَبْديّ، تحقيق وشرح: د. حسن حمد، دار صادر– بيروت، ط1، عام 1996م.

(4) طه حسين ،حديث الأربعاء طبع ونشر مؤسسة هنداويّ – القاهرة

(5) عمر فرَّوخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت (د.ت).

(12) لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (د.ت).

(13) محمد بن سلَّام الجُمحيّ، طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين، شرح وتحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة– مطبعة المدني (د.ت).

(21) المُفضَّل الضَّبّيُّ، المفضليات، تحقيق وشرح :أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، بيروت – لبنان ، ط6، (د.ت) .

(22) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، طبع دار نهضة مصر، عام 1965م.

(19) ياقوت الحمويُّ، معجم البلدان، طبع مطبعة السعادة – مصر ، ط1، عام 1906م.

# أثر استخدام الهواتف الذكية على انحراف الأحداث بالتطبيق على عينة من أطفال مدارس الأساس بمدينة ود مدني

الدكتور / آدم أحمد آدم – جامعة أم درمان الأهلية – كلية الآداب – قسم علوم الاتصال

**المستخلص**

تسعى هذه الدراسة لمعرفة أثر أجهزة الهواتف الذكية على انحراف الأحداث، وتمثلت مشكلة هذه الدراسة في سؤال رئيس وهو: ما هو أثر الهواتف الذكية في انحراف الأحداث وتأثيرها الاجتماعي والنفسي عليهم؟ وتنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله وهو الهواتف الذكية وتأثيراتها على الأطفال والتي أصبحت من أهم الوسائل التي يستخدمها الأطفال في حياتهم، أيضاً تتمثل أهمية الدراسة في أننا نعيش الآن في عصر نتشار الهواتف الذكية بشكل مخيف ، حيث أضحت هذه الوسائل من أكثر الأشياء التي يستخدمها الناس وتأخذ الكثير من الوقت مما يجعلها تأثر كثيراً في سلوكهم بشكل مباشر.

تهدف هذه الدراسة لمعرفة أثر استخدام الأطفال للهواتف الذكية في عملية التفكك الأسري بأبعاده الاجتماعية والنفسية، وهل يسهم فعلاً استخدام هذه الأجهزة من قبل الأحداث في انحرافهم سلوكياً، وما هي آثارها الإيجابية والسلبية ، كما تهدف الدراسة إلى التعرف على أسباب ودوافع استخدام الهواتف الذكية عندهم ، ستتبع الدراسة المنهج الوصفي والمنهج المسحي ، كما تستخدم الدراسة المنهج التاريخي في الإطار النظري للبحث، ستكون الاستبانة هي أداة هذه الدراسة الرئيسة وذلك من خلال تصميم استمارة وتوزيعها على عينة من مجتمع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أثر، الهواتف الذكية، انحراف، الأحداث

**Abstract**

The study seeks to identify the impact of smartphones on juvenile delinquency. The problem of the study is represented in a main question: what is the impact of smartphones on juvenile delinquency, besides, smartphones' social and psychological effects on them? The significance of the study comes from the importance of the topic it tackles; smartphones and their impacts on children, never the less smartphones become the most important means that the children use in

their life. Also the significance of the study represented in the issue that we live in an era of terrifying widespread of smartphones, that become the most used and time-consuming gadgets, the thing that makes smartphones have the most immediate impacts on juveniles' life.

The study aims at identifying the impacts of children's use of smartphones on family disintegration with its social and psychological dimensions. Does the juveniles' use of these devices really contribute to behavioral deviation? What are the positive and negative effects? As well as the study aims at identifying the reasons and motives behind juveniles' use of smartphones. The study adopts the descriptive method as well as survey. It also uses the historical method in the theoretical part of the study. A questionnaire will be the main tool of the study. The questionnaire will be distributed to the sample of the study population.

Key terms: Impact, smartphones, delinquency, juveniles.

**المقدمة:**

بات الناس في وقتنا الحالي يكتفون باستخدام الهواتف في التواصل اليومي والعلاقات العائلية والأسرية ، فمن رسائل الدردشة إلى الاتصال الصوتي أصبحت كلماتنا وعباراتنا أكثر جفافاً وألفاظنا أكثر برودة لإيصال مشاعرنا للغير، حتى أمست تعابيرنا المكتوبة تفتقر إلى عمق المعنى وجوهره، أصبحت الهواتف الذكية منتشرة في حياتنا بشكل واسع حيث انتقلت من كونها ظاهره إلى شيء أساسي نكاد لا نشعر بالعالم إلا من خلاله حتى وصلت إلى مرحله الإدمان فأصبح استخدام الأجهزة الذكية في التواصل الاجتماعي يمثل عقبة كبيرة جداً أمام عمليه التواصل المباشر بين أفراد المجتمع، وكما هو معروف لدى الجميع تمثل العلاقات الاجتماعية داخل بناء الأسرة أهمية كبيرة في علم الاجتماع نظرا لما تحظى به الأسرة من مكانة هامة في المجتمع لأنها تمثل أهم المؤسسات والمنظمات الاجتماعية في المجتمعات كافة .

ومع التطور التكنولوجي الذي أفرز عدة تحولات مستويات جميع بنيات المجتمع والذي انعكست آثاره على الأسرة و بالتالي على وظائفها و مهامها كمؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالمحيط الذي تتواجد فيه، الأمر الذي تسبب في تقليص دور الأسرة وتحلل العلاقات التي تربط بين أفرادها فانعكس ذلك على تنشئة الطفل ومستقبله وتحولت مهام التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى .[1]

(1) محمد سلامة غباري – الدفاع الاجتماعي في الجريمة – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2007 – ص : 131-139

إن عملية انحراف الأحداث عملية معقدة ومتشابكة الأبعاد والأسباب فمنها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي، ولا يمكن أبداً تناول مشكلة انحراف الأحداث بمعزل عن السياق الاجتماعي والنفسي وحتي البيئي الذي يعيشون فيه ، فالتنشئة الاجتماعية وسوء التكيف الاجتماعي هما عاملان أساسيان في هذه العملية ، ومع التطور التكنولوجي الهائل في جميع مناحي الحياة دخلت عوامل أخرى وأصبحت من أهم الأسباب التي تؤدي لانحراف الأحداث ، فالأجهزة الذكية والإنترنت والتطبيقات الذكية الأخرى التي غزت المنازل وأصبحت متاحة للكبار والصغار على حد سواء أسهمت بشكل أو بآخر في تغيير مستوى التفكير ودخول أفكار ومفاهيم جديدة على حياة الأطفال .

تعرض مشكلة هذا البحث لأثر الهواتف الذكية في عملية انحراف الأحداث اجتماعياً وسلوكياً، وبيان مدى أهمية هذه الأجهزة ودورها الإيجابي والسلبي في ترابط الأسرة ، وتتمثل مشكلة هذا البحث في سؤال رئيس مهم: ما هو أثر الهواتف الذكية في انحراف الأحداث وتأثيرها الاجتماعي والنفسي عليهم ؟

وتنبع أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله وهو الهواتف الذكية وتأثيرها على حياة المجتمع لا سيما الأطفال، ويعد هذا البحث مهماً أيضاً لأنه يتناول قضية انحراف الأحداث التي تعد من أكبر المشكلات التي تؤرق الأسر بصورة خاصة والمجتمع ككل بصورة عامة.

يسعى البحث للوصول لعدة أهداف وذلك لمعرفة التأثير الذي يحدثه الهاتف المحمول على الأحداث ومن أهم هذه الأهداف الآتي:-

1 – التعرف على أثر استخدام الأطفال للهواتف الذكية في عملية التفكك الأسري بأبعاده الاجتماعية والنفسية .

2 – إبراز الأثر الذي تحدثه الهواتف الذكية كأداة تساهم في انحراف الأحداث.

3 – التعرف على إيجابيات وسلبيات الهواتف الذكية .

4 – كما يهدف البحث للخروج بنتائج وتوصيات علمية تسهم في معالجة المشكلات التي تواجه الأسر والمجتمعات عند التعامل مع هذه الأجهزة .

ومن أهم الأسئلة التي يسعى البحث للإجابة عليها ما يلي:

1 – ما مفهوم الهواتف الذكية؟

2– ما مفهوم انحراف الأحداث ؟

2 – ما مدى تأثير الهواتف الذكية على سلوك الأحداث ؟

3 – ما هي أسباب ودوافع استخدام الهواتف الذكية عند الأحداث ؟

4 – ما هي الآثار الإيجابية والسلبية لاستخدام الهواتف الذكية بالنسبة للأحداث ؟

**منهج البحث وأدوات جمع المعلومات:-**

استخدم الباحث منهج المسح الميداني ، لطبيعة الدراسة التي تتطلب جمع بيانات ومعلومات من الجمهور، والدراسات المسحية (Survey studies) هي جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة للتعرف عليها وتحديد وضعها ومعرفة جوانب الضعف والقوة فيها، لمعرفة مدى الحاجة لإجراء تغيرات فيها، ويعتبر المسح أكثر طرق البحث التربوي والاجتماعي استخداماً ، ذلك لأننا بواسطته نجمع وقائع ومعلومات موضوعية عن ظاهرة معينة أو حادثه مخصصة، أو جماعة من الجماعات، أو ناحية من النواحي .[2]، كما استخدم الباحث المنهج التاريخي في الإطار النظري لهذه الدراسة.

استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع المعلومات، تعتبر الاستبانة أو الاستقصاء أداة ملائمة للحصول على معلومات وبيانات وحقائق مرتبطة بواقع معين ، ويقدم الاستبيان بشكل عدد من الأسئلة يطلب الإجابة عنها من قبل عدد من الأفراد المعنيين بموضوع الاستبيان.[3]

كما استخدم الباحث الملاحظة الشخصية أيضاً في عملية جمع المعلومات، الملاحظة تعبر عن رؤية الظاهرة المدروسة ومتابعة تغيراتها، ويتجلى الغرض من استخدام هذه الوسيلة في تقصي بعض المؤشرات الأولية الخاصة بالدراسة والتي يصعب قياسها، وذلك بما تولده من ثقة بين المجتمع والباحث، ثم بما يتهيأ للباحث نفسه من فرصة لفهم بعض المواقف التي لا تجد فيها الوسائل الأخرى .[4]

**مصطلحات البحث :-**

**الأثر:** هو نتيجة الاتصال وهو يقع على المرسل والمتلقي على السواء وقد يكون الأثر نفسي أو اجتماعي.

**الأجهزة الذكية:** يعرفها الباحث إجرائياً بأنها أجهزة اتصال شخصية إلكترونية تحتوي على عدد هائل من التطبيقات والخدمات مثل الرسائل النصية والاتصال الصوتي والمرئي وخدمات البيع والشراء الإلكترونية والألعاب الإلكترونية وغيرها من خدمات الاتصال الرقمي.

**انحراف الأحداث:** موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن (الحدث) لعامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السببية مما يؤدي به إلى السلوك غير المتوازن أو محتمل أن يؤدي إليه.[5]

الإطار النظري

**أولاً الأجهزة الذكية:-**

(2) رجاء دويدري – البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر المعاصر ط1، دمشق: 2002 ص307

(3) ذوقان عبيدات، وآخرون – البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع الرياض: 2002 ص : 145

(4) محمد الوفائي – مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة: 1979ص: 144

(5) رمضان السيد، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث ، دار المعرفة الجامعية، ط1 ، 2000 ص : 27

الهاتف النقال هو أحد أشكال أدوات ووسائل الاتصال الذي يعتمد على الاتصال اللاسلكي ، عن طريق شبكة من أبراج البث الموزعة ضمن مساحة معينة ، كذلك فإننا نستطيع أن نعطي للهاتف النقال تعريفاً أكثر شمولية ودلالة بأنه عبارة عن دائرة إرسال واستقبال عن طريق إشارات ذبذبيه عبر محطات إرسال أرضيه ومنها فضائية مثل إشارات الراديو، إلا أن الهاتف المحمول او الموبايل وشبكاته الأرضية يختلف عنها ، فإشاراته تكون ذبذبيه تشبه إشارات رسم القلب تصاعدياً وتنازلياً وهي إشارات قوية تصل إلى ( MZ 20) إرسالاً واستقبالاً في الثانية الواحدة ويكون ذلك إما عن طريق الاتصال حيث تكون عن طريق دائرة متكاملة تكمن في الهاتف المحمول الشخصي والمفتاح أو السويتش الرئيسي الخاص بالشركة والخط ، اما ما يسمى بالسيم كارد (SIM CARD) فهو عبارة عن بطاقة صغيرة فيها وحدة تخزين صغيرة جداً ودقيقة ووحدة معالجة تخزن بها بيانات المستخدم والبريد الذي يقوم باستخدامه للاتصال بالآخرين . (6)

اتسعت ظاهرة استخدام الهاتف المحمول بالنسبة للأطفال في الآونة الأخيرة وتعامل معها المجتمع عموماً والآباء والأمهات خصوصاً بمبررات ساقها مؤيدو هذه الظاهرة مثل التواصل وتحقيق رغبة الطفل وتكوين شخصيته المستقلة لتصبح ظاهرة طبيعية يتقبلها من الآباء والأمهات في كثير من مجتمعاتنا، إذ أصبحت أجهزة التلفون النقال أو ما يسمي الموبايل هي الأخرى مزودة بشاشة عرض وكاميرا رقمية حيث تحولت هذه الأجهزة إلى تلفزيونات متنقلة تمكن صاحبها من مشاهدة مباريات كرة القدم بكاملها أو أحداث وقعت للتو ، وبامتلاك هذا الجهاز لهذه الخصائص أي الصوت والصورة معاً أصبح هو الآخر إحدى أدوات الطفل المصاحبة له وإذا الحقنا بهذا الجهاز الكاميرا الرقمية التي يصل درجة نقاء صورتها إلى مستوىً عالٍ والتي يستطيع من خلالها الطفل أن يرسل ويستلم الصور يصبح لدينا جهاز كمبيوتر نقال بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

ومن المعروف أن كل فئات المجتمع تعاني من استخدام الهواتف الذكية سواء كان ذلك بممارسة الألعاب الإلكترونية او الاستماع للموسيقى أو مشاهدة المقاطع المرئية بالإضافة للتراسل الشخصي ، كل ذلك يستقطع وقتاً كبيراً وثميناً من ممارسة العادات اليومية الطبيعية كالتفاعل الفعلي بين الناس والحركة بينهم ، ويتسبب ذلك في عزل الناس عن البيئة المحيطة بهم ويجعلهم انطوائيين ومنعزلين عن المجتمع .

إلى جانب ذلك ازدياد إهمالهم لأمور أخرى كتراجع الرغبة في القراءة مما يؤدي إلى خفض الإنجاز الدراسي بسبب انشغالهم بشكل مبالغ فيه ولا سيما الرسائل القصيرة والنغمات أكثر من اهتمامهم بالجانب الدراسي مما يؤدي إلى تقليل الساعات التي ستصرف في المطالعة والتحصيل المعرفي وإنجاز الواجبات الدراسية المناطة بالفرد وبالتالي ستكون العاقبة على الفرد نفسه في إهماله لدروسه والتي تؤدي إلى رسوبه.(7)

---

(6) عامر إبراهيم قنديل – الإعلام الإلكتروني – دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – ط1 – عمان – 2015 – ص : 270

(7) عبد الرازق محمد الدليمي– الإعلام والعولمة – مكتبة الرائد العلمية – ط1 – عمان – 2004 ص : 13

يتعرض الأطفال عبر هذه الأجهزة لكم هائل من الأفكار والمواد الغير لائقة مما يفتح أعينهم على أشياء محظورة أو لا تناسب سنهم بسبب سهولة الدخول لهذه المواقع وتوفرها بشكل كبير مما يسبب لهم بعض الصدمات النفسية والعاطفية التي تؤثر بالتأكيد في سلوكهم وحياتهم على المدى الطويل خاصة مع ارتباطهم الوثيق مع هذه الأجهزة التي عادة ما تقدم لهم كهدية من الوالدين أو الأهل .

**الخدمات التي تقدمها الهواتف الذكية :-**

مع تطور أجهزة الهاتف النقال أصبحت الأجهزة أكثر من مجرد وسيلة اتصال صوتي بحيث تستخدم لما يأتي :[8]

1 – كأجهزة كمبيوتر للمواعيد واستقبال البريد الصوتي وتصفح الإنترنت .

2 –الأجهزة الجديدة يمكنها التصوير بنفس نقاء ووضوح الكاميرات الرقمية.

3 – كما أصبحت الهواتف النقالة إحدى وسائل الإعلان .

4 – الاتصال بالآخرين ورؤيتهم عن طريق الجيل الجديد من الأجهزة DCT4 المزودة بكاميرات دقيقة .

5 – يمكن إرسال الرسائل القصيرة لأي مكان في العالم .

6 – الاستماع إلى MP3 والأغاني بامتدادات مختلفة .

7 – إضافة إلى التسلية بالألعاب وكذلك ألعاب الجافا الجديدة .

8 – وكذلك الاستماع إلى الراديو ومسجل الصوتيات وغيرها من الألعاب المشتركة بين الأجهزة وعبر خطوط الإنترنت .

**مزايا الهاتف الذكي للأطفال :-**

مزيا الهاتف النقال عموماً :

1 – قرب الجوال بُعد المسافات بين الناس فلأنه محمول يمكن من التواصل مع الآخرين في أي مكان يوجدون فيه على عكس الاتصال التلفوني المقيد بالمكان.

2 – مد المساحة الشخصية إلى المساحة العامة ليتم التواصل بين الأهل والأصدقاء في: مكان العمل ، السفر ، الدراسة ، السوق كأنه في المحيط الشخصي.

3 – حافظ على خصوصية الاتصال وجهاً لوجه .

4 – زاد من الحميمية بين المتصلين ونقل الألفة معهم إلكترونياً .

5 – وسيلة شخصية للإقناع بين المتصلين .[9]

---

(8) عامر إبراهيم قنديلجي – الإعلام الإلكتروني – مرجع سابق – ص : 273

(9) مصطفى يوسف كافي – الإعلام التفاعلي – دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2016 – ص : 198

أما بالنسبة للمزيا التي يوفرها استخدام الهواتف الذكية للأطفال وكيفية استفادتهم منها فيمكن أن نجملها في الآتي : [10]

1 – تنمية روح الابتكار والإبداع لدى الطفل من خلال التطورات التي تحدث في الأجيال الجديدة من الهواتف النقالة .

2 – اكتساب الطفل المزيد من الثقة إعطائه شعوراً باستقلاليته وكينونته، حيث ينبغي أخذ الحيطة والحذر بهذا الشأن .

3 – الإفادة من المزايا العديدة في الهاتف النقال لا سيما تلك المتعلقة بالجوانب التعليمية أو الفنية أو الاجتماعية، مثلاً تصوير الطبيعة بغرض رسمها وكذلك استخدام الوسائط لأغراض نافعة .

**مضار الهاتف الذكي للأطفال :-**

1 – تراجع المستوى الدراسي للطفل: هذه الأفعال وغيرها التي يمكن أن تحدث من جراء استخدام الهاتف قد تؤدي مع مرور الأيام إلى انشغال الطفل عن بعض الأمور التي يتوجب عليه فعلها في مرحلة الدراسة من مذاكرة وقراءة وكتابة وتحضير واجبات إلى آخر ذلك .

2 – فساد الأخلاق: قد يستخدم الطفل ملحقات الهاتف ( الكاميرا والبلوتوث وغيرها) استخداماً سيئاً يقوده إلى ارتكاب المخالفات ووقوعه في أضرار قد لا يحمد عقباها، فنجد أن استخدام الطفل للهاتف يفتح عينيه على أشياء لا تتناسب مع سنه فتضيع براءة الطفل ويعيش في سن أكبر من سنه بالإضافة إلى استخدامه في تصوير الأهل والنساء في المناسبات مما قد يتسبب في حدوث مشاكل للأسرة ويلحق ضرراً كبيراً بها .

3 – كما لا يخفى علينا الجانب النفسي الذي ينعكس على الطفل بسبب مشاهدته لبعض الصور المخلة بالآداب وكذلك المضار الصحية بسبب تعرض الطفل للذبذبات التي يصدرها هذا الجهاز .[11]

(10) هناء جاسم السبعاوي – دراسات موصلية – العدد (14) شوال 1428 الموافق 2006 – ص . 79

(11) فاطمة شوكت محمد – مجلة الأمن والحياة – العدد (224) – جمادي الأول 1430 الموافق 2008 – ص : 37

**ثانياً مفهوم انحراف الأحداث :-**

**تعريف الحدث:** هو الصغير منذ ولادته حتى بلوغ سن الرشد التي حددها القانون وهي ثمانية عشر سنة فنرى أن الحدث الجانح هو الذ تظهر عليه ميول ورغبات مضادة للمجتمع بشكل خطير بحيث يصبح عرضة للملاحقة والإجراءات الرسمية ، لذلك فإن الواجب دراسة حالته وتقديم كل ما من شأنه المساعدة على معالجة الاختلالات بما يؤدي إلى إعادة تكيفه الاجتماعي وممارسة دوره في المجتمع . [12]

**أسباب انحراف الأحداث :-**

التفكك الأسري : إن حدوث المشاكل بين الوالدين أو بين الوالدين والأبناء يؤدي إلى الكراهية بين أفراد الأسرة ، كذلك علاقة الوالد بأبنائه التي تتسم بالقسوة أو الإهمال والتذبذب في المعاملة والميل إلى السخرية من أبنائه وتحقيرهم وغيابه عن المنزل ، كذلك أمهات الجانحين يتصفن بأنهن مهملات وعدائيات ولا يتحملن المسؤولية ، كما أن حالات الطلاق والهجران بين الوالدين تؤدي إلى تداعي العلاقات داخل الأسرة ، لذلك نرى أن الجانح لم ينل القسط الكافي من الإشباع الأسري .(13).

رفقاء السوء : يتأثر الحدث بشكل مباشر برفاقه حيث أن الصحبة السيئة تبني جزءاً كبيراً من الشخصية المنحرفة للطفل، وغالباً ما تتكون الصداقات بين أبناء الجوار أو الزملاء في المدرسة من نفس الجنس وأحيانا من الطبقة الاجتماعية ذاتها.

التقليد : نرى أن الأبناء يقلدون والديهم، فعندما يكون الوالدين يشجعون على الإجرام ويهيئون مناخاً مليئاً بعدم الأمان والإشباع العاطفي يتأثر أطفالهم بصورة مباشرة بهذا الأمر، ولكن التقليد الآن أصبح يشمل الأبطال الخارقين الذين يشاهدهم الطفل على التلفاز أو الإنترنت أيضاً .

**التنشئة الاجتماعية للحدث :-**

التنشئة الاجتماعية هي عملية يتم من خلالها إكساب الوليد الموروث الثقافي لمجتمعه وتدريبه على الولاء للنظم الاجتماعية في مجتمعه وإتقان المهارات الأساسية للتعامل والعمل في المجتمع ، ومن العوامل التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية ( البيئة الطبيعية، الطبقة الاجتماعية، الدين، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي، المستوى التعليمي والمؤسسات المجتمعية).[14]

**أساليب التنشئة الاجتماعية للحدث :-**

* السيطرة .
* الحماية الزائدة.
* تفضيل أحد الأبناء على غيره.
* الخضوع للطفل .

---

(12) عارف محمد – الجريمة في المجتمع نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي، الأنجلو المصرية – القاهرة – 1990 – ص : 53

(13) مصطفى عبد المجيد كاره – مقدمة في الانحراف الاجتماعي – معهد الإنماء – الإسكندرية 1985 – ص : 111

(14) عبد الرازق محمد الدليمي – الإعلام التربوي – دار المسيرة للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2011 ص : 57

* التدليل .
* التذبذب في معاملة الوالدين .
* عدم ضبط سلوك الأطفال.
* المعاملة السوية والأسلوب الأمثل .[15]

الدراسة التطبيقية

**مجتمع البحث :-**

يتكون مجتمع الدراسة من أطفال مدارس الأساس من عمر 7 سنوات إلى 15 سنة اللذين يقطنون في مدينة ود مدني بولاية الجزيرة السودانية.

**عينة البحث :-**

تتكون عينة الدراسة من عدد (100) طفل تم اختيارهم بصورة عشوائية شملت الجنسين وذلك في الفترة من يناير 2019 إلى أبريل 2019.

**أداة البحث :-**

استخدم الباحث أداة الاستبانة لجمع المعلومات من العينة المختارة ، كما استخدم مقياس ليكرت الخماسي للإجابة على فقرات الاستبانة .

جدول رقم (1) يوضح مقياس ليكرت الخماسي

| التصنيف | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| الدرجة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |

**تحليل فقرات ومحاور البحث :**

تم استخدام العديد من الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة ، واستخراج المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والوزن النسبي .

**المحور الأول:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات السرقة والاحتيال عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الأول قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة ، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الأول وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (2) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على حالات السرقة والاحتيال عند الأحداث

(15) / نفس المرجع السابق – ص : 58

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | اقتناء الهواتف الذكية عن طريق السرقة | 3.9 | 0.074 | 76 | 2 |
| 2 | تسريب البيانات والصور الشخصية للآخرين | 4 | 0.079 | 80 | 1 |
| 3 | الانتقام من الآخرين عن طريق سرقة هواتفهم أو إتلافها | 3.5 | 0.070 | 71 | 4 |
| 4 | تسجيل المكالمات للفتيات بدافع الابتزاز | 3.6 | 0.071 | 73 | 3 |
| 5 | استخدام الهواتف كوسيلة للتخيط لسرقة المحلات أو البيوت | 2.8 | 0.052 | 58 | 5 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.87 | 0.83 | 78.5 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن تسريب البيانات والصور الشخصية للآخرين أتى في المرتبة الأولى، بينما أتت فقرة اقتناء الهواتف عن طرق السرقة ثانياً، تليها ابتزاز الفتيات عن طريق تسجيل المكالمات في المرتبة الثالثة، في حين جاءت فقرة الانتقام من الأشخاص الآخرين عن طريق سرقة هواتفهم أو إتلافها رابعاً، وأخيراً فقرة استخدامها كوسيلة للتخطيط للسرقة والابتزاز في المرتبة الخامسة والأخيرة، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تلعب دوراً كبيراً وسلبياً على سلوك الأطفال عندما يتعلق الأمر بالسرقة والاحتيال.

**المحور الثاني:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات الاعتداء والقتل عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الثاني قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الثاني وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (3) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على حالات القتل والاعتداء عند الأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | استدراج الآخرين عن طريق الهواتف الذكية بغرض الابتزاز أو القتل | 2.5 | ..42 | 43 | 5 |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 2 | توثيق ونشـــر الجرائم عبر منصـــات التواصل الاجتماعي | 4.1 | ..81 | 82 | 1 |
| 3 | زيادة التنمر الإلكتروني بين الأحداث | 4 | ..80 | 80 | 2 |
| 4 | تقليد مشـــاهد العنف التي يراها الحدث من خلال الهواتف الذكية | 3.9 | ..75 | 78 | 3 |
| 5 | المســـاهمة في زيادة الجريمة من خلال نشر الشائعات | 3.8 | ..72 | 76 | 4 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.4 | ..70 | 72 | |

يتضـح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سـبق أن توثيق ونشـر الجرائم عبر منصـات التواصـل الاجتماعي أتى في المرتبة الأولى، بينما أتت فقرة زيادة التنمر الإلكتروني بين الأحداث ثانياً، تليها تقليد مشـاهد العنف التي يراها الحدث من خلال الهواتف الذكية في المرتبة الثالثة، في حين جاءت فقرة المسـاهمة في زيادة الجريمة من خلال نشـر الشـائعات رابعاً، وأخيراً فقرة اسـتدراج الآخرين عن طريق الهواتف الذكية بغرض الابتزاز أو القتل في المرتبة الخامسة والأخيرة، وهذا يدل على أن استخدام الأجهزة الذكية عند الأطفال يؤدي إلى نشر الجرائم عبر منصات التواصل الاجتماعي بصورة كبيرة .

**المحور الثالث** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات تعاطي وبيع المخدرات عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الثالث قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الثالث وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (4) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على حالات تعاطي وبيع المخدرات عند الأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تعاطي المخدرات والإتجار بها | 3.6 | ..70 | 75 | 2 |
| 2 | الترويج للحبوب المخدرة من خلال الهاتف الذكي | 3.9 | ..78 | 73 | 3 |
| 3 | يصبح الطفل أكثر عنفاً بين أقرانه | 3.8 | ..76 | 79 | 1 |
| 4 | يقع الطفل تحت طائلة القانون بسبب تعاطي أو الإتجار بالمخدرات | 3.8 | ..46 | 62 | 5 |
| 5 | استدراج أطفال آخرين لتعاطي أو بيع المخدرات | 2.9 | 0.62 | 71 | 4 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.7 | 0.71 | 69 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن فقرة يصبح الطفل أكثر عنفاً بين أقرانه أتت في المرتبة الأولى، بينما أتت فقرة تعاطي المخدرات و الإتجار بها ثانياً ، تليها الترويج للحبوب المخدرة من خلال الهاتف الذكي في المرتبة الثالثة ، في حين جاءت فقرة استدراج أطفال آخرين لتعاطي أو بيع المخدرات رابعاً ، وأخيراً فقرة يقع الطفل تحت طائلة القانون بسبب تعاطي أو الإتجار بالمخدرات في المرتبة الخامسة والأخيرة ، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تؤثر سلباً على سلوك الأحداث عندما يتعلق الأمر بتعاطي المخدرات و الإتجار بها وما يترتب على ذلك من تبعات أخرى كالعنف .

**المحور الرابع** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على التحصيل الدراسي عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الرابع قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الخامس وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (5) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على التحصيل الدراسي للأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | استخدام الهاتف الذكي أثناء المحاضرة يؤدي إلى تشتيت انتباه الطفل | 4.1 | ..79 | 81 | 1 |
| 2 | استخدام الهاتف الذكي في التواصل بين الطالب والأستاذ يؤدي إلى غياب التواصل المباشر بينهما | 3.6 | ..66 | 72 | 5 |
| 3 | يؤثر استخدام الهواتف الذكية على الجوانب النفسية والاجتماعية وحتى الصحية للأطفال وبالتالي على التحصيل الدراسي | 3.9 | ..77 | 80 | 2 |
| 4 | استخدام الهاتف الذكي أثناء الفصل الدراسي يؤثر على التحصيل الدراسي على المدى الطويل | 4 | ..80 | 78 | 4 |
| 5 | يؤدي الاستخدام المستمر للهواتف الذكية وخاصة الألعاب الإلكترونية لشغل الطالب ذهنياً وبالتالي دراسياً | 3.9 | ..76 | 79 | 3 |
| 6 | الدرجة الكلية | 4.1 | ..82 | 80 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن استخدام الهاتف الذكي أثناء المحاضرة يؤدي إلى تشتيت انتباه الطفل أتى في المرتبة الأولى ، بينما أتت فقرة يؤثر استخدام الهواتف الذكية على الجوانب النفسية والاجتماعية وحتى الصحية للأطفال وبالتالي على التحصيل الدراسي ثانياً ، تليها يؤدي الاستخدام المستمر للهواتف الذكية وخاصة الألعاب الإلكترونية لشغل الطالب ذهنياً وبالتالي دراسياً في المرتبة الثالثة ، في حين جاءت فقرة يؤثر استخدام الهاتف الذكي أثناء الفصل الدراسي يؤثر على التحصيل الدراسي على المدى الطويل رابعاً، وأخيراً فقرة استخدام الهاتف الذكي في التواصل بين الطالب والأستاذ يؤدي إلى غياب التواصل المباشر بينهما في المرتبة الخامسة والأخيرة ، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تؤثر بصورة كبيرة على عملية التحصيل الدراسي للأحداث.

**المحور الخامس:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على البعد الديني عند الأحداث؟

للإجابة على أسئلة المحور الخامس قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة ، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الخامس وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (6) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على البعد الديني عند الأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تساعد على نشر الأكاذيب والشائعات بين العائلات | 3.2 | ..65 | 80 | 2 |
| 2 | تؤدي للكسل والخمول والإرهاق المستمر | 3.9 | ..75 | 78 | 3 |
| 3 | نقل الأسرار الأسرية بقصد أو دون قصد | 2.9 | ..47 | 49 | 4 |
| 4 | الانشغال عن أداء الفرائض والعبادات والتركيز على الأجهزة الذكية | 2.5 | ..42 | 45 | 5 |
| 5 | انتشار الفواحش والرذائل بين الأحداث من خلال ما يعرض على الهواتف الذكية | 4.2 | 0.75 | 82 | 1 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.2 | 0.066 | 67 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن انتشار الفواحش والرذائل بين الأحداث من خلال ما يعرض على الهواتف الذكية أتى في المرتبة الأولى ، بينما أتت فقرة أنها تساعد على نشر الأكاذيب والشائعات بين العائلات ثانياً ، تليها تؤدي للكسل والخمول والإرهاق المستمر في المرتبة الثالثة، في حين جاءت فقرة نقل الأسرار الأسرية بقصد أو دون قصد رابعاً ، وأخيراً فقرة الانشغال عن أداء الفرائض والعبادات والتركيز على الأجهزة الذكية في المرتبة الخامسة والأخيرة، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تلعب دوراً كبيراً وسلبياً على سلوك الأطفال عندما يتعلق الأمر بالبعد الديني وخاصة انتشار الفواحش والرذائل بينهم .

جدول رقم (7) يوضح الترتيب العام للأبعاد أعلاه

| البعد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|
| البعد المتعلق بحالات السرقة والاحتيال | 3.75 | 760. | 75 | 2 |
| البعد المتعلق بحالات الاعتداء والقتل | 2.9 | 700. | 67 | 5 |
| البعد المتعلق بتعاطي وبيع المخدرات | 3.5 | 660. | 64.3 | 4 |
| البعد المتعلق بالتحصيل الدراسي | 3.87 | 840. | 77.5 | 1 |
| البعد المتعلق بالجانب الديني | 3.7 | 720. | 73.2 | 3 |
| الدرجة الكلية | 3.6 | 0.67 | 74.2 | |

يتضح من الجدول أعلاه أن البعد المتعلق بتأثير الهواتف الذكية على التحصيل الدراسي للأحداث احتل المرتبة الأولى بين جميع الأبعاد الأخرى، في حين أن البعد المتعلق بتأثير الهواتف الذكية على سلوك الأطفال من ناحية السرقة وحالات الاحتيال احتل المرتبة الثانية ، بينما احتل البعد المتعلق بالجانب الديني وتأثير الهواتف الذكية على الأطفال في هذا الجانب المرتبة الثالثة، كما احتل البعد المتعلق بتعاطي وتفشي وبيع المخدرات بين الأحداث المرتبة الرابعة ، وأخيراً البعد المتعلق بحالات القتل والاعتداء في المرتبة الأخيرة ، وهذا يدل على أن الهواتف الذكية تؤثر بصورة مباشرة على سلوك الأحداث في جميع مناحي حياتهم المختلفة .

**الخاتمة....**

1 – اتضح من خلال الدراسة أن استخدام الأحداث للهواتف الذكية يزيد من ميلهم نحو ارتكاب جرائم السرقة والإبتزاز .

2 – اتضح من خلال الدراسة أن استخدام الأحداث للهواتف الذكية يؤدي إلى زيادة ظاهرة نشر الصور الشخصية للأسر بقصد ودون قصد .

3 – أثبتت الدراسة أن استخدام الأطفال للأجهزة الذكية يؤدي إلى نشر وتوثيق الجرائم التي تعرض على منصات التواصل الاجتماعي .

4 – أثبتت الدراسة أن استخدام الأحداث للهواتف الذكية يزيد من نسبة التنمر الإلكتروني بينهم .

5 – أكدت الدراسة أن الاستخدام المفرط للأجهزة الذكية يجعل الطفل أكثر ميلاً للعنف بين أقرانه بسبب ما يتعرض له من مشاهد عنف على الأجهزة الذكية .

6 – اتضح من خلال الدراسة أن الأجهزة الذكية تسهم في زيادة نسبة تعاطي المخدرات والإتجار بها بين الأطفال بسبب سهولة الوصول للمواقع التي تعرض هذه الأشياء وكذلك سهولة التواصل عبر الهاتف .

7 – أثبتت الدراسة أن استخدام الهاتف الذكي يؤثر سلباً على التحصيل الدراسي للطلاب .

8 – أكدت الدراسة أن الاستخدام المفرط للأجهزة الذكية يجعل الطفل ينشغل عن أداء الفرائض الدينية، ويؤدي أيضاً لانتشار الفواحش والرذائل بين الأطفال.

**التوصيات :-**

1 – من المعلوم أن استخدام الأجهزة الذكية أصبح أمراً لا مفر منه، لذا يوصي الباحث بضرورة الاستخدام المتوازن للأجهزة الذكية بالنسبة للأطفال.

2 – ضرورة إعادة النظر في كيفية الاستفادة من هذه الأجهزة واستغلالها الاستغلال الأمثل من طرف الأطفال .

3 – القيام بحملات توعوية للأسر لتمكينهم من معرفة مخاطر استخدام الأجهزة الذكية بالنسبة للأحداث .

4 – ضرورة مراقبة الأطفال بصورة مباشرة عند استخدامهم لهذه الأجهزة.

5 – زيادة الاهتمام بالبحوث العلمية المتعلقة بتأثير استخدام الهواتف الذكية على سلوك الأحداث، وإجراء هذه الدراسات بصورة دورية وذلك للتقدم الكبير والمطرد في تقنيات هذه الأجهزة .

1 – ذوقان عبيدات، وآخرون – البحث العلمي ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه، الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع 2002 .

2 – رجاء دويدري – البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، ط1، دمشق: دار الفكر المعاصر 2002 .

3 – رمضان السيد ، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال إتحراف الأحداث ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2000 .

4 – عامر إبراهيم قنديلجي – الإعلام الإلكتروني – دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – ط1 – عمان – 2015 .

5 – عارف محمد – الجريمة في المجتمع نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي – الأنجلو المصرية – القاهرة – 1990 .

6 – عبد الرازق محمد الدليمي – الإعلام والعولمة – مكتبة الرائد العلمية – ط1 – عمان – 2004 .

7 – عبد الرازق محمد الدليمي – الإعلام التربوي – دار المسيرة للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2011 .

8 – فاطمة شوكت محمد – مجلة الأمن والحياة – العدد (224) – جمادي الأول 1430 الموافق 2008 .

9 – محمد الوفائي – مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، 1979 .
10 – محمد سلامة غباري – الدفاع الاجتماعي في الجريمة – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2007 .
11 – مصطفى عبد المجيد كاره – مقدمة في الانحراف الاجتماعي – معهد الإنماء – الإسكندرية 1985 .
12 – مصطفى يوسف كافي – الإعلام التفاعلي – دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2016 .
13 – هناء جاسم السبعاوي – دراسات موصلية – العدد (14) شوال 1428 الموافق 2006 .

**الملاحق:-**

بسم الله الرحمن الرحيم

**استبانة**

الأخ الكريم / الأخت الكريمة

بين يديكم صحيفة استبانة تستخدم كأداة في ورقة علمية بعنوان ..

**أثر استخدام الهواتف الذكية على انحراف الأحداث**

**بالتطبيق على عينة من أطفال مدارس الأساس بمدينة ود مدني**

أرجو التكرم بالإجابة الدقيقة على جميع أسئلة الاستبانة وذلك بوضع علامة (√) أمام الإجابة التي تناسبكم مرة واحدة في كل سؤال ، علماً بأن المعلومات التي ستدلون بها لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي .

،،، ولكم وافر الشكر والتقدير ،،،

**أولاً : البيانات الأساسية :-**

1 – النوع :-

ذكر ☐ أنثي ☐

2 – السنة الدراسية :-

الأول ☐ الثاني ☐ الثالث ☐ الرابع ☐

الخامس ☐ السادس ☐ السابع ☐ الثامن ☐

**ثانياً : أسئلة ومحاور الاستبانة :-**

**المحور الأول** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات السرقة والاحتيال عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| اقتناء الهواتف الذكية عن طريق السرقة | | | | | |
| تسريب البيانات والصور الشخصية للآخرين | | | | | |
| الانتقام من الآخرين عن طريق سـرقة هواتفهم أو إتلافها | | | | | |
| تسجيل المكالمات للفتيات بدافع الابتزاز | | | | | |
| اسـتخدام الهواتف كوسـيلة للتخيط لسـرقة المحلات أو البيوت | | | | | |

**المحور الثاني:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات الاعتداء والقتل عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| استدراج الآخرين عن طريق الهواتف الذكية بغرض الابتزاز أو القتل | | | | | |
| توثيق ونشر الجرائم عبر منصات التواصل الاجتماعي | | | | | |
| زيادة التنمر الإلكتروني بين الأحداث | | | | | |
| تقليد مشاهد العنف التي يراها الحدث من خلال الهواتف الذكية | | | | | |
| المساهمة في زيادة الجريمة من خلال نشر الشائعات | | | | | |

**المحور الثالث:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات تعاطي وبيع المخدرات عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| تعاطي المخدرات والإتجار بها | | | | | |
| الترويج للحبوب المخدرة من خلال الهاتف الذكي | | | | | |
| يصبح الطفل أكثر عنفاً بين أقرانه | | | | | |
| يقع الطفل تحت طائلة القانون بسبب تعاطي أو الإتجار بالمخدرات | | | | | |
| استدراج أطفال آخرين لتعاطي أو بيع المخدرات | | | | | |

**المحور الرابع:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على التحصيل الدراسي عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| استخدام الهاتف الذكي أثناء المحاضرة يؤدي إلى تشتيت انتباه الطفل | | | | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| استخدام الهاتف الذكي في التواصل بين الطالب والأستاذ يؤدي إلى غياب التواصل المباشر بينهما | | | | | |
| يؤثر استخدام الهواتف الذكية على الجوانب النفسية والاجتماعية وحتى الصحية للأطفال وبالتالي على التحصيل الدراسي | | | | | |
| استخدام الهاتف الذكي أثناء الفصل الدراسي يؤثر على التحصيل الدراسي على المدى الطويل | | | | | |
| يؤدي الاستخدام المستمر للهواتف الذكية وخاصة الألعاب الإلكترونية لشغل الطالب ذهنياً وبالتالي دراسياً | | | | | |

**المحور الخامس** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على البعد الديني عند الأحداث؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| تساعد على نشر الأكاذيب والشائعات بين العائلات | | | | | |
| تؤدي للكسل والخمول والإرهاق المستمر | | | | | |
| نقل الأسرار الأسرية بقصد أو دون قصد | | | | | |
| الانشغال عن أداء الفرائض والعبادات والتركيز على الأجهزة الذكية | | | | | |
| انتشار الفواحش والرذائل بين الأحداث من خلال ما يعرض على الهواتف الذكية | | | | | |

# قيمة الإبداع السردي لدى عشاق العصر الجاهلي وأثره في خطابهم الشعري (دراسة أدبية نقدية)

دكتورة/ مها صلاح بشرى محمد عثمان – أستاذ مساعد جامعة أم درمان الأهلية كلية الآداب وجامعة الأحفاد للبنات كلية اللغات

**المستخلص**

تأتي أهمية شعر عشاق العصر الجاهلي في أنهم مثلوا طبقة مهمة من شعراء ذلك العصر، فقد وُهبوا قدراً طيباً من رهافة والحس وعفوية القريحة وبراعة الأســـلوب، فكانوا إذا عُرِض لهم الجمال أخذ بعقولهم واستأثر بأفئدتهم وهاموا يتحدثون عنه ويقرضون الشعر فيه ولا ينشغلون عن شيء أخر سواه.

تهدف الدراســة إلى عرض المعالجات الفنية التي بجريها عشــاق العصــر الجاهلي في ســرد قصــص غرامهم وأثرها في خطابهم الشعري. لقد تنوعت خطابات هؤلاء العشاق وطرائقهم الفنية وأساليبهم عند سردهم للقصــص عشــقهم؛ لأنهم يعبرون عن حاله نفسية معينة يعانيها العاشــق إزاء موقف معين من مواقف الحياة، فتظهر صــدق تجربتهم. ويتدرج سردهم حتى تصــل القصــة في القصــيدة الذروة (الحبكة) " فبعد أن تتصــاعد الأحداث تصــاعداً منطقياً تبدأ الحبكة في النزول تدريجياً، ويســهم ذلك في توســع أفاق حكايتهم الشــعرية، أما الحوار القائم على التســاؤل يعد وســيلة من وســائل طرح الأفكار يجعل القارئ أمام تفاصــيل أكثر ويشــوق السامع؛ وكل ذلك يؤكد قدرة عشاق العصر الجاهلي على الإبداع الفني المتمثل: في متانة السبك، والابتكارات التصــورية، وبراعة الأسلوب، نقش هؤلاء العشاق على صــفحات أشــعارهم كل ما حملته أنفســهم من أحاسيس ووثقوا لأحداث كثيرة وأصــبحت مرجعاً لتاريخ تلك الفترة وبذلك يعد شــعر العشــاق مســودة تاريخية حقيقية ومهمة.

---

(1) الحبكة: تسمى العقدة وهي مصطلح أدبي يقصد به الأحداث المتتابعة المرتبطة برابط السببية التي تتكون منها قصة ما.

**Abstract**

The value of narration in the poetry of lovers in pre-Islamic comes in that they represented an important class of poets of that era. They were endowed with a good amount of delicacy, sense, spontaneity, and ingenuity of style.

The study aims to present the artistic treatments that the lovers of the pre-Islamic era make in telling the stories of their love and their effect on their poetic discourse. Because they express a specific psychological state that the lover suffers from about a certain situation in life, so that it shows the sincerity of their experience. Their narration progresses until the story reaches the climax in the poem (the plot). "After the events escalated logically, the plot begins to descend gradually and this contributes to the expansion of the horizons of their poetic story. As for the question-based dialogue, it is one of the means of brainstorming that makes the reader before the details and the listeners desire; This confirms the ability of lovers of the pre-Islamic era to the artistic creativity represented in the durability of casting, conceptual innovations, and ingenuity of style. These lovers inscribed on the pages of their poems everything that they themselves carried of feelings and documented many events, and became a reference for the history of that period and thus the poetry of lovers is a real and important historical draft .

---

(1) Plot: The node of the knot is a literary term that refers to the successive events related to the causal link that makes up a story.

The value of narrative creativity for pre-Islamic lovers and its impact on their poetic discourse

**توطئة:**

عند دراسة شعر عصر بعينه لا بد من الاطلاع على القيم الفنية والأُسس الفعالة التي تكمن وراء كل عمل أدبي، كما عليه معرفة الشعور الداخلي والتجارب التي أثرت في الصياغة الفنية لذلك العمل الأدبي، لأن الأدب بعامة والشعر بخاصة ترجمان عن التجارب الشعورية والحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، وبما أننا ندرس شعراً متعلقاً بعاطفة الحب بعامة والعشق بخاصة نجد أن الشعراء العشاق حاولوا أن ينقلوا لنا صوراً عن الأحاسيس التي ساورتهم والعواطف التي اجتاحتهم ودفعتهم إلى هذا النتاج الفني، وسعوا إلى تصويره في شعرهم بما يؤثر في نفوس متلقيهم، ويخلب ألبابهم.

الشعر العربي قبل الإسلام يمثل امتداداً قصصياً واضحاً لتاريخ تلك الفترة ومن المعالم الواضحة في شعر عشاق العصر الجاهلي اتجاههم إلى أسلوب السردي القصصي في مواضع بعينها من القصيدة، وظلت أشكال هذه القصص ترسم أغراض الشعر وتتضح فيها معالجاته وتتحد من خلالها معانيهم، من حيث أدائهم وتناسق أفكارهم.

ويعد السرد القصصي مظهراً من مظاهر الجمال في عملية الإبداع الشعري فضلاً عما فيه من روعة ألوان الحياة الاجتماعية ومشاهد الطبيعة؛ لأن الفن الشعري من حيث صوره ومعانيه وألفاظه وتراكيبه الظاهرة ما هو إلا صورة من الواقع الحقيقي الذي يحاول الشاعر أن يصوره لنا من خلال خطابه الشعري.

كان الشعراء العاشق حريصون على العناية بالمرأة في أشعارهم وإعلاء شأنها في نفسهم، فجنح الشعراء العشاق إلى الأسلوب القصصي ليصوروا من خلاله عواطفهم تجاهها، ويصفون لقاءهم معها، ويذكرون ما دار في اللقاء من أحاديث الغرام. فالشاعر الجاهلي بعامة والعاشق بخاصة كان ينظم قصيدته من دوافع نفسية تتعلق بالعاطفة لا عن رغبة في الأخبار. وهو بذلك يحاول تصوير الواقع ويعكس رؤيته لهذا الواقع أي أنه يطفئ جوه النفسي على هذا الواقع، ويعد ذلك ضرب من "الربط المباشر بين الموروث القصصي وتفاصيل التجربة الآنية" [1]. وهذا ما يقوم به الشعراء العشاق عند سردهم لتجربتهم في الحب فتظهر في صورهم التي رسموها عن قصص الحب والعشق الذبول والشحوب، ويغلب عليها الحزن ويتخللها اليأس وغالباً ما تنتهي بالحرمان الذي يمثل البداية أيضا، فكأن الحب دائرة مغلقة لا أمل في الخروج منها، يبدو أن العاشق يلجأ إلى سرد القصة الشعرية لأنها تعد مجالاً رحباً متاحاً يفرغ العاشق تجربته وحكايته الحزينة المؤلمة لعله يصل إلى الراحة النفسية التي ينشدها. يمر السرد القصصي لدى العشاق بثلاثة مراحل:

---

[1] محمود عبد الله الجادر، دراسات نقدية في الأدب العربي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1990م ـــــ 1410هـ ص155.

مراحل الأولى: مرحلة الحدث وتعريف الشـــخصـــيات حيث يظهر فيه أســـباب الخلاف فتبدأ القصـــة بالصعود.

المرحلة الثانية: مرحلة الذروة وتعني النقطة التي تتأزم فيها الأحداث حتى تصل إلى العقدة.

المرحلة الثالثة: الحدث التنازلي أي الذي تبدأ العقدة في الحل ويعقب صيغة الرد والحوار ويخف فيه التوتر ويشـعر القاري بانتهاء التوتر تمهيدا للحل؛ والحل وهو القسـم الأخير من الحبكة وفيه تكون النتيجة ومن أهم عناصر الحبكة التوقيت الذي يعتمد على فهم الكاتب للحياة ولإيقاعها.

وتتباين قيمة السرد القصـصـي لدى الشعراء العشاق من شاعر لأخر، فقد تفننوا في أساليب المعالجات السـردية، ويعتمد فن اسـتخدام البناء القصـصـي في القصـيدة في ضـربين: الضـرب الأول: يتمثل في افتتاح الســـرد بالمقاطع التقليدية المتمثلة ببكاء الأطلال ورحلة الظعن ووصـــف طيف الخيال، ويكون مبيناً على الإدراك الحسي ومشاهد الواقع ويعتمد على الشكل والوصف.

أما الضرب الثاني: فيتمثل في استخدام النمط الإبداعي للقصة الموروثة من تشخيص عناصر التجربة الآنية الذاتية التي يعالجها غرض القصـيدة الأسـاسـي، ويكون مبني على الرواية التاريخية المتواترة... وكلا النوعين يمتاز بروح الحكاية والسرد فيها لا يخلوا من عنصر التشويق والانفعال، بل تتضمن الحوار في بعض مواطنه.

**الضرب الأول . رحلة الظعن ووصف طيف المحبوب:**

رحلة الظعن تحمل في ثناياها قيمة نفســية مرتبطة بالرحيل؛ لأن الشــاعر الجاهلي عرف عنه شــدة ارتباطه بأرضـــه وتعلقه الوجداني بها، مما جعله يحس بثقل وطأة الرحيل في نفســه؛ لذا ظلت رحلة الظعن بالنسبة للشاعر العاشق تمثل المجال النفسي الرحب الذي يعرض من خلاله العشاق تفاصيل أحاسيسهم وشدة معاناته إزاء هذه المتغيرات التي تحدث حولهم، فصـــارت الرحلة تشـــكل المجال الفني الذي تظهر فيه قدرة الشاعر العاشق وبراعة على صوغ أحداث قصته، وتفصيل معالمها على ضوء تجربته، بلغة شعرية متميزة ومثيرة تعكس إحساسه المؤلم بالرحيل والفراق وتظهر فيها القيمة الفنية لخطابه الشعري. قصة الظعن تتخذ مجرى الوصف التقريري لتنامي حدث الرحيل وما يستدعيه التنامي من تشخيص عنصري الزمان والمكان "تتخذ التفاصيل تحولها الانسيابي من خلال طبيعة معاناة الشاعر النفسية وعنف تجربته وقدرته الإبداعية على التصوير"[1]. وتظهر القيمة السردية لذلك التنامي في مقطع الظعن عند المرقش الأكبر[2]:

**لمن الظُّعنُ بالضُّحى طافياتٍ * شبهُهَا الدَّومُ أو خلايا سفينِ**

---

[1] محمود عبد الله الجادر، دراسات نقدية في الأدب العربي، ص83.

[2] ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، ديوان المرقش الأصغر، دار صادر، ط2، بيروت، 1998م، ص78.

جـاعلاتٍ بطْنَ الضّـبـاعِ شِـمـالاً * وبَـراقَ الـنِـعـافِ ذاتِ الـيـمـيـنِ

رافـعـاتٍ رقـمـاً تُـهـالُ لـهُ الـعـيـ * ـنُ على كـلّ بـازلٍ مُسـتـكـيـنِ

عـامِـداتٍ لـخـلّ سَـمْسَـمَ مـاينـ * ـظُـرنَ صـوتـاً لـحـاجـةِ الـمـحـزونِ

بدأ المرقش الأكبر قصته بوصف ظعن النساء ومسالكها في البادية وأنهن يمضين قدماً ولا يبالين بمن خلفهن، ولم ينس المرقش تحديد الأماكن تحديداً دقيقاً في غير لغواً ولا وزيادة فذكر لنا موضـعين (بطن الضياع) و(سمسم) وقد أعطانا الشاعر أيضا زمان ووقت الرحلة حيث خصه بوقت (الضحى). أما المرقش الأصغر فقد سرد لنا بأسلوب مثير ومتين قصته مع فاطمة بنت المنذر وكيف نشأ بينهما الحب. كما وصف الطريقة الوصـول إليها واسـتعانته بالجارية (هند بنت عجلان). ثم نعت الظعائن ورسـم رحلتهن. وأشـار إلى استيحائه من فاطمة لما فعله من إدخال صديقه عليها ثم أوضح الألم والحسرة التي شعر بها التي أودت به إلى قطع إبهامه وجدً عليها فقال[1]:

ألا يا أسلمى لا صرمَ لي اليومَ فاطم * ولا أبـدأ مـا دامَ وصـلـكِ دائمـا

رمتكَ أبنةُ البكريّ عن فرعِ ضالةٍ * وهنّ بنـا خوصٌ يخلنَ نـعـائمـا

صـحـا قلبـهُ عنها على أنّ ذِكـرةً * إذا خطرتَ دارتْ بـه الأرضُ قـائمـا

تبصَّر خليلي هل ترى من ظَعائِنٍ * خَرجنَ سِـرَاعاً واقتعدنَ المَفـائمـا

ألم ترَ أن المرءَ يجـذمُ كفـهُ * ويجشـمُ من لومِ الصـديقِ المَجاشِـما

وقد يذكر في سرد قصص الظعن تفاصيل وأحداث يفاد منها بوصفها أمثال تتناقلها الألسن حيث يبدو "السرد مشحونا بالقوة الدالة على تفاصيل الموت وقادرا على منح الفاعلية للقصة، وذلك لأن هذه القصة هي جزء من الموروث الثقافي والاجتماعي الذي يشـترك الشـاعر فيه مع جمهوره"[1]. وهذا ما نتأمله في قصـة (خزيمة بن نهد) التي غدت مثلا يساق على ألسنة الناس فقد وثق الشاعر قصته من خلال أبيات التي تدل على حبه الشديد فأنشد[2]:

إذا الـجـوزاءُ أردفـتْ الـثـريـا * ظننـتُ بـآل فـاطـمـةَ الظنونـا

---

[1] ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، شعر المرقش الأصغر، ط2، ص53– 54.

[1] محمود عبد الله الجادر، دراسات نقدية في الأدب العربي، ص156.

[2] أبو الفرج الأصـفهاني، الأغاني، تحقيق سـمير جابر، مكتبة دار الفكر، بيروت، ط2، 2002م. ج13/ 75–76، وانظر صحيح الأخبار، ص3/6–7.

**ظـنـنـتُ بـهـا وظـن الـمـرءِ حـوبٌ * وأن أوفـى وأنَ سـكـنَ الـحـجـونـا**

**وحـالـتْ دونَ ذلـكَ مـن هُـمـومـي * همومٌ تخرجُ الشَّـجنَ الـدفينـا**

**أرى أبنـةَ يَـذكرِ ظَعنـتْ فحلـتْ * جنوبَ الحزنِ يـا شـحـطـاً مبينـا**

كان خزيمة بن نهد عاشـق لفاطمة ابنة (يذكر) ويقال أن خزيمة ويذكر خرجا فمرا بهوة من الأرض فيها نحل فنزل (يذكر) ليستخرج عسلاً، و ولاه خزيمة بحبل، فلما فرغ يذكر قال لخزيمة: أمددني لأصعد، فقال خزيمة لا والله حتى تزوجني ابنتك فاطمة، فقال: (يذكر) لا يكون ذلك أبداً وتركه خزيمة حتى مات، وفيها وقع الشر بين قطاعة وربيعة، حاول خزيمة من خلال السرد أن يفصح عنما كان يشعر به ويصف رحيل المحبوب مبيناً المكان الذي نزلت به المحبوبة ومحدداً إياه بـ (جنوب الحزن) والحزن مكان ماء معروف في شرق الدهناء.

كما يظهر عند بعض الشعراء معاناتهم بين التفرد والانتماء، وتنتهي معاناتهم إلى تساؤل شعري متميزاً، كتساؤل المرقش الأكبر الذي حرمه قومه من حبيبته أسماء فافرغ معاناته في المقدمة الطلية الغزلية الملتحفة بمرارة الأسى[3]:

**هـل تـعرفُ الـدّارَ عفـا رسَـمُـهـا * إلاَّ الأثـافـيَّ ومـبـنـى الـخـيـمْ**

**أعرِفُـهـا داراً لأسـمـاءَ فـالـ * دَّمعُ على الخـدَّينِ مسـحٌّ سـجمْ**

**فـهـل تُسـلِّي حُبَّـهـا بـازلٌ * مـا إن تُسـلِّى حُبَّـهـا من أمـمْ**

وقوله في تساؤله عن رحيل الظعن[1]:

**لمنِ الظعنُ بـالضُّـحى طـافيـاتٍ * شِـبـهُـهَـا الـدَّومُ أو خلايـا سَـفِينِ**

بعد أن يهتدي بعض الشعراء إلى الديار يبدأ بسؤالها وتتوارد عليه أسئلة كثيرة، وقد تمتد إلى أن يسأل الطيور ليطلب منها الجواب، بعد أن يئس من الحصول على الجواب الشافي من آثار الديار، فهذا عروة بن حزام يؤكد ذلك قائلا[2]:

**ألا يا غُرابي دمنةِ الدّارِ بيّنا * أبا لصَّرمِ من عفراءَ تنتحِبانِ**

---

[3] عوف بن سعد بن ضبيعة، ديوان المرقش الأكبر، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م. ص76.

(1) عوف بن سعد بن ضبعة شعر المرقش الأكبر، ص78.

(2) إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ديوان عروة بن حزام، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق،2014م. ص43.

يبدو أن الظعن هو الدافع الذي يدفع بالشـــعراء إلى الرحيل في أمل لقاء المحبوبة وهذا يعني أن بث الهوى والتعبير عن لوعة حبه ووجع روحه هو الإيقاع الأول للغزل، ومثل ذلك ما أنشده قيس بن الحدادي[3]:

**ومـا راعنـي إلا المنـادي ألا ظعنـوا * وإلا الـرواغِـي غُـدوةً والـقـعـاقـعُ**

**فجئت كأني مسـتضـيفٌ وسـائـــلٌ * لا خـبـرهـا كـلُّ الـذي أنـا صَـــانـعُ**

**فـــإنَّهمـــا مـــا أتبعـــنَّ فـــأتَّنـــي * حـزيـنٌ عـلـى أثـر الـذي أنـا وادعُ**

قصـة النسيب والوقوف على الأطلال في القصـائد الجاهلية تعبر عن أزمة الإنسـان وموقفه من الحياة وخوفه من المجهول؛ لأن النسيب يمثل ألم الحنين والرغبة في لقاء الوطن والمحبوب. وهو أيضـا بث الشـوق وتذكر الأيام الجميلة التي خلت مع المحبوب وتمني عودتها. فمن النسيب ما كان "نسيب العشق"[1]. كما أن المطالع الغزلية في الشعر العربي بعامة والجاهلي بخاصة تطرد فيها رنة حزينة باكية تكاد تكون سوداوية في بعض الأحيان وهنا يلعب العامل الاجتماعي والنفســي دوراً كبيراً في خلق وتجســيد مفهوم الألم في المقدمة الغزلية، لذا عد بعضهم أن الوقوف على الأطلال وذكر الظعن عاطفة لأنها قد جعلت "من البكاء مصدراً من مصـادر الراحة النفسـية التي تلوذ بها نفس الشـاعر في حالات كثيرة من السـأم والوحدة والعزلة والاضـطراب. كما نلاحظ أن تنوع بدايات القصـائد بهذا الشـكل يشـعرنا بصـدق هذه المقدمات وبالدافع النفسـي الذي كان يدفع الشـاعر إلى الغزل حينا ويصـرفه عنه إلى سـواه حينا آخر، إذاً فالضـيق في اغلب المواقف هو الذي يدفع بالشـــعراء إلى الرحيل الذي يبتغون به خلاصـــا من ذكرى موجعة تهيجها الديار المقفرة، أو خيبة أمل في الحصـــول على الحبيبة أو لحاجة مقيمة في النفس، لذا فإن الشـــاعر يحاول أن يبدي الوجع إزاء الحرمان والكبح، وذلك يعني بث الهوى والتعبير عن لوعة الروح وهذا ما نتأمله في سرد عروة بن حزام في قصـته التي عبر فيها عن شوقه وشعوره بالغربة التي كان يشعر بها نتيجة لفراق عن محبوبته[2]:

**متى تجّمعي شـــوقي وشـــوقكِ تُفدَحي * ومـالـكِ بـالـعـبءِ الثَّقيـلِ يـــــدانِ**

**فيـا كبـدينـا من مخـافـةِ لوعـــــةِ * الـفراقِ ومن صـــرفِ الـنوى تَجِفـانِ**

**وإذ نحنُ من أن تَشـــحطَ الـدارُ غربـةً * وأن شُـــقَّ للبينِ العصـــا وجـــــلانِ**

---

(3) حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ط1، مطبعة جامعة بغداد، 1990م. ص39.

(1) عبد الرحمن شـــكري، دراســـات في الشـــعر العربي، تحقيق وجمع محمد رجب البيومي، الدار المصـــري اللبنانية، القاهرة،1414هـ –1994هـ، ص145.

(2) إبراهيم السامرائي، شعر عروة بن حزام، ص13.

يبدو أن الشاعر العاشق يعكس في سرده بعض مخاوفه وقلقه حتى في وصفه لذاته لذلك يتكرر في خطابه الشعري التساؤل الاستنكاري وكأنما أراد أن يتكلم عن حبه بصرخة ألم وهذا كله ناتج عن حرمان المحب من حبيبته، فغياب المحبوب يولد حيرة واغتراب في داخله، وهذا الاغتراب في النفس ناتج عن الإغراق والمبالغة في الحب، مما يؤدي إلى الاغتراب عن الحياة إذا استشرى الأمر فيقف الإنسان في نطاق محكم لا يُدع له حرية الحركة والتفكير في غيرها. وهذا الخوف من الفراق وهذه الحيرة التي تصيب المحبين تكون شديدة الأثر في المتيمين والعشاق الذين استغرقهم العشق... فآمالهم مقصورة إلى الحذر من زوال محبوبتهم. لذا هؤلاء الشعراء يشيع لديهم "لون من الحيرة والتردد والتساؤل عن غاية هذا الوجود الإنساني ومعناه"[1]ويظهر هذا التساؤل جليا وواضحا في صياغة عبارات: لم الطلل، ولمن الديار، أتعرف رسم الدار، أمن آل هند.. حيث أن هذه الصيغ تمثل شكلا منهجياً واحداً من الأشكال التي تقف أمام كثير من الأعمال الشعرية التي أقدم عليها شعراء الجاهلية، وهي تمثل في صياغتها التساؤل الضائع الذي كان يدور في رأس الشاعر وهو يقف أو يحاول أن يقف عند ديار الأحبة الدارسة، وقد استطاع الشاعر استغلال هذا التساؤل ليظهر من خلاله موجات المشاعر المتدفقة من الحيرة وليبين أحاسيس الوحدة والغربة والانعزال التي كانت تقف شاخصة بكل أبعادها أمامه وهو يتلمس الزمن بقسوته والطبيعة بمظاهرها القوية، والدهر بمصائبه وحوادثه، فالشاعر يحاول بهذا التساؤل أن يخفف من آلم المعاناة ويحاول أن يبين لنفسه وللآخرين ما فعل الزمن بمكان الأحبة، وذلك ما أومأ إليه عنترة قائلا[2]:

**يا دارُ أين ترحّلَ السُّكانُ * وغدت بهم من بعدنا الأظعانُ**

**بالأمسِ بكِ الظباءُ أوانساً * واليومَ في عرصاتكِ الغربانُ**

فالشاعر العاشق الذي يقاسي من الحب والشوق والحرمان، ويغرق في سرد مأساته إنما تتملكه ذكرى واحدة، وصورة واحدة وهي صورة محبوبته، وسرعان ما يفقد ذلك العاشق توازنه الفكري ويصاب بالذهول والارتباك من أثر الحرمان الذي يؤدي إلى نشوء سلسلة من التساؤلات والشكاوى. كما هو الحال عند مضاض الجرهمي الذي حاول من خلال تلك التساؤلات الكثيرة أن يبين مقدار عذابه ومقاساته فهو القائل[1]:

**علام قَبستِ النارَ أمُ غالبٍ * بنارِ قُبيسٍ حين هاجتكِ نارهُ**

**على كبدِ حرى وأنتِ عليمةً * بغيبٍ رقيق لا يُبينَ ضِمارهُ**

---

[1] السيد أحمد عمارة، دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، ط1، مكتبة المتنبي، 1998م. ص144.

[2] الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1412هـ 1992م. ص149.

[1] وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، المطبعة الوقفية، ط1، 1347هـ . ص193.

ويتبين من ذلك أن القيمة القصصية لشعر العشاق يتصدر منهج سردها بدوافع نفسية يستوحيها الشاعر من معانته في حبه وألمه لفراق محبوبته. لذا عندما تقرأ قصص أولئك الشعراء تشعر بقوة عاطفتهم الجياشة وهم يصفون صراعهم الدائم، ويحللون شعورهم بتلك العاطفة التي سدت عليهم كل مجال. فجاء شِعرهم مصوراً لقلوب محترقة بنار الحب لدرجة أصبح الألم فيها يسيطر على كل كيانهم وصار الشعر هو المصدر الوحيد لراحتهم النفسية. إذاً هذا العاشق لم يكن لاهياً عابثاً حين يعاني الألم حبه ويترجمه إلى قيمتها في خطاب الشعري، فلقد حاول أن يستغل الطلل في إقامة علاقة بينه وبين من كانوا في الطلل وربط بين ماضيه وماضيهم ليستطيع من خلال هذا الربط التحدث عن الصراع النفسي الموجود في داخله نتيجة لألم الفراق. ووجد في الطلل منفذا يظهر من خلاله قيمة سرده معاناته التي سببها الوقوع تحت سطوة الظرف البيئية الشحيحة، وقانون الزمن الصارم وقدرته الخارقة على تغيير الناس والأشياء من حوله فكان كل شاعر يحمل في رحلته ذكريات الأيام الحلوة التي قضاها مع حبيبته فيعبر عنها في خطابه الشعري الذي يظهر فيه القيمة السردية وقفته الطلية.

**الضرب الثاني : سرد القصص والمغامرات العاطفية:**

سرد لنا العديد من الشعراء العشاق الكثير من الحكايات المشوقة مع محبوباتهم، فعندما يقف الشاعر ليصف حالته بعد رحيل محبوبته عن الديار وكيف أصبحت مقفرة موحشة ويصف ما يحس به من مشاعر حزينة وكئيبة، بعد ذلك يتذكر العاشق قصصته ومغامراته العاطفية يكون حريصاً على الإلمام بكل صغيرة وكبيرة تحيط به ويسجل كل ذلك في أبيات تستوعب كل مشاعره وحوادث حبهم وعلاقاتهم العاطفية بأسلوب يتلاءم مع حالتِهم النفسية، ومن أمثال تلك القصص حكاية امرئ القيس عن دارة جلجل والتي يحاول من خلالها أن يسرد تفاصيل مغامراته العاطفية التي استغرقتها هذه الأبيات[1]:

**ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ * ولا سَّيما يومٌ بدارةِ جُلجُلِ**

**ويومِ عقرتُ للعذارى مطيتي * فيا عجبا من رَحلِها المتحمَّلِ**

**يظلُّ العذارى يرتَمين بلحمِها * وشحمٍ كُهَّدابِ الدِّمقسِ المفتَّلِ**

**ويومَ دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزَةٍ * فقالت لكَ الويلاتُ أنَّك مُرجلي**

حاول امرأ القيس أن يوضح من خلال هذا السرد قيمة عشقه ومقدار حبه لابنة عمه التي ظل يطلبها ولم يصل إليها. حتى كان يوم الغدير (دارة الجلجل) وأمنيته أن ينال يوم أخر مثله، بعد أن كابد ما كابد من تدلل الحبيبة (فاطمة) ووصف إعراضها عنه. كذلك سرد لنا قيس بن الحدادة عفة حبيبته وأنه قد جاورها

[1] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان امرئ القيس، تحقيق أبو الفضل، مطبعة دار المعارف، مصر 1958م. ص10–11.

شهوراً، لكنه لم ينل منها شيئاً، وعندما يغيب عنها تحفظ غيبه ناقلاً لنا هذه الحكاية في هذه الأبيات في ثنايا قصته معها[1]:

أجـدَّكَ إنْ نَعمٌ نـأتْ أنـتَ جـــــازعُ * قـد اقتربـتْ لـو أنَّ ذلـكَ نـافِـــــعُ
قـد اقتربـت لـو أنَّ فـي قربِ دارهـا * نوالاً ولكن كـلَّ من ضـــنَّ مـانـــــعُ
وقـد جـاورتنـا في شـــهورٍ كثيـــــرةٍ * فمـا نـوَّلـتْ واللهُ راءٍ وســـامـــــعُ
وظنِّي بهـا حِفظٌ لغيبي وراعيـــــةٌ * لمـا اســـترعيـتْ والظنُّ بـالغيـبِ واسِـــعُ

يبين ابن الحدادي في ســرده حال حبيبته وما تتمتع به من قيم أخلاقية جميلة متمثلة بالعفة والشــرف وحفظ الغيب، حتى وإن طال غياب من تحب. ومن ذلك أيضــا ما نراه واضــحاً في قصــيدة عروة ابن حزام الذي حاول سرد قصة حبه لعفراء وما تحمله من مشاق في سبيل حبه لها، معرجاً على غدر عمه الذي فرقه عمن يحب، بالإضافة إلى ذكر الواشين وما قالوه، ولم ينس أمنياته المتمثلة بلقاء من يحب في الدنيا والأخرة. وقد أومأ إلى كل ذلك من خلال هذين البيتين قائلا[2]:

خليلّي من عُليْـا هِلالِ بن عـامرِ * بصـــنعـاءَ عوجـاً اليـومَ وانـتظراني
ألم تحلفـا بـاسِ أني أخوكمـــــا * فلـم تـفعلا مـا يـفعـلُ الإخـــــوانِ

ويستمر عروة في تصوير ألمه وعذابه من حب عفراء قائلا[3]

متى تكشـــفـا عني القميصَ تَبَيَّنَـا * بـي الضُّـــرِ من عـفراءَ يـا فـتيـانِ
وتعترفـا لحمـاً قليلاً وأعظمـــــاً * دقـاقـا وقلـبـاً دائـمَ الـخـفـقـــــانِ
فيـا ليـتَ كـلَّ أثنينِ بينهمـا هوىً * من النـاسِ والأنعـامِ يلـتقيـــــانِ
فيقضـــى مُحـبٌّ من حبيـبٍ لُبـانـةً * ويـرعـاهـمـا ربـي فـلا يُـرِيـــــانِ

لقد حدد عروة في قصــته المكان الذي جرت فيه الأحداث وهو (صــنعاء). ويلاحظ أن امرئ القيس في أبيات المعلقة يهتم بنفســه ويفصــح عنها معتزاً أو متفاخراً أو حزيناً متألماً، أو معجباً شــاكراً، غير أن هذه الذاتية يظهر فيها التناسق بحيث تترابط أطرافها في قصص متداخلة تنتظم في قصة كبرى هي قصة الشاعر مع فاطمة التي شاركته معظم بطولة القصص. فهذه القصة أشبه ما تكون بمذكرات يقولها الشاعر عن نفسه،

---

[1] حاتم صالح الضامن، عشر شعراء مقلون، ص37.

[2] إبراهيم السامرائي، شعر عروة بن حزام، ص13.

[3] المصدر نفسه، ص11-12.

أو ذكريات حب سرد أغلبها عن ابنة عمه فاطمة. لم ينس أمرؤ القيس سرد حكاية الأهوال والبطولة والإقدام والتحدي التي صادفها أثر لقائه بالحبيبة فاطمة[1]:

**وبيضـــةِ خدرٍ لا يرامُ خباؤهـــــا * تمتَّعتُ من لهوٍ بها غير مُعجلِ**

**تجاوزتُ أحراســـاً وأهوالَ معشـــرٍ * علـيَّ حراصٍ لو يُســـرّون مقتلي**

**إذا ما الثرَّيا في الســـماءِ تَعرّضـــتَ * تعرُّضَ أثناءِ الوشـــاحِ المفصَّـــلِ**

**فجئتُ وقد نضـــتْ لنومٍ ثيابهـــــا * لـدى السِّـــترِ ألا لبســـة المتفضِّـــلِ**

يحكي أمرؤ القيس مغامراته بأسلوب سردي مثير من خلال وصف لحبيبته وصفاً متأنياً وأفصح عن محاولته التي تجاوز بها الأحراس والأهوال التي تحيط بحبيبته، ثم وصـــف هيئتها وهي تســـتعد للنوم بعدما غيرت ملابسها ففاجئها ودخل عليها. فهو بذلك قد أتخذ من السرد سبيلاً للغور في تفاصيل قصته الشعرية التي أتسمت بروح المغامرة والتحدي. هذه الملامح السردية لا تقتصر لدى امرئ القيس وحده فها هو مضاض الجرهمي يحكي قصته مع (مي) بأسلوب سردي مفصح ويعبر عن معاناته التي تكبدها نتيجة الوشاية بينه وبين من يحب فقال[1]:

**علامَ قبستِ النارِ يا أمَ غالـــبٍ * بنـارِ قُبيسٍ حينَ هاجتكِ نـــــارهُ**

**على كبدٍ حرى وأنتِ عليمـــــةٍ * بغيـبٍ رقيقٌ لا يبينُ ضـــمـــــارهُ**

**ســألتكِ بالرحمنِ لا تجمعي هوى * عليـهِ وهجرانـا وحبـكِ جـــــارهُ**

**فأن لم يكن وصلٌ فلفظِ مكانـــهُ * إليـهِ وألا موطنِ المـــــوتِ دارهُ**

**خليلي عُوجا بي إذا متُ وأبكيا * على دنفِ بطنَ الضـــريحِ وجـــــارهُ**

**صريعُ هوى نائي المحلةَ نـــازحُ * ســـبحاً بعد إشـــراقِ الصـــباحِ نهارهُ**

حكاية مضـــاض تدور حول حالته النفســـية وتكبده المعاناة من اجل حبيبته (مي) التي كنى لها بأم غالب. وتظهر في هذه القصـــة قيمة عنصـــر الزمان والمكان، فمضـــاض أهتم بالمكان وحدده تحديداً دقيقاً وهو(الجار). وهذا هو المكان الذي تم فيه لقاءه بحبيبته (مي)، ثم يبين الشاعر المكان الذي يتم فيه دفنه وهو (موطن الموت) ويطالب أصـحابه أن يندبوه في هذا الموضـع. أما الزمان فحدده بوقت الصـباح (سـيما بعد إشراق الصباح نهاره). وهذا الزمان لا يساوي زمان الحادثة الفعلي، يبدو أن الشاعر العاشق يكتفي بالتفاصيل

---

[1] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان امرئ القيس، ص13–14.

[1] وهب بن منبه، التيجان، ص195.

التي تهمه وتسترعي نتباهه ويكون لها أثرها على نفسه أو نفس السامع، وذلك لأن قيمة الوصف الأدبي هي: "أمر فكري مجرد عن نقل المادة التي تشمل الحادثة ولذلك كان أقصر وأسرع حركة وأداء"[2].

أما عبد الله بن العجلان سرد أحداث طلاقه لزوجته وما آل إليه من ضعف ووجد بعد فراقها . فصرح قائلا[1]:

فارقتُ هنداً طائعاً * فندمتُ عند فراقِها
فالعينُ تُذري دمعةً * كالدّرِ من آماقِها
متحلب فوقَ الردى * ءِ يجولُ في رقراقِها
خود رواحٌ طَفلَةٌ * ما الفُحشُ من أخلاقِها
ولقد الذُّ حديثَها * وأسُر عند عناقِها

ويُعد عنترة من الشعراء العشاق الذين بلغت شهرته بالحب عالم الأساطير، لكن نلاحظ أن قصصه الشعرية التي تصور هذا الحب وحوادثه تغاير مما وجدناها عند غيره من الشعراء.. فقد كان حديثه عن الحبيبة يتمحور في سرد بطولاته وفروسيته، لعله يسعى إلى إبراز شخصيته أمام ابنة عمه العاشق لها كما يريد أن يثبت لمن حوله أنه الفارس المغوار الذي عير وأهين بأنه العبد. وفي سرد عنترة لقصته مع عبلة يتعجب منها لأنها انصرفت عنه متضاحكة لما رأت ما به من نحول الجسم وشحوب الوجه، ولم يزين نفسه عند لقاءِها فصور ذلك بصدق قائلا[2]:

عَجبتْ عُبيلةُ من فتىً مبتذَّلِ * عاري الأشاجعِ شاحبٍ كالمُنصُلِ
شعثِ المفارقِ مُنهجٍ سِربالهُ * لم يدَّهنْ حولاً ولم يترَّجلِ
لا يكتسي ألا الحديدَ إذاً أكتسى * وكذاكَ كلُّ مُغاورٍ مُستبسِلِ
فتضاحكتْ عجباً، وقالتْ قولةً * لا خيرَ فيكَ كأنَّها لم تَحفِلِ
فعجبتُ منها كيفَ زَلَّت عَينُها * عن ماجدٍ طلقِ اليدينِ شَمردلِ
لا تَصرميني يا عُبيلة وراجعي * فيَّ البصيرةَ نظرةَ المُتأمِّلِ
فلرُبَّ أملحَ منكِ دلاً فأعلمي * وأقرَّ في الدُّنيا لعينِ المُجتَلي

---

[2] عناد غزوان إسماعيل، المرثاة الغزلية في الشعر العربي، مطبعة الزهراء، ط1، بغداد، 1974م. ص178.

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 146/22.

[2] الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص154– 155.

**وصـــلتْ حِبالي بالذي أنا أهلـــــهُ * مـن ودِّهـا وأنـا رَخـيُّ المـطـــــولِ**

يُوجه عنترة خطابه الشعري إلى حبيبته ويبث في سردِهِ صور من فروسيته وبسالته في القتال، لكن حبيبته ضحكت منه لما رأت ما فعل به القتال. فالعربي الفارس لا يقبل الإهانة، لذا لجأ عنترة للإفصاح عن شخصيته بشقيها الأخلاقي والحربي أمام الحبيبة. ويلاحظ أن قيمة روح الحكاية أو القصة في شعر عنترة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمواقف من حياته المتمثلة في بطولته ومواقف شجاعته، كما أن تفاصيل القصة في شعره كانت بسيطة عفوية غير مدروسة، فهي قصيرة الموضوع لا تتجاوز بضعة أبيات. ويعرضُ عنترة حوادثها بشكل سريع دون أن يتوسع في تفاصيلها الدقيقة وذلك يترك مجال للسامع في التأمل.

كان لقصص البطولات التي سردها العديد من الشعراء العشاق أثرها في نفوس من يحبون. فهذا بشير بن عوانة يستهل قصيدته بخطاب ابنة عمه (فاطمة) التي كافح من اجل الحصول على مهرها الذي طلبه منه عمه، وفي أثناء الطريق يعترضه أسد وتدور معركة بينه وبين الأسد. الشاعر يحاول من بداية مطلع القصيدة تأكيد صفة الشجاعة لنفسه لعله يفوز بود الحبيبة أو المعشوقة[1]:

**أفـاطمُ لـو شـــهـدتِ ببطنِ خبـتٍ * وقـد لاقـى الـهـزبـرُ أخـاكِ بشـــرا**

**إذاً لـرأيـتِ لـيـثـاً زار لـيـثـــــاً * هـزبـراً أغـلـبـاً لاقـي هـزبـــــرا**

**تـبـهْـنـسَ أحـجـم عـنـهُ مُـهـرِي * مُـحـاذرةٌ، فـقـلـتُ: عـقـرتَ مـهـرا**

**يُكفكفُ غيلـةً إحـدى يـديـــــهِ * ويـبسـطُ لـلـوثـوبِ عـلـى أخـرى**

**يُـدلُّ بـمـخـلـبٍ وبـحـدِّ نـــــابٍ * وبـاللَّحظـاتِ تَحسـبُهُنَّ جمـــــرا**

**وفي يُمنـايَ مـاضـــي الحـدِّ أبقى * بمضـــربـهِ قـراعُ الـموتِ أثـــــرا**

**ألم يبلغـكَ بمـا فعلـتْ ظبـــــاهُ * بكـاظـمـةً غـداةَ لـقـيـتُ عـمـــــرا**

**نصـــحتـك فـالتمس يـا ليـث غيري * طـعـامـاً إن لـحـمـي كـان مـرا**

**فـلـمـا ظـن أنَّ الـغِـشَّ نُـصْـــحـي * وخـالـفِـنـي كـأنـي قـلـت هُـجـرا**

**مشـــى ومشـــيْتُ من أســـديْنَ رَاما * مـرامـاً كـانَ إذ طـلـبـاهُ وعْـرَا**

---

[1] أحمد بن الحسن بن الحسين بن يحيي بن بديع الزمان الهمذاني، شرح مقامات بديع الزمان، تحقيق محمد عبدو، ط2، دار الكتب العلمية، 1426هـ - 2005م، ص462-470، وانظر الحماسة البصرية، 1/104-105. محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ.، 2/145.

**هَزَزْتُ لـهُ الحُســـام فخِلْـتُ أنّـي * سـلَلْـتُ بِـه من الأضـلاع عشـرا**

وتأتي نهاية هذه الحكاية بظفر الشاعر في صراعه مع الأسد ليؤكد مقدار شجاعته وجرأته. كما اهتم بشير بن عوانة بتحديد مكان الواقعة بينه وبين الأسد فهو (خبت) وتظهر في القصة القيمة الأخلاقية للشاعر بمصداقية في سرد تلك الأحداث. وكثيراً ما كان الشعراء العشاق يعمدون إلى سرد الوقائع إلى حبيباتهم ويصورون لهن ما أبلوا من بلاء حسن في ميدان القتال. ليكسبوا ودهن حيث كانت هذه السمة إحدى السمات التي تحبب الرجل إلى المرأة وتقربها منه لأن المرأة كانت مثل الرجل تمجد البطولة وتبث روح الشجاعة فيه. كما نجد الشاعر العاشق الفارس يحاول الحفاظ على من يحب اذا ما تعرضت لخطر ويبذل نفسه في سبيل إنقاذها وهذا ما سرده أبو نصر البراق الذي أنقذ حبيبته من أيدي الأعداء في قوله[1]:

**آمـنْ دونِ لـيلـى عوَّقتنـا العَوائـقُ * جُـنـودٌ وقفـرٌ تـرتـعـي الـنَّـقـانـــــقُ**

**وعـجـمٌ وأعـرابٌ وأرضٌ ســـحـيـقـةٌ * وحصـــنٌ ودورٌ دونـهـا ومعـالـــــقُ**

**وغرَّبـهـا عنـى لَـكِيزٌ بجـهـلـــــهِ * ولمَّـا يعقـهُ عنـدَ ذلـكَ عـائـــــقُ**

**وقلَّـدني مـالا أطيقُ إذا ونـــــتْ * بنو مُضَـــر الحُمُر الكِرامُ الشـــقـائقُ**

ويستمر الشاعر في سرد أحداث قصته فيصف الديار بعد غياب المحبوبة عنها (ليلى) وأنها أصبحت قفراً موحشاً. ثم يذكر عمه (لكيز) أبا (ليلى) وكيف عرضها للسبي حينما رفض زواجه منها فأُخذتْ أسيرة. ثم نذر بأنه لن ينام على خيمته حتى يثأر لشرفها. نلاحظ أن الشاعر أثناء سرده للقصة أغفل عن تحديد زمان ومكان هذه الأحداث مكتفيا بسرد أحداثها.

ومن الأساليب التي استخدمها امرئ القيس الشعراء العاشق في سرده المفصحة عن الحوار صيغة (قلت وقالت) وبرزت هذه الصيغة واضحة في حواره الشعرية في هذه الأبيات[1]:

**ويومَ دخلـتُ الخـدرَ خـدرَ عُنيزةٍ * فقالـت: لـكَ الويلاتُ أنَّـك مُرجلـــــي**

**تقولُ: وقد مالَ الغبيطُ بنا معـــــاً * عقرتَ بعيري يـا امرأَ القيسْ فـأنزلِ**

**فقلـتُ لهـا: ســيري وأرخي زِمـامَـهُ * ولا تُبعـديني من جَنـاكِ المعلّـــــلِ**

**فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضـــعاً * فـألهيتُهـا عن ذي تمـائمَ مُغيـــــلِ**

---

[2] الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، مطبعة دار المشرق،1890 ط1، بيروت، ص145.

[1] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان امرئ القيس، ص11–**12**.

حاول امرئ القيس من خلال حواره هذا أن يضفي على قصته ظلالاً من روح الواقع الذي كان منغمساً فيه. نلاحظ أن المقاطع الحوارية في أشـــعار امرئ القيس تتردد فيه (قال وقالت) كثيراً ولاســـيما في معلقته بخاصة هذه الأبيات[2]:

**فجئـتُ وقـد نضـــتْ لنومِ ثيـابهـا * لدى السِّـــترِ لا لبســـةَ المتفضِّـــــلِ**

**فقـالـتْ: يَمينُ اللهِ مـالـكَ حيلـــــةٌ * ومـا أن أرى عنـكَ العَمَـايـةَ تَنجلي**

**إذا قلـتُ: هـاتي نوِّليني تمـايلـتْ * على هَضِـــيمَ الكشـــحِ رِيَّا المخلخَـــــلِ**

وتظهر صـراحة امرئ القيس في سـرده بحيث يتحدث عن مغامراته بكل جراءه وفحش... لعله تحدث بهذا الأسـلوب وسـلك هذا السـلوك؛ ليشـبع غريزته التي عبر عنها وعرفت عنه. كما يلاحظ أن حوار امرئ القيس يبدأ (بارتياع الحبيبة) من مفاجأة الشـاعر لها، وبلومه الممزوج بالدلالِ وهذا الأسـلوب ابتدعه الشـاعر لنفسـه وأظهر فيه تعمقا بمعرفة نفسية النساء، فكأنه مزيجاً من الوصف النفسي والحوار القصصي. وبذلك يكون أضاف في حواره صورة جديدة للقصيدة توصل إليها خياله وظهرت فيها قيمة الأبداع السردي في خطابه الشعري.

لقد اتكأ عنترة في حكايته العاطفية على الوصـــف والســـرد ولم يعتني بالحوار أي أن الحوار يشـــكل استثناء في خطابه الشعرية، يقصد من ذلك أن عنترة عندما يحكى قصته يعرض لنا مشهداً حوارياً بسيطاً ثم يواصل في سرد القصة، وتأتي هنا قيمة الحوار السردي في أحداث نوعاً من التشويق والانفعال مع الأحداث. ويتبين ذلك حينما بعث جاريته لتتجسس أخبار محبوبته وتستطلع أخبارها فقال[1]:

**فبعثـتُ جـاريتي فقلـتُ لهـا اذهبي * فتجسَّـــسِـــي أخبـارهـا لـي واعلمـي**

**قـالـتْ رأيـتُ من الأعـادي غـــرَّةً * والشـــاةُ مُمكنـةٌ لمن هو مُرتـــــمِ**

ويتضـــح من ذلك أن حوار امرئ القيس لا يهدف إلى أهداف فنية، وإنما يهدف إلى معان نفســـية ترتبط بالغزل، لذا لم يعط الحوار العناية الضرورية فهو يوظف غزله في خدمة فروسيته وبطولته وما الحب لديه إلا ضرب من الفروسية، يلاحظ أن كثيراً ما يفصح الشعراء العشاق عن عواطفهم وعواطف حبيباتهم في أسلوب حواري يلتمسون من خلاله مشاعر حبيباتهم ويحاولون تحليل مشاعرهم، ولا يتعرضون فيها للوصف الحسي كما يفعل امرئ القيس. ومن أمثلة ذلك ما قال عبد الله بن العجلان: [1]:

---

(2) المصدر السابق، ص14-15.

[2] المصدر نفسه، ص213-214.

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 12ج، ص253-254.

**خليلي زورا قبل شحطَ النوى هنداً * ولا تأمنا من دارِ ذي لطفٍ بعدا**

**وقولا لها ليسَ الظِلالُ أجازنا * ولكننا جِزنا لنلقاكم عمدا**

يختلف حوار ابن عجلان عن امرئ القيس، فيتبادل الحوار مع أصحابه الذين أرسلهم إلى من يحب. من المشاهد التي يصورها ويطابق قيس بن الحدادي امرئ القيس في حواره حيث يحكي ما دار بينه وبين حبيبته قائلا[2]:

**وقلتُ لها: في السّرِ بيني وبينها * على عجلِ أيانَ من سارٍ راجعُ**

**فقالتْ: لقاءٌ بعد حولٍ وحجَّةٍ * وشحط النوى ألا لذي العهدِ قاطعُ**

**وقد يلتقى بعد الشَّتاتِ أولو النَّوى * ويسترجعُ الحيَّ السحابُ اللوامعُ**

وفي القصيدة نفسها يحاول الشاعر اتخاذ الحوار وسيلة لعرض مشاعره فقال[3]:

**فقلتُ لها: يا نعمُ حُلّي محلَّنا * فإنّ الهوى يا نعمُ والعيشُ جامعُ**

**فقالتْ: وعيناها تفيضانِ عبرةً * بأهلي بيّنْ لي متى أنتَ راجعُ**

**فقلتُ لها: تاسِ يدري مسافرٌ * إذا أضمرتهُ الأرضُ ما اللهُ صانعُ**

**فشدَّتْ على فِيها اللِّثامَ وأعرضتْ * وأمعنَ بالكُحلِ السحيقِ المدامعُ**

واستعمال(فقلت، وقالت) في حوار العشاق يضفي على القصيدة مصداقية التجربة العاطفية التي يئن تحت وطأتها الشاعر، وربما تزيد من استجابة السامع الذي يضعه الشاعر أمام صورة وصوت. وهذه الصور تعد محاولات جيدة لتحقيق الذات، وإشباع الفردية ومحاولات إيجاد قيمة فنية جديدة للخروج على الرتابة المعهودة في البناء الشعري. أما عروة بن حزام فقد عرض حواره مع العراف الذي ذهب إليه ليداويه من مرض حبه، فقال[1]:

**جعلتُ لعرافِ اليمامةِ حكمةٌ * وعرافِ حَجز إن هما شفياني**

**فقالا: (نَعمْ نشفي من الدَّاءِ كُلِّهِ) * وقاما مع العُوَّادِ يبتدرانِ**

**على كبدي من حب عفراء قرحة * وعيناي من وجد بها تكفاني**

---

[2] حاتم صالح الضامن/ عشرة شعراء مقلون، ص37.

[3] المرجع السابق، ص39-40.

[1] إبراهيم السامرائي، شعر عروة بن حزام، ص14-15.

**فما تَركا من رُقيَةٍ يعلمانها * ولا شِربةٍ، ألاّ وقد سقياني**

**فما شفا الدَّاءَ الذي بي كُلَّهُ * وما ذخرا نُصْحًا ، ولا ألواني**

**فقالا: شفاكَ اللهُ، واللهِ ما لنا * بما ضُمّنتْ مِنكَ الضُّلوعُ يدانِ**

ويتبين من ذلك أن الحوار القائم على التساؤل والذي يُعد وسيلة من وسائل طرح الأفكار له قيمة فنية عالية في تشويق السامع وتصاعد الأحداث تصاعداً منطقياً مما يزيد من صدق تجربة الشاعر، ففيه يتخذ الشاعر من المرأة محوراً محركاً لكل الأجوبة الجاهزة في فكره والتي يحاول طرحها من خلال هذه الأسئلة، وذلك ما فعله عبد الله بن علقمة حينما وجه أسئلته إلى أمه حول من يحب، لكنه لم يطق الانتظار للإجابة عن أسئلته فأجاب هو بدلا عنها[2]:

**يا أمَّنا أخبِّريني غيرَ كاذبةٍ * وما يُريدُ مَسُولُ الحقِّ بالكذبِ**

**أتلكَ أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ * لا بل حُبَيْشَةُ في عيني وفي أربي**

وقد يتخذ الشاعر غير المرأة محوراً للإجابة عن أسئلته وذلك بأن يوجه الأسئلة إلى الديار وينتظر منها الرد، ويحثها على المشاركة في الحوار وكأنها إنسان شاخص أمامه، يسمع ويرى. لكن ماذا يسمع من الديار وهو يعلم أنها خرساء وذلك ما عمد إليه المرقش الأكبر في حواره مع الديار قائلا[1]:

**هل بالدِّيارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ * لو كان رسمٌ ناطقاً كلَّمْ**

**الدَّارُ قفرٌ والرُّسومُ كما * رَقَّشَ في ظهرِ الأديمِ قَلَمْ**

**ديارُ أسماءَ التي تبلتْ * قلبيَ، فعيني ماؤها يَسْجُمْ**

ونظير ذلك قول امرئ القيس[2]:

**يا دارَ ماوَّيةَ بالحائلِ * فالسَّهبِ فالخَبْتَيْنِ من عاقِلِ**

**صَمَّ صَدَاها وعَفَا رَسْمُها * واستَعجَمَتْ عن منطقِ السائلِ**

ونجد في شعر العشاق صورة لملامة الأزواج على مخاطرات أزواجهن وإلقاء أنفسهم في مواطن الخطر. لذا فان التضحية بالنفس كان باعث الحوار في نماذج الفرسان في مثل قول عنترة[3]:

---

[2] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (طبعة دار الكتب)، ص280.

[1] عوف بن سعد بن ضبيعة، ديوان المرقش الأكبر، ص48.

[2] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان امرئ القيس، ص119.

[3] الخطيب التبريزي، ديوان عنترة، ص55.

**بكرتْ تُخوِّفُني الحتوفَ كأنَّني * أصبحتُ من غرَضِ الحتوفِ بمعزلِ**

**فأجبتها: أنَّ المنيَّةَ منهلٌ * لابدَّ أنْ اسقَى بكأسِ المنهلِ**

**فَاقني حياءكِ لا أبا لكِ، واعلمي * أنِّي أمرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتلِ**

وقريب من هذا المعنى قوله في قصيدة أُخرى[1]:

**تقولُ: أبنةُ العبسيِّ قَرِّبْ حِمالنا * وأقداسَنَا ثمَّ أنجُ إنْ كنتَ ناجيا**

**فقلتُ لها: من يَغنَمِ اليومَ نفسهُ * وينظرْ غداً يلقَ الذي كانَ لاقيا**

وقوله[2]:

**لعمرِي لقد أعذرتُ لو تعذرينني * وخَشّنتِ صدراً غيبهُ لك ناصحُ**

**أعاذل لكم من يوم حربٍ شهدتهُ * لهُ منظرٌ بادي النَّواجذ كالحُ**

كما إن هذا النمط من محاورة اللائمة الذي ينتهي إلى عرض تقريري محض لفخر الشاعر، يقترب من مجرى العرض القصصي في حبكة الحوار توظيفها في تحديد قيمة التجربة النفسية المطروحة. لعل الشاعري يتوخى من صورة اللائمة تخفيفاً من عنائه بعض أحزنه والأمه. وذلك ما عمد إليه امرئ القيس في قوله[3]:

**فبعضَ اللَّوم عاذلتي فأنِّني * ستكفيني التجاربُ وانتَسابي**

يبدو أن الشعراء العشاق قلما يكتفون بالسرد فقط بل قد يقرنوها بالحوار وهو في بعض الأحايين يغدو بسيطاً لا يخرج عن نطاق المساجلة الآنية والفكرة المغلقة ذات التأثير الذاتي. وقد يكون في بعض الأحيان طويلاً تنبعث منه فلسفة الشاعر وتبرز من ملامحه قدرته على الإبداع الخلقي، وتألق من خلاله ملامح الإصرار الذي دفعه إلى هذا السلوك. فقد يعمد العاشق نسج أحداث قصته وجمع أطرافها لتتلاقى في موضوع موحد متحد في أطراء متجانس وهو (الحبكة أو العقدة) التي تظهر فيه قيمة السرد قصصي وتتسلسل وتنمو من خلاله القصيدة نمواً فنياً متكاملاً، وتتألف في وحداتها عوالم القصة تألفاً دقيقاً، حيث تأخذك إلى عوالم الحدث لتجعلك ترى وتسمع وتوثق الأحداث.

---

[1] المصدر السابق، ص132:134.

[2] نفس المصدر، ص38.

[3] محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان امرئ القيس، ص97.

**الخاتمة....**

تأتي قيمة الإبداع السردي لدى عشاق العصر الجاهلي في استثمارهم لذلك الفضاء المترامي الأطراف ليجعلوا منه موطنهم الشعري الأصلي، فمن مناظر الصحراء وخيامها وظعنها وغربتها وحشيتها أخذوا مادتهم لصناعة قصص الغرام، كما عمدوا على بنا مشاهد سردية يظهر فيها تكافؤ بين زمن السرد وزمن القصة، مما يساعد على تتبع الحدث لحظة بلحظة، واعتنوا بتفاصيل دقيقة جداً وممتعة من وقائع معينه للتأكيد على أهميتها. أما الحوار في قصائدهم اعتمد على لغة سهلة وبسيطة تصدر فيها الفعل المضارع ليدل على آنية الحدث، واستخدموا الجمل القصيرة التي تجري بسلاسة، وكل ذلك أسهم في توسع أفاق السرد ـــــ الحكاية ـــ وجعل القارئ أمام مشاهد حية، حتى تصل القصة الذروة (الحبكة) وتتدرج القصة إلى أن تصل إلى غايتها.

ومثل الخيال في شعرهم العنصر الأساسي في بناء السرد القصصي، حيث استلهموه مادته من البيئة من حولهم، لذا جاءت صورهم تطابق شعورهم فكلما كانت الصورة تطابق الشعور كلما صارت الصورة الشعرية أكثر صدقاً، لأنها ترتبط بتجربة عاشها الشاعر وأثرت فيه، فالشاعر المبدع هو الذي يستطيع أن يصور المعاني الأكثر ألفة بين الناس ويجمع ما بين الألفاظ والصورة، وما بين وقع الكلام وحالته النفسية بحيث تكون مزاوجة كاملة بين المعنى واللفظ بكل جزئياتها.

ويُعد الحوار القائم على التساؤل الذي ظهر لنا في قصائدهم من والوسائل المهمة في طرح الأفكار والمشاعر، كما اسهم في رفع قيمة السرد وتشويق السامع، حيث تتصاعد فيه الأحداث تصاعداً منطقياً, مما يزيد من صدق تجربتهم وتمثل الجسر الفكري الذي حاول الشعراء العشاق استخدامه لنقل أفكارهم إلى الناس وحاولوا فيه إيضاح العلل التي وجدوا أنفسهم ملزمين باتخاذها ليبسطوا المبررات التي تدفعهم لذلك العشق.

ومن ذلك يتضح أن قيمة السرد والحوار في شعر عشاق العصر الجاهلي يعد مظهراً من مظاهر الجمال الفني في عملية الإبداع الشعري، تظهر فيها روعة القصة وألوان الحياة الاجتماعية ومشاهد الطبيعة والوجود، وتجسدُ الواقع الذي يعيشه العاشق. لأن الإبداع الشعري من حيث صوره ومعانيه وألفاظه وتراكيبه يمثل صورة من الواقع الحقيقي الذي يحاول الشاعر تصويره لنا من خلال خطابه الشعري. كما إن تنوع خطاب هؤلاء العشاق في طرائقهم وأساليبهم الفنية ينم عن قدرتهم على الإبداع الفني التمثل: في متانة السبك، وجمال الوصف، والابتكارات التصورية، والأسلوب الذي يعد من الجودة والبراعة ما لا يمكن لأي متلقي واعياً يغفل عنها.

لقد نقش هؤلاء العشاق على صفحات أشعارهم كل ما حملته أنفسهم من عواطف وأضافوا عليها من ملكاتهم وأخيلتهم الصور الكثيرة التي وثقت لأحداث كثيرة حدثت في العصر الجاهلي، وأصبحت مرجعاً لتاريخ تلك الفترة وبذلك يعد شعر العشاق مسودة تاريخية حقيقية ومهمة.

**المصادر و المراجع**


(1) الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، مطبعة دار المشرق، ط1، بيروت، ص145.

(2) إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، شعر عروة بن حزام، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق،2014م. ص43.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، مكتبة دار الفكر، بيروت، ط2، 2002م. ج، 13ص 75-76.

(4) أحمد بن الحسن بن الحسين بن يحيي بن بديع الزمان الهمذاني، شرح مقامات بديع الزمان، تحقيق محمد عبدو، ط2، دار الكتب العلمية، 1426هـ . 2005م، ص462-470.

(5) حاتم صالح الضامن، عشرة شعراء مقلون، ط1، مطبعة جامعة بغداد، 1990م.

(6) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1412هـ 1992م. ص149.

(7) ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، ديوان المرقش الأصغر، دار صادر، ط2، بيروت، 1998م.

(8) السيد أحمد عمارة، دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، ط1، مكتبة المتنبي، 1998م. ص144.

(9) عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربي، تحقيق وجمع محمد رجب البيومي، الدار المصري اللبنانية، القاهرة،1414هـ -1994هـ، ص145.

(10) عناد غزوان إسماعيل، المرثاة الغزلية في الشعر العربي، مطبعة الزهراء، ط1، بغداد، 1974م. ص178.

(11) عوف بن سعد بن ضبيعة، ديوان المرقش الأكبر، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م.

(12) محمد أبو الفضل إبراهيم، ديوان امرئ القيس، تحقيق أبو الفضل، مطبعة دار المعارف، مصر 1958م. ص10-11.

(13) محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ.، 145/2.

(14) محمود عبد الله الحادر، دراسات نقدية في الأدب العربي، بيروت، الدار العربية للموسوعات، سنة 1990م - 1410هـ.

(15) وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، المطبعة الوقفية، ط1، 1347هـ . ص193.

# الكنداكة (أيقونة) ثورة ديسمبر 2018م السودانية

بروفسيور: عمر حاج الزاكي

**مستخلص**

هدفت هذه الدراسة للتعريف باللقب التشريفي "كنداكة" الذي أُلحق مؤخراً بالنساء السودانيات اللائي شاركن بقوة في قيادة وإنجاح ثورة ديسمبر 2018م؛ التي أطاحت بنظام الإنقاذ. ولتحقيق ذلك تم الرجوع للعصور التاريخية البعيدة، التي راج فيها ذلك اللقب وكيف كانوا ينطقون ويكتبون الكلمة مع التعرف على معنى الكلمة ومدلولاتها في تلك الأزمنة التي تعود للقرون الثلاثة قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، كذلك تطرق البحث بإيجاز لمسيرة المرأة السودانية عبر الأزمنة وحتى وقتنا الحاضر وبخاصة في مجال المشاركة الفاعلة في كل أنشطة المجتمع. وخلصت الدراسة إلى أن المرأة السودانية ظلت ومنذ العصور القديمة فاعلة في مجتمعها وأنها حظيت بتقدير شقيقها الرجل الذي حفظ لها كرامتها وإنسانياتها وفتح لها مجالات المشاركة دون قهر أو احتقار.

وختمت هذه الإصدارة بملحقين أولها تعريف بالكنداكة التي قاتلت الرومان والآخر تعريف مختصر بالكتابة المروية.

**Abstract**

This study aimed to identify the honorary tittle (Kandaka) that was conferred on the Sudanese women who participated effectively in the leadership and success of Dec. 18 Revolution that overthrew (El- Engath) regime.

In order to achieve that it was necessary to dig deep in the ancient history of the Sudan to the times when the title (Kandaka) was widely heard. It was found that the word was Merotic (Pertaining to the Meroitic Kingdom that florished in the Sudan between 750 B.c. 350 A.D)

Besides the historical status of the (Kandaka) in the past, the paper gave a brief summary of the roles of women through

the times that lasped between that far past and the present and that lead to the conclusion that the Sudanes women were always there participating in the social, political and economical activates it is also observed that men in Sudan held women in high steem and never despised or segregated them for their gender.

**تقديم:**

كنداكة كلمة مفردة* أعيد إحياؤها في سودان اليوم بعد اندثارها لما يقارب الألفي عام تقريبا عندما كانت تلحق بأسماء بعض عظيمات مملكة مروي من البيت الحاكم أعيد إحياؤها وبقوة مع تصاعد ثورة الشعب السوداني في ديسمبر 2018م التي أطاحت برئيس السودان السابق ونظامه وكان للنساء الدور الأبرز في القيادة الميدانية والجماهيرية لتلك الثورة. استحقت أولئك الثائرات المتقدمات للصفوف والمقدمات للتضحيات الجسام ذلك اللقب تشبها بالجدات من الأسلاف اللائي برزن في ميادين قيادة المجتمع، أسوة بالرجال، في تلك الأزمنة البعيدة. ومعلوم إن الشعوب التي تنشد التغيير والخلاص والارتقاء لسلم المجد كثيرا ما ترجع للصفحات المجيدة في تاريخها تستمد منها الثقة وتستلهم المواقف، اقتداء بالأجداد نساء كانوا أم رجالا من أصحاب المواقف وتحقيق المجد، سواء كان ذلك في ميدان الحروب أو العلوم أو المواقف الوطنية أو حتى الأقوال الحكيمة أو الشجاعة ولسان حالهم يردد اذا كان أسلافنا كذلك فأننا جديرون أن نكون مثلهم جرأة وأقداما وأبداعا.

والرجوع لزمان الكنداكات الذي انتهى تقريبا في القرون الأولى بعد الميلاد لا يعني انه لم تبرز في السودان نساء يقتدى بهن طيلة الألفي عام الماضيين. لقد كان لنساء البلاط دورا كبيرا ، كما سنرى في مملكة المقرة النوبية وفي الفترة الوسيطة من تاريخ السودان أيضاً ظهرت بعض النسوة اللائي نلن قسطا من التعليم الديني أسسن

* أيقونة (Icon) هي كلمة باللغة الإنجليزية تعني رمز له قدسية وبخاصة بالنسبة للكنسية الشرقية . وكنداكة في أصل لغة القوم (المرويين) تكتب كدكي، كت كي أو كد وي ، في الإنجليزية تنطق (كنديسي) وفي العربية كنداكة.

الخلاوي وتخرج على أيديهن الكثيرين ويذكر منهن فاطمة بت جابر وعائشة بت القدال وبتول الغبشاء[1] .

وبرزت في العصور القريبة نساء أعلام مثلن جرأة وجسارة أجيال النساء المتعاقبة في السودان، ومن أولئك النساء رابحة الكنانية التي علمت بسير حملة سرية يقودها راشد بك أيمن قوامها 400 جندي نظامي و 1000 مقاتل من القبائل هدفها مفاجأة ومهاجمة المهدي في قدير. استشعرت رابحة الواجب فعقدت العزم على إفشال راشد وظلت تجري الليل كله لتبلغ المهدي بالعدو القادم فأعد المهدى العدة وانقلبت المفاجأة على راشد والله أعلم لولا ما قامت به رابحه ما كان سيكون عليه مسار الثورة المهدية الوطنية . وهناك نموذج آخر في الإقدام تمثله الأميرة النوباوية مندى ابنة السلطان عجبنا (1918/17) التي قادت قومها في قتال الإنجليز مؤازرة والدها في جرأة وبسألة نادرين فخلدها التراث الشعبي بأنها المرأة الحديدية ويعزى لها إنها ابتدعت الموسيقى الحماسية التي شكلت الجلالات فأصبحت فيما بعد المارش الأساسي للجيش السوداني[2].

وبجانب هذه الأدوار القيادية فقد ظلت نساء السودان عبر التاريخ نساء فاعلات في المجتمع يدرن أمور أسرهن بجدارة ويشاركن الرجال في الزراعة والحصاد وفي أوقات الحروب يقفن خلف الرجال، وتبرز بينهن شاعرات (حكامات) يحرضن الرجال على الثبات والأقدام ويخلدن بأشعارهن المواقف البطولية للفرسان . ومع بداية القرن الماضي اقتحمت المرأة ميدان التعليم الحديث وبصبر وثقة وقوة وأثبتت جدارتها وتفوقها حتى نالت الدرجات العليا في مختلف التخصصات فبرزت بينهن العالمات المتخصصات في مجالهن وتقلدن الأعمال المشرفة من نقابيات مناضلات، معلمات، مديرات، جامعات، قاضيات، عضوات في البرلمان وسيدات أعمال ....الخ . ويعكس كل ذلك ما نلخصه عن مسيرتها المطردة إلى الأمام منذ مطلع القرن الماضي في الرصد أدناه [3] .

---

(1) حسن مكي، الثقافة السنارية، المغزى والمضمون، جامعة أفريقيا، مركز البحوث .

(2) حسن محمد صالح وآخرون 2013، السياسات الاستعمارية السالبة ومقاومة أبناء جبال النوبة وجنوب السودان للحكم الأجنبي ، ص 114.

(3) ولمزيد من التفاصيل راجع " نفيسة احمد الأمين 2017، ملامح من الحركة الوطنية النسائية في نصف قرن (47– 1997).

**(أ) في مجال التعليم :**

1- أســس بابكر بدري رائد التعليم الأهلي الحديث عام 1907 أول مدرســة للبنات في مدينة رفاعة .

2- افتتحت أول مدرســة حكومية للبنات عام 1911 في رفاعة وفي خمس مدن أخري في شمال السودان .

3- افتتحت أول مدرسة لتدريب الممرضات في عام 1920.

4- افتتحت عام 1021أول مدرسة لتدريب القابلات.

5- افتتحت كلية المعلمات عام 1921 بأم درمان للتدريب في مجال التعليم العام.

6- افتتحت عام 1938أول مدرسة للمخصوص للبنات ومدتها عامان للتعليم الوسط بأم درمان .

7- افتتحت أول مدرسة وسطى عام 1941 للبنات بأم درمان .

8- افتتحت أول مدرسة ثانوية عام1945 للبنات في أم درمان .

9- 1948 أُسســت أول مدرســة أهلية وسـطى للبنات في أم درمان (مدرســة المليك ) .

**(ب) في مجال العمل العام والنقابي:**

1- بدايات هذا التعليم مع محدوديتها أفرزت نســـاء عملن في حقلي التعليم والصــحة والعمل الكتابي، ثم العمل المهني بمجالاته المختلفة، وكان هذا من ناحية أخرى، مدخل للعمل النقابي والنضـــالي المشـــترك مع الرجل ونماذج ذلك .

2- أُسست عام1948 نقابة الممرضين والممرضات .

3- أُســس اتحاد المعلمات عام1949 الذي أصــبح نقابة المعلمات، وفي عام 1951 التي انضــمت في النهاية لنقابة المعلمين في عام 1965، وبذلك شــاركت المرأة في العمل الوطني وحررت نفســها كثيرا بالتعليم والتحرير الاقتصادي .

**(ج) في الحركة الوطنية :**

1- بدأت المقاومة الوطنية للاستعمار عام 1921 عندما أُسست جمعية الاتحاد السوداني بقيادة على عبد اللطيف وكان من نتائجها ثورة 1924. شاركت المرأة في هذه الثورة بتأمين اجتماعات الثوار في بيوتهن وهنا برز دور السيدة العازة محمد عبدالله زوجة على عبداللطيف التي صمدت أمام ما تعرضت له من إرهاب وتنكيل وأصبحت نموذجا لنساء زمانها .

2- بعد إعلان قيام مؤتمر الخريجين عام 1938 شاركت النساء في جمع التبرعات والتعاطف مع شقائقهن الرجال .

3- نشأت ونشطت الأحزاب السياسية من عام 1941ـــ 1944 وكان نشاطها محصوراً على الرجال؛ غير أن حزبين أدخلا النساء في النشاط الظاهر هما الحزب الجمهوري والحزب الشيوعي ثم الإخوان المسلمون .

4- قام أول تنظيم نسائي باسم حركة الفتيات المثقفات عام 1947 في أم درمان واصبح هذا التنظيم نواة الحركة النسائية وقد تم ذلك بمبادرة من فاطمة طالب، خالده زاهر، ومعهن زروى سركسيان، زكية مكي، أم سلمى سعيد، عزيزه مكي، أمنه على بدرالدين، زينب الفاتح البدوي وآمنه حمزه ... وتم التصديق لهن على أنها جمعية ثقافية اجتماعية .

5- أُسس الاتحاد النسائي السوداني1952 وكان قيامه علامه فارقة في نشاط المرأة وارتباطها بحركة المرأة العالمية .

تم أول اجتماع لهذا الاتحاد في مساء 1952/1/17 بدار السيد مكي عثمان أزرق حيث لبت الدعوة عشرة نساء تلى ذلك دعوة عامة في 1952/1/31 أمها كثير من النساء وتم شرح المشروع واختيار اللجنة التمهيدية حيث أصبحت فاطمة طالب رئيسا وثريا أُمبابي سكرتيرا واستقبل الشعب السوداني ميلاد هذا الاتحاد فرحا راضيا ومؤيدا . وانفعل الشاعر صديق مدثر مع الحدث وانشد مهنئا ومحيي :

**يا فتاة هجرت طول الرقاد يو م أن قامت تنادى في البلاد**

**شهد السودان نور الاتحاد فشدا لحن الحياة الكاملة**

**(د)** أما عن الحركة النســـوية في العهد أو (العهود الوطنية ) فقد تقلبت حظوظها، لكن ورقم تباين ما حظيت به المرأة في تلك العهود، غير أنها ظلت تحقق الإنجاز وراء الإنجاز ومن ذلك :

1- دخلت أول امرأة الجمعية التأسيسية (البرلمان ) عام 1965 .

2- تم تحقيق المساواة في الأجور عام 1973.

3- خصصت مقاعد في البرلمان للمرأة بنسبة أتفق عليها .

4- تقلد المناصب العليا في الوزارات والإدارات العليا وفي المؤسسات الحكومية والجامعات .

5- إصدار المجلات النسائية الخاصة منها (مجلة المنار والقافلة، مجلة حواء الجديدة، مجلة نساء السودان، مجلة مهيرة ومجلة أسرتي ) .

6- شاركن في المؤتمرات العالمية .

7- تم تأهيل الكثيرات في الدراسات الجامعية وغيرها .

8- تتبوأ المرأة مكانتها اللائقة بجانب شـــقيقها الرجل وتتصـــدر المحافل واثقة غير هيابة ودون عوائق .

9- وأخيراً حققت النساء السودانيات، حفيدات الكنداكات صيتا عاليا لمواقفهن المقدامة والفاعلة في اقتلاع نظام الإنقاذ وطارت مفردة " كنداكة " لتغطي الفضاءات العالمية إشارة لأولئك الكنداكات كما تطلع الكثيرون لمعرفة جذور الكلمة ومعناها وذلك ما جعلنا نقدم هذه الدراسة.

وإن كنا قد أنصـــفنا المرأة الســـودانية في كل ما قلنا وســـنقول لاحقا فلابد أن ننصـف شـقيقها الرجل السـوداني الذى عُرف بإكرامه للنسـاء عموما من ذواتي القربى وغيرهن، والذى ظل عبر تاريخه يهيئ للمرأة ما يعزز تقدمها وقيمتها.

وتتجلى هذه الحقيقة اذا نظرنا في صـفحات تاريخ الأمم القديمة التي عاصـرت المرويين. أي الســودانين القدماء ـــــ حيث كانت المرأة عند تلك الأمم لا تعامل بما يرضي إنسانيتها أو كرامتها. وعلى سبيل المثال فقد كان الإغريق ينظرون إليها كمتاع وربما يعرضـــونها في الســـوق للبيع. لقد كان ذلك من حق الزوج على زوجته بجانب اعتقادهم أن المصـائب والفشل في الآمال والعيش يعود كل ذلك إليها ولرفع المصـائب

كانوا يقدمون بناتهم قربانا للآلهة. أما الرومان فقد كانوا يعتبرونها أداة للإغواء ووسيلة للخداع وإفساد قلوب الرجال وإن الشيطان يستغلها في ذلك. ومن جانبهم كان الفرس الزرادشتيون ينظرون إليها على أنها من أسباب هيجان الشرور وكان من حق الزوج قتلها . ومما عرف أن العرب في الجاهلية أجازوا وأد البنات الصغيرات خوف الفقر والعار الذي تجلبه البنات[1]

وبالرغم مما ذكرنا عن حظوظ النساء في العالم القديم المعاصر لازدهار مملكة مروى في السودان فقد برزت في أزمنه وأماكن مختلفة متباعدة نساء عظيمات قمن بأدوار تعتبر من حظوظ الرجال حتشبسوت في مصر (القرن السادس عشر قبل الميلاد ) حيث ارتقت لمنصب الفرعون وبلقيس في اليمن (القرن العاشر قبل الميلاد ) (والزباء زنوبيا 261–272 ) في تدمر، وكل ذلك لا يقارن بما حققته المرأة في السودان القديم على مدى ألف عام متصلة كما سنرى علما بأنه كان لأولئك النساء وبخاصة " الكنداكات " أدوار عظيمة في استقرار الملك، مع مشاركتهن الفاعلة في إرساء نظام وراثة الملك وفي إدارة المملكة وازدهارها وملكات متوجات في بعض الفترات .

**مملكة مروى والمرويون :**

ومملكة مروى برز فيها دور الكنداكات المتعاظم، تنسب لعاصمتها "مروى" القديمة وهى غير مروى الحديثة حيث تقبع آثار تلك المدينة التاريخية في منطقة البجراوية إلى الشمال قليلا من مدينة شندي ومعلوم أن الآراء مازالت متضاربة أو مختلفة عن حقيقة تلك العاصمة بين من يقولون أن إدارة المملكة انتقلت إليها من نبته في الشمال في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد (310 ق. م) [2] ومن يقولون إن الانتقال المزعوم تم بعد عام 591 ق . م[3] تاريخ غزو الفرعون المصري بسماتيك

---

(1) أبو النصر مبشر الطرازي، 1977م، المرأة وحقوقها في الإسلام، القاهرة، ص 9–16.

(1) Reisner , G.A. 1919, Historical Inscriptions from Gebal Barkel, SNR, 4. PP 59-74.

(2) Arkell, A.J. 1955, "Egyptian in Invasion on The Sudan in 591 B.C, Kush 3.

لنبته وتخريبها، ومن يقولون إن عاصـــمة المملكة كانت في مروى منذ البداية وأن بعانخي خرج منها ليغزو مصـــر في عام 730 ق . م[1]. وأن نبته في منطقة كريمة ظلت عاصمة المملكة الدينية كل ذلك بينما بقيت العاصمة الإدارية إلى الجنوب منها في مروى. وبهذا تفهم إشارتنا لمملكة مروى لتشمل كل الفترة الزمنية الممتدة بين عام 760 ق.م تاريخ ظهور المملكة المتوســـعة والعام 350 م تاريخ نهاية عمرها المديد. وهذا أيضـــا يبرر متابعتنا للجذور الأولى للمكانة المتقدمة التي حققتها نســـاء البلاط الملكي قبل ظهور لقب كنداكة في جنوب المملكة، كما إن تطور مكانة الكنداكات في النصـــف الأخير من عمر المملكة لا يفهم إلا بالرجوع لتلك الجذور الأولى التي تعود لعهد الملك كاشتا (كوشتو ) (760 ق.م ) والد بعانخي .

وإن اعتمدنا اســـم العاصـــمة اســـما للملكة فإن ذلك معمول به حتى وقتنا هذا بالنسبة لبعض الأقطار الحديثة فالجزائر مثلا هو اسم العاصمة واسم القطر وبه تعرف الجنســـية الجزائرية ...وهذا ما يجعلنا نقف قليلا عند الأســـماء عديدة عرفت بها البلاد بالنسبة للعالم الخارجي في الأزمنة المختلفة ومنها الاسم " كوش " وهو اسم قديم منذ عهد المملكة المصرية القديمة[2] كما تردد الاسم على أيام الأشوريين في القرن السابع قبل الميلاد بينما فضـــل الكتاب الإغريق إطلاق الاســـم " أثيوبيين " و " أثيوبيا " على السكان والبلاد التي تقع جنوب مصـــر . وأثيوبيا في لغتهم تعنى بلاد السـود ـــــ أي السودان ـــ وقد أعتمد علماء الآثار، الأوربيون الأوائل التسمية الإغريقية في تعاملهم مع آثار السودان القديم ثم تحول بعضـهم للاسم نوبيا والنوبيين. ونلفت النظر هنا إلى أن اسم كوش ارتبط في البداية باسم ما يعرف اليوم بمملكة كرمه التي سادت في رقعة واســـعة من شـــمال الســـودان في الفترة من (2500 – 1450 ) ق.م وإن الكثير من الدارسين استخدموا وما يزالون اسم مملكة كرمة في مؤلفاتهم بدلا عن الاسم الحقيقي والتاريخي " كوش " فلا غضـاضـة في اطلاق صـفة المروية على الحقبة الطويلة التي ظلت فيها مدينة مروى القديمة عاصمة إدارية للبلاد .

---

(3) Hakim, A.M.A 1975 " The city of Meroe and the myth of Napata"ABAB"pp. 120-131

(2) عبدالقادر محمود، 2017، السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية والقديمة، ج 1، ص 51؟

وعن نشـــأة وازدهار هذه المملكة تدلنا الآثار وتحدثنا المصـــادر عن حقيقة إمبراطورية شمال السودان، حتى منطقة كريمة على الأقل ظل خاضعا لهيمنة فراعنة المصـــرية قرابة الخمســـة قرون (1450 – 1080 ق.م) بعد اجتياحهم لمملكة كرمة (كوش الأولى ).

وبعد أن انحلت الإمبراطورية المصرية ترك السودان لأهله، وسكتت المصادر الخارجية عما كان يدور فيه قرابة القرنين لانعرف فيها الكثير عما كان يجري فيه، لكن آثار مدافن مقبرة الكرو الملكية التي دفن فيها بعانخي بعد سته أجيال من أسلافه العظام أنبأت أن سلطة محلية ورثت النفوذ المصري في السودان وظلت تنمو بعيداً عن أعين العالم الخارجي، وإن أفرادها كانوا شديدي التدين على عقيدة أمون[1] .

وكانت من أول إرهاصـــات قيام مملكة كوش (نبته – مروي ) (760ق.م – 350م ) وأول الشواهد الدالة على تنامى وتعاظم قوتها فرضها نوعا من السيادة على مصر العليا (جنوب مصر ) أن الملك كوشتو فرض على شبنوبت أبنة ملك مصر أوسركون الثالث تبنى ابنته (امنرديس ) لتخلفها في منصب العابدة الإلهية زوجة الإله أمون في طيبة، وهو منصب يعادل منصب مساعد كبير الكهنة في طيبة وقد كان لأولئك الكهنة سطوة كبيرة علي حكام مصر الفراعنة ونعلم إن قوة بعضهم تنامت في عصر الإمبراطورية المصرية فأصبحوا فراعنة حكاما .

وبعد قراءة لوحة نصر بعانخي[2] المكتوبة بالهيروغليفية المصرية تبين أن والده كاشتا كان قد حقق فعلا نفوذا على صعيد مصر ووسطها وإن أُمراء من الدلتا حاولوا طرد الوجود الكوشي هناك مما حدا بالملك بعانخي لغزو مصر وإخضاعها لسلطانه في 730 ق.م حيث ورث الحكم فيها من خلفائه شـبكو وسـبتكو وتهارقو ليتراجع الكوشيون إلى بلادهم في 664 ق.م، وذلك بسبب الغزو الأشوري لمصر ولم يعودوا يتطلعون إلى الزعامة هناك واكتفوا بتأســـيس حكم قوي مســـتقر في بلادهم مركزه عاصمتهم مروى ودام ذلك الملك لأكثر من الف عام متصلة.

---

(1) عمر حاج الزاكي، 2008، مملكة مروي – التاريخ والحضارة، ط 2، مطابع الصلحاني، سوريا، ص 35.

(2) Reisner , G.A. 1919, Op.cit,. PP 59-74.

ونسبة لموقعهم في الجزء الجنوبي من مثلث الحضارات القديمة وفي الشرق الأدنى وبحكم مجاورتهم لمصر لم يبق المرويون في عزلة تامة عما كان يجرى حولهم ولم يسلموا من غزوات وأطماع المصريين والفرس والإغريق (البطالمة ) والرومان وجيرانهم من جهة الشرق في مملكة أكسوم وهجرات السكان من شرق السودان وغربه البعيدين عن النيل ومن الهجرات الوافدة من أقطار أفريقيا مما أدى لضعف وانحلال المملكة في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي .

**أسطورة الجد الأرا (اروليي وتوريث الملك ...)**

راجت بين الكوشيين أسطورة آمنوا بها تقول أن الزعيم الأرا يقرأ (أرولى) حسب قراءة بروفسير عبدالقادر محمود عبدالله عالم الدراسات السودانية المصرية القديمة ويرجح أن أرولى (الارا ) كان أخا لكوشتو وملك قبله [1] وهو أو أحد الأجداد الأوائل المؤسسين لمملكة كوش (نبته – مروى ) وإنه أوكل أخواته للإله آمون، كبير آلهتهم التي آمنوا بها وكانت أحداهن جدة الملك تهارقو وطلب منه أن يحصر وراثة الملك في نسل حفيداتها أبدا الآبدين، وان يجعلهم مشهورين وموفقين. فأستجاب الإله لتضرعات الزعيم الأرا، ولم تأت استجابة الإله في هذا الأمر قاصرة على أبناء أخوات الأرا وحدهن وإنما شملت أحفادهن (لوحة تهارقو Inscr.6) [2] . لذا أسست هذه الأسطورة للنظام الأمومي* في وراثه عرش الكوشيين. وجاءت أول إشارة لهذه الأسطورة التي تكشف عن جذور التقديس الذي حظيت به النساء الملكيات في احدى لوحات الملك تهارقو في معبده في(جماتون)[3].

ويتأكد هذا المعنى بعد قرنين من زمن أُرولي وبعد سبعين عاما تقريبا حينما احتدم الخلاف حول تولى الملك اسبلتا (593 – 578 ق.م) لعرش المملكة فعمد إلى

---

(1) عبدالقادر محمود ، 2017م، مصدر سابق، ص 73–74.

(2) Macadam, M.Fl, 1949, The Temples of Kawa Vol., 1. The inscriptions, London, Inscr. 6.

*وهو نظام توريث عرف عند الشعوب الحامية وهو توريث ابن الأخت أو ابن البنت .

(3) Macadam, Op.cit, P. 6.23

ذكر نسل أمهاته لسبعة أجيال متعاقبة نسب ينتهى بالجدة الأولى التي تمت مباركتها في زمن الزعيم أرولي[1]..

وبجانب وراثة العرش التي أسست لها أسطورة الجد ارولي كشفت النصوص الكوشية ما خصصت به بعض الأميرات من الأسر المالكة من أدوار، وما أثبت لهن من حقوق في المعابد . ورد ذلك فيما تضمنته لوحات تنسب للملك الكوشي انلماني(623 – 593 ق.م). وخليفته الملك أسبلتا (553 –568 ق.م). وقد جاء في لوحة الملك أنلماني انه وهب أو وظف أخواته الأربعة لمعابد آمون الشمالية – معبد آمون نبته ومعبد أمون جماتون ومعبد أمون تور تاسيتي. وكان ذلك من أجل أن يعزفن الموسيقى الدينية أمام آلهة تلك الجهات، ويصلين كل يوم من أجل حياة ورفاهية أخيهن الملك[2]. وبالرغم من أن النص المذكور لم يحدد مكانة أيا من الأخوات الملكيات في سلم الكهانة وما إذا كانت أي منهن قد تبوأت مرتبة كاهنة على الإطلاق غير إن الملك إسبلتا خليفة أنلماني أورد في لوحة له[3]. إن سلفه أنلماني سبق أن عين الأميرة (ناسلسا ) كاهنة في معبد أمون تور تاسيتى .

وترك الملك أسبلتا لوحة أخرى عرفت باسم لوحة الوقف[4]. وهي عبارة عن وثيقة الزام لمعبد " أمون تور تأسيتى " في صنم يقدم بمقتضاها جراية يومية من الخبز والجعة ويقدم عددا من الثيران في المناسبات للزوجة الأخت الملكية " مدكن" والأبنة " خبت " ولوحظ في نصوص اللوحات الملكية، وبخاصة لوحات تتويج الملوك إن ألقابا رفيعة مثل لقب " سيدة مصر " و " سيدة كوش " و " سيدة تاسيتى " و"سيدة " ألحقت ببعض النساء الملكيات، بالإضافة لذلك أن السيدة " ناسلسا " أُم الملكين أنلماني وأسبلتا حملت لقب مثل لقب " أبن رع "، وفي اعتقادنا أن هذه الألقاب كانت تشريفية مثلها مثل لقب " سيدة أمريكا الأولى " نقول بذلك لعدم وجود أي أدلة علي تولي أيا من حاملات هذه الألقاب للسلطة بمثل ما تحقق لحفيداتهن بعد حلول القرن

---

(4) المصدر السابق، Inscr. 6, 20-23.

(2) المصدر السابق، Inscr. 9, 24.

(3) Ded.st.10

(4) نفس المصدر السابق.

الثالث قبل الميلاد. ويلاحظ أن لقب كنداكة لم يرد في أي من تلك النصوص المكتوبة بالهيروغليفية المصرية .

ولعل معرفة المصـــريين منذ القرن الثامن قبل الميلاد بمدى الإجلال الذي يكنه الكوشيون للنساء الملكيات كان دافعا وراء إيفاد الأمير المصري نملوت لزوجته وابنته كي يتوسطن ويشفعن له لدى الملك الكوشي بعانخي، عندما ضيق الأخير الحصار عليه في مدينة هرموبولس، وأخالني أسمع مستشاري نملوت وبعد أن أرهقت المدينة بالحصار، يهمسون في أُذنه (أن ارسل كريمتك وأمها سفيرتي سلام وتسليم، وقد عرف عن هؤلاء الغزاة معزة الأمهات والزوجات والكريمات والأخوات الملكيات وأنهم لا يردون لهن طلباً) . وما يؤيد تصـورنا هذا أن نسـاء نملوت لم يتوسـطن لدى الملك بعانخي مباشرة وإنما توسطن لدى زوجاته وأخواته[1] فجاء عفو بعانخي استجابة لتلك الوساطة رغم حنقه الشديد على نملوت ورفضـه لوساطات أخرى سابقة لم تشارك فيها النساء الملكيات .

هذا ما يمكن استخلاصه من النصوص المقروءة عن فترة القرون الأربعة الأولى من عمر المملكة؛ فماذا عن المشاهد المصورة (المنقوشة ) على لوحات تتويج الملوك والمعابد عن تلك الفترة ؟

4- **في المشاهد المصورة :**

إن الدارس لمناظر اللوحات الملكية خاصـــة لوحات تتويج الملوك، يلاحظ أن صـورة الأم أو الزوجة أو الأخت أو الابنة الملكية أخذت موقعها دائما خلف صـورة الملك المتوج وغالبا ما ألحقت بصاحبة الصورة القاب تدل على سمو المكانة. يشاهد ذلك المنظر في لوحة الملوك تانوتامنى واسبلتا وحرسيوتف ونستاسين[2]

وفي كل المشاهد المشار إليها تشابهت أدوار كل أوليك السيدات الملكيات تقريبا . وكانت الصورة الغالبة لكل واحدة منهن هي عزف الموسيقى الدينية بيد وصب قربان اللبن باليد الأخرى. ونرجح أن الحرص على تصوير أوليك السيدات في مشاهد لوحات تتويج الملوك قصد به تأكيد شرعية اختيار الملك المستمدة من مباركة حفيدات الزعيم

---

(1)عمر حاج الزاكي، الإله أمون في مملكة مرو، مطبوعات جامعة الخرطوم، 1983، ص34.

(2)Tanut.st.Inscr.8, Elect.st, Hars.st.Nast.Mac.Inscr.6,

الارا، كما قصـــد به أيضـــا الرمز لاشـــتراكهن الفعلي في طقوس تتويج الملوك الذي أخبرت عنه لوحات الملوك تهارقو وانلماني وأمون نوتي يركى، حيث دعا كل واحد منهم الأم الملكية لتشارك في مراسم تتويجه[1].

ولم يقتصـــر ظهور النســـاء الملكيات خلف الملوك في مشـــاهد لوحات التتويج وحدها، بل ظهرت صـــورهن في معية الملوك في مشـــاهد نقشـــت على جدران المعابد وفي أقدس أجزائها وأكثرها خصوصية، وقد بقيت تلك المشاهد في المعابد الرئيسية في البركل والكوة وصـــنم أبودوم . كما أن تكرار ظهور الأميرات الملكيات على جدار محراب اســـبلتا في معبد صـــنم ابودوم يؤكد العناية والمكانة الرفيعة التي حظيت بها أوليك الأميرات منهن: مدكن أخت اسبلتا، ومثلها أخوات أخيه الملك أنلماني .

**5- تطورات القرن الثالث قبل الميلاد :**

كان من أبرز التطورات العديدة في القرن الثالث قبل الميلاد، أي بعد خمســـة قرون تقريبا من نشـــأة المملكة في العام 760 ق.م انتقال دفن ملوك كوش من مقبرة نورى في شـــمال المملكة إلى مقبرة البجراوية (مروى القديمة ) مع تغير أســـاس في واحدة من عادات الدفن، حيث كانت أهرامات النساء الملكيات محصورة في جانب من المقبرة ليصـــبح الدفن في البجراوية مختلطاً، ومعلوم إن بعانخي كان قد ابتدع عادة دفن نسائه في جزء منفصل عن مدافن الملوك في مقبرة الكرو الملكية، ومن ثم استمر هذا التقليد في جبانة نوري الملكية، حتى امتلأت تلك الجبانة. لقد بات من الصـــعب معرفة ما وراء تلك الظاهرة التي استنها الملك بعانخي وسار عليها خلفاؤه لقرون عديدة بعده رغم إجلال أولئك الملوك لزوجاتهم وأمهاتهم, ونرى في هذا التغيير في عادات الدفن انعكاســا لتســامي مكانة النســاء الملكيات وتقدمهن نحو الصــدارة في المملكة. ويتأكد ذلك من بعض الشـواهد النصـية والأثرية وظهور (الكنداكات ) موضـوع بحسـنا هذا .

ويبدو أن أول ملكة تبوأت الملك هي " برتاري" (280 ق .م ) المدفونة في الهرم العاشـــر في مقبرة البجراوية الجنوبية، وإن اعترض وينج على القول بتولي " برتاري "

---

([1]) (راجع Mac.6,16-20,Inscr.8:23,Inscr.9:81-84 )

للعرش بحجة صغر عرشها، لكن لوحظ أن عرش الملكة " اماني رينس " لم يكن أكبر حجماً [1] . وبعد برتاري بقرن تقريبا جلست الملكة شنادخيتى على عرش المملكة أيضا، وما أن حل القرن الأول قبل الميلاد حتى تعاقب على الصدارة عدد من النساء الشهيرات اللائي تركن بصماتهن في مسار المملكة، وتحقق لبعضهن " اماني رينس " و " اماني شاخيتى " وربما " اماني توري " الجلوس على عرش المملكة وبعدهن لم يعد من الممكن تتبع دور ومكانة النساء الملكيات لشح المصادر.

**6- الكنداكة لقب عظيمات مروى :**

بعد أن قرنت الكتابة المروية (نسبة لمدينة مروى عاصمة المملكة ) وعرفت معاني كثير من مفردات تلك الكتابة وقواعدها بفضل الجهود المتضافرة التي توجت بما وصل إليه عالم اللغات قريفث وما تواصل بعده من جهود قرنت أسماء بعض النساء الملكيات مقرونة بلقبين – اللقب " كور" ولقب آخر كتب بطرق مختلفة ولكنها متقاربة اميزها " كت كي" و " كدكي"، وهناك إجماع بأن اللقب الأول "كور" يعنى ملك. وبهذا المعنى كان هذا اللقب معروفا لدى المصريين منذ عام 591 ق.م حينما اطلقه الفرعون المصري بسماتيك على الملك الكوشى اسبلتا [2] . أما اللقب الثاني فقد ورد بصيغ مختلفة في المصادر الخارجية. كتبه المصريون " كلكي" [3] أو " كنتكي" [4] في الهيروغليفية و " كندكي" في كتب الكتاب الكلاسيكيين و " كنديس " في اللغات الأوربية الحديثة و " كنداكة " في اللغة العربية كما ننطقه في يومنا هذا .

وفي النصوص المكتشفة التي وقف عليها الكاتب وهي سبعة مرات نوردها بالثلاثة طرق التي كتبت بها وهي :

1- اماني رينس كور كدكي (Kawa:28) وتعنى الملكة الكنداكة امانى رينس

2- اماني رينس كورلي كدولي (AK.1/1 ) وتعنى الملكة الكنداكة امانى رينس

---

(1) Dunham, D. 1963, The Royal Cemeteries of Kush, Vol, 5, West and south cemeteries at Meroe, Boston

(2) Arkell 1955 :93-96

(1) Dunham, D., 1957, The Royal Cemeteries of Kush, Vol, 4, Royal Tombs at Barkal and Meroe . Poston.

(2) Griffith, F., L, 1911, Meiotic Inscription, Part 1, London,

3- امانى شاخيتو كوري كدونى(Mer.12C ) وتعنى الملكة الكنداكة امانى شاخيتو

4- امانى رينس كدكى (Mer.12C) وتعنى الكنداكه امانى رينس

5- اماني رينس كدوى ( Ibr.92/3 ) وتعنى الكنداكة امانى رينس

6- اماني توري كت كي (Ins. 4) وتعنى الكنداكة اماني توري

7- ميريبرى كت كى (A.W.2/4 ) وتعنى الكنداكة ميريبرى

وإن تباينت الطرق التي كتب بها ونطق بها هذا اللقب في شتى اللغات وفي لغة القوم أنفسهم، فكذلك تباينت الآراء حول مدلوله ومعناه فبينما عده بعضهم لفظة "كنداكة" اسما فان آخرين قالوا بانها لقب. وبين الكتاب الكلاسيكيين الأوائل الذين خاضوا في أمر المعنى بايون الصولي ويؤرخ له بالقرن الثالث قبل الميلاد الذى قال: إن لفظة كنداكة لقب يطلق على أم الملك، ومن رواية استربو[1] عن الحرب الرومانية المروية في الربع الخير من القرن الأول قبل الميلاد يفهم أن استعمال الكلمة جاء في الإشارة إلى اسم الملكة المروية في ذلك الوقت، وتبعه في هذا المؤرخ بلينى[2] ودايوكاسيوس [3] وزاد بلينى عن الآخرين بزعمه أن هذا الاسم أطلق على عدد من الملكات اللائي تعاقبن على حكم مروى. وفي ذلك كأنى به يقارن بين ماجرت عليه العادة في مصر البطلمية حيث اطلقت أسماء بطليموس وكيلوبترا على عدد من الملوك والملكات .

وفي رأينا ومن سياق محتويات هذه النصوص التي تكررت فيها هذه الكلمة وبعض الشواهد من الآثار يمكن استنتاج الآتي:

**أولاً** : إن لفظة كنداكة ليست اسما كما زعم بلينى لوجود اسم حاملة اللقب في كل مرة

**ثانياً**: إن لفظة كنداكة لا تعنى الملك أو الملكة لأن كلمة "كور" وهى تعنى قطعا (ملك أو ملكة ) اطلقت على الكنداكات اماني رينس واماني شاخيتى بعد لقب الملك (كور) .

(3) Strabo, 1907. The Geography of Strabo. 17:5
(2) Pliny, 1938, Natural History .
(3) DioCassius 1961, Roman History

**ثالثا:** لم يلحق هذا اللقب في كتابات المرويين بغير النســـاء الملكيات، وهذا يجعلنا نخلص إلى أن كلمة كنداكة كانت أحد ألقاب أو صفات عظيمات المملكة .

**رابعاً:** تتأكد حقيقة المكانة العظيمة لحاملات اللقب أنه كان ثاني القاب المرويين أهمية بعد اللقب "كور" (ملك ) [1].

**خامسا:** وأن حملت بعض " الكنداكات " لقب " كور" – اماني رينس, وامانى شاخيتو ) الدال على جلوســهن على العرش فان ذلك لا يعنى أن كل حاملات اللقب "كنداكة" بلغن قمة الســلطة وانفردن بالحكم، وكما لاحظ قريفث أن صــور الملوك من الرجال برزت في المعابد والأهرامات اكثر من صــور النســاء وحينما يجمع مشــهد واحد بين صــورتي ملك وكنداكة كانت صــورة الملك تتقدم صــورة الكنداكة) [2]. وملاحظتنا فيما قال به قريفث يصــدق في معظم الحالات، ماعدا المشــهد المنقوش على جدار واجهة معبد الأسد في النقعة حيث تبدو صورة الكنداكة أماني تورى موازية في البروز لصورة الملك نتكامنى .

ولاحظ مكادم [3] إن الشــأو الذى بلغته الكنداكات مؤخراً لا يمكن فصــله عن ما سبق أن كسبته النساء الملكيات وبخاصة الأم والزوجة في صدر الدولة المروية . وقد رأى مكادم إن الســيدات الملكيات ظللن يحتفظن بمكانتهن على مر القرون، بســبب دورهن الإيجابي في تحديد وراثة الملك حسب الأعراف والتقاليد الدينية المروية . ورجح أن يكـــون لقـــب كنداكة موازيا للقب " أم الملك" الذى عرف في النصوص الملكية الأولى. وبتحديد أدق بات لقب كنداكة يطلق على أم الملك القائم أو على التي يرجى لها أن تنجب ملكا . وقد رأى مكادم في ظاهرة المبالغة في تضــخيم عجوز الكنداكات عند تصــويرهن رمزا للخصــوبة المرجوة والضــرورية لإنجاب الملك القادم [4]نتفق مع مكادم فيما ذهب إليه في تعريفه للقب "كنداكة" ومن ناحية أخرى تجد ملاحظته القبول لأن ضــخامة العجز والصــدر مازالت من مقاييس الجمال ودلائل الإنجاب لدى سكان

(1) Zaki , O.H. 1975, Seniority and Significance of some late Merotic titles (Unbub. M.A. thesis), Khartoum University

(1) Griffith, N.F.L. Queen Nawidemak, Alen Memorial art Museum Bulletin, Vol, 23, P. 42-71 (Ohio).

(2) Macadam 1966,46

(3) Macadam 1966n.13

السودان النيلي، وكثيراً ما تلجأ الأمهات لتسمين كريماتهن المقبلات على الزواج وبعد كل ولادة لتحقيق تلك الغاية[1]

وإذا بتنا في يقين من أمر معنى اللقب وعلمنا إن حاملاته كن من عظيمات مروى – زوجات أو أمهات الملوك – فقد بقى لنا أن نسأل عن حقيقة تولى بعض أولئك النساء للسلطة الفعلية أو المشاركة فيها، الأمر الذى لم يتم لأسلافهن الأوائل وفي ذلك نورد أولاً الشواهد الدالة على تمكن بعضهن على الجلوس على عرش المملكة فعلا والشواهد هي :

**أولاً** : إن كلا من الكنداكتين "أمانى شاخيتو" و "أمانى رينس" حملت اللقب "كور", الدال على الملك .

**ثانياً** : ومثل عظماء الملوك المرويين، خلافا لما عرف عن نساء البلاط السابقات فإن كلا من الملكتين آنفتى الذكر تركت لوحة ملكية نقشت بالحروف المروية تمجيدا أو تخليدا لعمل قامت به.

**ثالثاً** : إن الملكة شنادخيتو قامت ببناء معبد في النقعة[2]والمعروف إن بناء المعابد كان من أخص خصائص الملوك، الذين كثيراً مازعموا إن "آمون " اختار من اختاره للملك من أجل أن يبنى المعابد ويصونها.

**رابعاً** : الحضور اللافت للكنداكة أمانى توري بالرقم من أنها لم تحمل اللقب "كور" الدال على الملك وهى في معية الملك "نتكامانى" الذى اختلفت الآراء حول علاقته بها فمن قائل أنها زوجة الملك ومن يعتقد أنها كانت أمه[3] وأما عن الملك نتكامنى فيلاحظ أن نشاطاته البنائية و الإصلاحية فى محوري المملكة الشمالي والجنوبى . وأبرز مظاهر مشاركات الكنداكة أمانى تورى له تنعكس في آثار معبدي النقعة (N.100,300 ) وعلى واجهة برج المعبد الأول الشمالية نقشت صورة كبيرة لها وهي تقضى على الأسرى مثلها مثل الملك المصور على واجهة البرج الجنوبية. ولولا ما

---

(2) راجع: عمر حاج الزاكي 1983 ص 122 .

(2)(Hintze 1959 Prelimirary Report of the Butana Expedition 1958, Kush, 7, pp. 71-96.

(3) Haycock. B.G. 1965 The kingship of Cush in The Sudan CSSR, 7, pp461 −80.

ظهر من تقدم صورة الملك نتكامنى على صورها في مناظر الجدران الخارجية للمعبد لصعب تقديم أحدها على الآخر في الأهمية . أما في المعبد (N.100) فتظهر صور أمانى توري مرافقة لصور الملك في المشاهد الكثيرة التي نقشت على مداخل وأعمدة هذا المعبد ومعلوم أن مثل هذه المشاهد التي ترمز لاستقبال ومصاحبة الاله للملك في مسيرته من بوابة المعبد حتى قدس الأقداس في معابد الكوة والبركل قاصرة على صور الملك والإله وحدهما.

**خامسا:** وأخيرا لا نجد تعليلا لظاهرة التخلي عن عادة الدفن القديمة التي اقتضت فصل مدافن النساء عن مدافن الملوك – إلا فيما تحقق للنساء الملكيات من مكانة تمكن بفضلها من الجلوس على عرش المملكة . وهذا بدوره يدفعنا للقول بأن كل النساء اللائي دفن في المقبرتين الجنوبية والشمالية في البجراوية ربما كن ملكات أو مشاركات في الملك. واذا جاز ذلك فإن الأمر يقتضى مراجعة وتعديل قائمة ملوك وملكات مروى لتشمل كل النساء اللائي دفن في المقبرتين الملكيتين !!!

**7-الصعود إلى عرش المملكة :**

وننتقل بعد هذا إلي البحث عن الأسباب والكيفية التي أدت لتصاعد أدوار بعض النساء الملكيات، حتى تمكن من الجلوس على عرش المملكة أو المشاركة في الحكم.

لقد ذهب الباحثون في ذلك مذاهب شتى. وعزى ديزانجز [1] ظاهرة حكم النساء في مروى لضعف التأثير المصري وتغلب عادات الحكم المحلية عند انتقال العاصمة من نبته في الشمال إلى مروى في جنوب المملكة في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد. ووجد ديزانجز تأييدا لرأيه هذا فيما أورده بعض الكتاب الكلاسيكيين من أن قوما يعرفون بـ "السمبرايت " يقطنون جنوب مروى كانوا يخضعون لحكم النساء. إن ربط ديزانجر بين تغلب العادات المحلية في منطقة مروى وانتقال العاصمة إلى الجنوب قد يبدو وجيها، لكن لعلمنا أن العاصمة لم تنتقل إلى مروى في التاريخ الذى أشار إليه وان الملوك الرجال ظلوا يتعاقبون على عرش المملكة بالرغم من صعود بعض النساء للعرش في ذات الوقت وهذا يضعف ما علل به ديزانجز من أسباب ما وصل إليه من نتائج مع علمنا بالمكانة المرموقة لنساء البلاط ومنذ قيام المملكة وقبل الانتقال

---

(1) Desanges. R.A. 1968, BIFO, pp. 89-101.

المزعوم لعاصـــمة المملكة إلى مروى. وفي البحث عن المؤثرات التي أدت لتطور وتعاظم مكانة النســـاء الملكيات في مروى في القرن الثالث قبل الميلاد ذهب وينج[1] بعيدا حينما عزا أمر ذلك لتأثر المرويين بصعود حتشبسوت على عرش الفرعون في مصـر . أن الشـقة الزمنية بين الظاهرتين في مصـر ومروى كبيرة جدا (أكثر من ألف عام ) وكان حرى بها أن تظهر في القرون الأولى من قيام المملكة (750 – 592 ق. م ) حينما كان التأثير الحضاري المصري على المرويين في أوج عنفوانه .

وبين الذين بحثوا عن تعليل لتلك الظاهرة د.هيكوك[2] (الذي ارجعها لعاملين أحدهما ذاتي داخلي وثانيهما خارجي . وارجع العامل الداخلي للتطور الطبيعي في مكانة المرأة الرفيعة التي عرفت بها في صدر الدولة المروية , خاصـة ارتباطها بنظام الحكم وتحديد الوراثة فيه . ومن ناحية أخرى عزى صعود بعض النساء للعرش مؤخرا للتأثير بما يجرى في مصـــر البطلمية وقتها حيث بدأت أخوات وأمهات الملوك البطالمة، حكام مصـــر ، يمارســن أدوارا مؤثرة في أمور الحكم بلغت أوجها في عهد الملكة كيلوباترا الســـابعة (48 – 30 ق.م ). وفي ذلك تجدنا نتفق مع هيكوك ولا نســتبعد التأثير الداخلي بجانب التأثير الخارجي وهذا ما ســنورده في مجمل رأينا عن ظاهرة تعاظم مكانة النساء الملكيات بعد القرن الثالث قبل الميلاد.

**الملكات والمجموعات الأسرية :**

من الواضـح أننا لا نملك من الأدلة ما يمكن من الوصـول إلى إجابة ناجزة عن الكيفية التي صعدت بها (برتاري260 – 250 ق.م ) أول امرأة مرويه لسدة الحكم في المملكة . ولربما كان ذلك نتيجة لصـــدفة جعلت منها وصـــية على عرش ابن أو أخ قاصر أو نتيجة لغياب وريث مستوف للمعايير الوراثية الشرعية التي حددتها الأعراف والتقاليد الدينية والأســـاطير وبجانب الملكة برتارى دفنت في مقبرة البجراوية الجنوبية سـيدتان أخريات هما الملكة " كنرت – سـر...ن) والملكة "هننوا" ولا نرى ما يمنع من القول بأنهما بلغن من الســلطان ما بلغته الملك برتارى . وبعد ذلك تعاقب على عرش المملكة عدد من الملوك الرجال، ولم تتوفر أي أدلة أخرى على تعاظم دور إي من النساء، إلا في بداية القرن الثاني قبل الميلاد حينما تبوأت عرش المملكة " شنادختى

---

(1) Wenig, S. 1968, Africa in Antiquity

(2) Haycock 1965, :477

" وبقيت على مقصورة هرمها (Beg.N.11 ) صورة لشخص يافع يرجح انه ابن أو أخ قاصر قامت شنادخيتى وصية على عرشه .

أما في القرن الأول قبل الميلاد فقد تصاعد نجم نساء البلاط بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المروى . وقد وافق ذلك ظهور ثلاثة مجموعات أُسرية بدا فيها وكأن أفراد كل مجموعة توجوا ملوكا ليشاركوا في أُمور الحكم و أداء الشعائر الدينية أمام آلهة المعابد . المجموعة الأولى ضمت الملك ترتقاس والملكة الكنداكة امانى رينس و " البكر "(الأمير اكنداد ). والمجموعة الثانية ضمت الملكة الكنداكة امانى شاخيتو والأمير اكنداد وامانى خبلى .[1] أما المجموعة الأسرية الثالثة فقد ضمت الملك نتكامنى والكنداكة امانى تورى والأمراء أريككنانى وأريكانخرور وشروكرور . وأخيراً ورد اسم "البكر" (الأمير ) في هرم البركل السادس مع الملكة (؟) نويدماك[(2)]) وعثر هنتزا في مجموعة فرلينى الأثرية على خاتم ملكي نقشت عليه صورة ملك وملكة يرفعان طفلا، وقد استدل بذلك على تنامى الشعور الأسرى لدى ملوك المرويين. وما يؤكد ما ذهب إليه هنتزا ملاحظتنا أن المشاهد المنقوشة على جدران المعابد التي تعود للقرن الأول قبل الميلاد باتت تضم بجانب صور الملك صورً للزوجة أو الأم وللأبناء . وبينما تأكد أن اثنين على الأقل من كنداكات القرن الأول قبل الميلاد – اماني شاخيتو وامانى رينس تربعن على عرش المملكة غير أن أيا من الأبناء (؟) أو الأمراء الذين ظهروا في المجموعات الأسرية لم يخلف آثارا خاصة به تدل على انه تولى زمام الحكم لوحده .

وبعد فترة القرنين الأولين قبل وبعد الميلاد تصاعدت فيها مكانة نساء البلاط الملكي وحققن المشاركة في أمور الحكم تعاقب على حكم المملكة عدد من الرجال الملوك ولم تعد الآثار تعكس ما بات لأولئك النساء من أدوار.

---

([1]) لورود اسم اكنداد مع الملك ترتقاس انظر ( Ins.94 ) ومع الملكة امانى رينس انظر (Ak.92 ) ومع امانى شاخيتو انظر (Ibr.st ) .

(2) Hintze F., 1968 Civilzation of the Old Sudan, Kerma, Kush, Christian Nubia Leipzig, P. 131

**الخاتمة ...**

وخلاصة رأينا عن مدلول اللقب كنداكة وحقيقة ما كان للنساء الملكيات (الأمهات والزوجات والأخوات ) من مكانة منذ قيام مملكة كوش (نبتة ـــــــ مروى) وتصاعد مكانتهن في النصف الثاني من عمر المملكة تورده فيما يلى:

**أولاً** : إن اصـــل مفردة الكلمة "كنداكه" وجد مكتوبا بالحروف المروية التي أصـــبح المرويون يكتبون بها بدلا عن الهيروغليفية المصـــرية ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد. وعن تلك المفردة، فقد كانوا يكتبونها وينطقونها "كدكى أو كت كى أو كدونى" . وتأكد من قراءات النصـــوص المروية أن المفردة كانت لقبا يطلق على المرأة التي يرجى لها أن تنجب الملك القادم أو أنها هي أم الملك القائم. وأن المفردة ليست اسما لملكة بعينها كما أنها لا تعني "ملكة".

**ثانيا** : إن عظمة الكنداكات لا تكمن في إنهن كن ملكات أو محاربات وإنما لعظم دورهن في ضـــبط نظام تداول الســـلطة عن طريق وراثة معلومة وهذا ما حقق للملكة اســـتقرارا وازدهارا طويلا زاد عن الألف عام الأمر الذى مازال يرهقنا في العصـــر الحديث في السودان (ارض المرويين ) عن من يحكم وكيف يكون تداول السلطة .

**ثالثا**: إن ظهور الكنداكات بصـــورة لافته في الفترة المعلومة يرجع لتطور طبيعي في مكانة أمهات وزوجات وأخوات الملوك الذى عرف منذ نشـــأة المملكة، وبســـبب تلك الأســـطورة المنســـوبة للجد الارا بأن يبقى الملك في نســـل أخواته ابد الآبدين، وربما جلست أولا واحدة من أولئك الحفيدات على عرش المملكة لقوة شـخصـيتها أو لغياب الوريث الشـرعي أو ربما وصـية على عرش أبن قاصـر ومن ثم اعتاد المرويون على تسيد النساء بعد تجارب ناجحة لهن في مجال الحكم .

**رابعا**: وعن المكانة الســـامية للأمهات بينهم نقدم افتراضـــا، نقر باننا لا نملك دليلا عليه، ولكن لا نعدم القرائن المغرية بطرحه، وهو أن المرويين في الأســـاس ربما انحدروا من قوم كانوا يعظمون النساء(الأمهات ) ويولوهن تنظيم الوراثة بينهم (حسب النظام الأمومي ) مثلما عرف عند بعض الشعوب الأفريقية التي ظلت ترعى مثل هذا التقليد حتى وقت قريب وحينما أخذ الكوشـــيون بالعقائد الدينية المصـــرية، خاصـــة الأمونية، خلعوا على ذلك التقليد الذي كان ســـائدا بينهم أصـــلاً الصـــبغة الدينية التي وردت في أسطورة الجد الارا. ولذلك ظلوا يعظمون نساءهم ودانوا لهن حينما جلست على العرش ملكات في فترات متباعدة دون الشعور باختلال نظام الحكم التقليدي.

والشـــاهد الأكبر على تعظيم النســـاء عموما بينهم وبخاصـــة الأمهات إنهم في

جميع اللوحات المكتوبة باللغة المروية والمعروفة بلوحات القرابين كان الميت ينسب للأم أولا ثم الأب كقولهم (فلان ابن فلانه الذي أنجبه فلان).

وأخيراً لعلنا نرى فيما عرف عن تعظيم النساء في العهد المسيحي في السودان وفي موروثات المجتمع السوداني الحديث صدى للتقاليد المروية التي عظمت النساء وقد جاء في قول الأمير النوبي جورج بن الملك زكريا ملك دنقلا عند زيارته لبغداد في عهد الخليفة المعتصم (833–842 م) عن قومه " أن أمرنا بأيدي نسائنا "[1] ومازال السودانيون يرددون المثل القائل " الخال شريك الوالد وفي المأتم تنادي النساء الميت " يا ود أمي" إن كان رجلا أو يا بت أمي إن كانت امرأة . ويستعمل لفظ (ولد أمي) بعض أهل غرب السودان في مخاطبة الأصدقاء الأعزاء وكلها تعابير تكشف عن مدى متانة الصلات الأموية التي غرست في البيئة السودانية منذ العهد المروى ولا تزال . ولتحقيق المزيد من التعرف على أشهر الكنداكات في العالم القديم، وهي الكنداكة التي قاتلت الرومان في الحدود الشمالية لمملكتها وجنوب مصر ، والتعريف باللغة والكتابة السودانية القديمة (اللغة المروية ) أفردنا ملحقا في نهاية هذه الدراسة يعرف بكل باختصار.

## الملاحق

### ملحق (1)

### الكنداكة وقتال الرومان

ارتبط اشتهار قصة الحرب بين الرومان والمرويين ، في أحد جوانبها إلى ما أشارت إليه المصادر عن أن الجالس على عرش مملكة مروى وقتها (23–21) ق . م كانت امرأة أشاروا إليها بصفتها " الملكة الكنداكة " وجاء عن وصفها في قصة استرابو (Strabo) عن هذه الحرب إنها كانت امرأة قوية البنية (masculine) وأن احد عينيها كانت معطلة (Blind )

(1) A masculine sort of woman and blind in one eye "

وعن أسباب وتفاصيل سير تلك الحرب فقد وردت كلها في كتابات الكتاب الكلاسيكيين الذين عاصر بعضهم أحداثها. ويذكر من هؤلاء دايدورس (Diodorus) واسترابو

(1) البلاذري، 1932: فتوح البلدان، القاهرة، ص 238

(Strabo) ودايوكاسيوس (Dio–Cassus) وبليني (Pliny) (1)؛ ولم يرد تفصيل عنها في كتابات المرويين، وإن رجح البعض أن هناك شيئا مضمنا في لوح الحمداب المكتوب باللغة المروية والذي يصعب فهم ما ورد فيه لمحدودية معرفتنا بمعاني تلك الكتابة السودانية (المروية ) وأن تمكنا من قراءة ومعرفة معاني بعض الكلمات في لوح الحمداب ومنها كلمة (ارومي– اي روما) (AK–I).

والقصة نرويها باختصار كما وردت في المصادر الكلاسيكية التي اشرنا إليها ولا نقول عنها أنها كلها حقائق لا تخلو من المبالغات أو الانحياز مع اعتماد رواتها كثيرا على مصادر سماعية. ولكن وقبل ذلك ينبغي علينا أن نقدم للموضوع بتوضيح الظرف التاريخي الذي قارب بين القوتين ومن ثم التصادم بينهما. وفي ذلك نعلم أن الإمبراطورية الرومانية وأثناء تمددها واستيلائها على بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط كانت قد ضمت مصر لأملاكها الإمبراطورية بعد انتزاعها من حكامها البطالمة (الإغريق ) في عام 30 ق.م، وبذلك التقت القوتان عند الحدود بين البلدين . ويبدو أن وصول الرومان للحدود الشمالية لمملكة مروى أثار حفيظتهم فأغاروا على منطقة أسوان تماما كما فعل النوبيون بعد ذلك بعدة قرون بعد فتح المسلمين لمصر في عام 21/هـ/642م .

وإن تعددت مصادرنا التي اشرنا إليها فقد اتفقت جميعا تقريبا في قصتها عن تلك الحرب، غير أنها اختلفت في بعض التفاصيل. ومجمل ما يمكن استخلاصه من تلك المصادر هو أن المرويين وعلى رأسهم المملكة الكنداكة وجنرالاتها أغاروا على صعيد مصر بإعداد كبير مكتسحين أمامهم البلاد حتى أسوان التي دخلوها وخربوها وسبوا الناس وأنزلوا تمثالا لقيصر كان منصوبا فيها. وعلى أثر ذلك تصدى لهم القائد الروماني بترونيس (25 –21 ق.م) وهزمهم في عدة وقائع وتوغل في بلادهم حتى دخل مدينة نبته وسواها بالأرض . وكان تفوق الجنود الرومان في السلاح واستراتيجية القتال سبب في انتصارهم. وانتهت تلك الحرب بصلح مع وفد من المرويين سار إلي الإمبراطور أغسطس في جزيرة ساموس( Samos ). وقيل أنه تفضل عليهم بعدم فرض جزية عليهم وكان من نتائج ذلك أن سادت علاقات طيبة بين مصر الرومانية ومملكة مروى أدت لازدهار شمال المملكة .

وبما أن اسـم الملكة الكنداكة التي ثارت تلك الحرب في زمانها لم يذكر فما زال المهتمون المتخصصون مختلفون حول ذلك فمنهم من يرجح أنها كانت الملكة الكنداكة أماني رينس .ومن يرى أنها كانت الملكة الكنداكة أماني شـــاخيتو المدفونة في الهرم السادس اكبر أهرامات مقبرة البجراوية الشمالية الملكية.

**ملحق (2)**

**الكتابة المروية[1](السودانية القديمة ):-**

تعرف السودانيون القدماء في المناطق الشمالية من البلاد على الكتابة وأهميتها بحكم مجاورتهم وتداخلهم مع المصـريين الذين كانوا مع نظرائهم في العراق القديم أول البشـــر الذين ابتكروا كتابة تعبر عنهم منذ الألف الرابع قبل الميلاد، ومع قيام مملكة كوش (نبتة – مروي) من منتصـــف القرن الثامن قبل الميلاد بدأ ملوك الكوشـــيون يكتبون بالهيروغليفية المصرية. وكانت الكتابات في مجملها دينية كما كتب بها الملوك لوحات تتويجهم وإنجازاتهم وكانت لوحة نصـر بعانخي أول أطول لوحة من ذلك النوع وظل خلفاؤه من الملوك الكوشـــيين يكتبون بذات اللغة حتى نهايات القرن الرابع قبل الميلاد حيث بدا تدهور في فهم تلك اللغة وقواعدها. ولا يفهم من ذلك أن كافة السـودانيين كانوا يكتبون بتلك اللغة أو يفهمونها بل كانت لهم لغتهم المحلية الخاصـة مع ترجيحنا أن قلة من السكان كانت تلم بمعاني اللغة المصرية خاصة طبقة الكهان والإداريين. وأخيراً كان على المرويين ابتكار كتابة خاصـة بهم بعد أن عرفوا أهميتها، وكانت تلك هي الكتابة المروية التي نورد فيما يلى تعريفا موجزا بها وفيها وردت كلمة " كنداكة" موضوع الدراسة .

والكتابة المروية كتابة هجائية مطلقة تقريبا ذات ثلاثة وعشـرين حرفا وقد كتبت بخطين احدهما هيروغليفي (حروفه رموز مصـورة ) والآخر مختزل والخطان مأخوذان من أصـول مصـرية . النوع الأول حروفه مأخوذة من الهيروغليفية المصـرية، والثاني من الهيراطيغيه والديموطيغيه المصـــرية. وفي الكتابة المروية الحروف منفصـــله عن

---

([1]) يعتقد أن أول من أطلق عليها أســم المروية هو عالم اللغات الألماني بروقش، لكن عالم اللغات عبدالقادر محمود يري أن هذه اللغة والكتابة كانت مساحة انتشارها أكبر من مروي ويفضل أسم الكتابة السودانية القديمة (عبدالقادر محمود 1986م ) .

بعضها البعض كما إنهم درجوا على وضع فاصلة بين الكلمات تتكون من ثلاثة نقاط عمودية في حالة الهيروغليفية، هكذا (:) وفاصلة من نقطتين في حالة الخط المختزل، هكذا ( ) وتكون هذه الفواصل أفقية(...) في حالة الكتابة الصورية العمودية كما اتجهت الكتابة المروية في الغالب من اليمن إلى اليسار، كما يجوز أن تكون عمودية وإن استعارت الكتابة المروية حروفها من الخطوط المصرية الثلاث، التي اشرنا إليها ، فقد لوحظ أنها مختلفة تماما عن الكتابة المصرية في نظامها في **خمسة أوجه نوجزها فيما يلى :**

1- إن الكتابة المصرية الهيروغليفية تستخدم مئات الرموز .

2- تستخدم الكتابة المروية، ثلاثة وعشرون حرفاً.

3- بينما تخلو الكتابة المصرية القديمة من الحروف المتحركة تظهر بالكتابة المروية حروف متحركة تقابل الفتحة والضمة والكسرة وياء النداء .

4- وبينما لجأت الكتابة المصرية لتوضيح كل أصوات الرمز متعددة الصوت لم تحتاج الكتابة المروية لذلك لكونها هجائية .

5- اختلفت الكتابتان في توجيه رموز الكتابة نحو بداية السطر، بينما توجه الرموز في الكتابة المصرية نحو بداية السطر ومن ثم تبدأ القراءة من الجهة التي توجه نحوها الرموز، فإن الرموز في الكتابة المروية توجه اتجاها عكسيا بحيث تكون نحو نهاية السطر، وتكون القراءة من الجهة التي توليها الرموز ظهرها.

وبذلك يتضح أن المرويين لم يكونوا نقلة مقلدين لغيرهم، وإنما اخضعوا ما استعاروه لمقتضيات ضروراتهم بالتغيير والتطوير اللازمين، وهكذا كان دأبهم في معظم الكتابات دينية ودنيوية مع غلبة النوع الأول، وكتاباتهم الدينية منقوشة على موائد القرابين واللوحات الجنائزية وعلى جدران المعابد والمقصورات الملحقة بالأهرامات وعلى مداخل القبور، أما الكتابات الدنيوية فقد شملت ما يتعلق بسيرة الملوك والأفراد والمعاملات وأعظم نقشين ملكيين، وجدا هما لوحة الملك المروى تانيدماني (120-100 ق.م) ولوحة الأمير اكنداد (64-69 ق.م )

**إشكالية الكتاب المروية :**

الكتابة المروية مثلها مثل الكتابات المصـــرية والعراقية القديمة تعد من اللغات الميتة، وهى اللغات التي لم يعد يتحدث بها احد وقد حظيت هذه الكتابات باهتمام بالغ من علماء اللغات القديمة، وفكت رموز الهيروغليفية المصـرية والمسـمارية السـومرية، بمعنى قرئت وفهمت معانى مدلولاتها وقد تحقق للغة المروية، الشـــق الأول وهو اسـتعادة أصـوات اللغة كما فهمت كثير من معانى الكلمات والتعابير والقواعد غير أن الفهم الكامل لمعاني ما كتبه المرويون لم يتحقق بعد. ونخلص من ذلك بالقول إن الخط المروى كان هجائيا ســـهل التعلم والكتابة، وإن المعرفة به انتشـــرت بين عامة المرويين في زمانهم حتى أن دايدور الصقلي وهو من كتاب القرن الأول الميلادي زعم بأن كل المرويين كانوا يكتبون بينما اقتصـــرت معرفة الكتابة في مصـــر في أواســـط الكهان [1](Diodorus III.).

**المصادر والمراجع:**


1. أبو النصر مبشر الطرازي 1977المرأة وحقوقها في الإسلام، القاهرة
2. البلاذري 193 فتوح البلدان، القاهرة. الرياض.
3. حسـن مكى (بدون تاريخ) الثقافة السـنارية – المغزى والمضـمون، جامعة إفريقيا، مركز البحوث.
4. حسـن محمد صـالح وأخرون، 2017 السـياسـات الاسـتعمارية السـالبة، ومقاومة أبناء جبال النوبة وجنوب السودان للحكم الأجنبي.
5. عبدالقادر محمود عبدالله 1986 اللغة المروية، الجزء الأول، الرياض مطابع جامعة الملك سعود.
6. 2017 السودان القديم كما وثقته الأدلة النصية والقديمة، ج 1.
7. عمر حـاج الزاكي، الإلـه آمون في مملكـة مروى. جـامعـة الخرطوم، مطبوعات كلية الدراسات العليا، 1983.


(1) لمزيد من المعرفة بهذه الكتابة نرجع القاري لمصدرين أساسيين احدهما باللغة العربية للبروفسير عبدالقادر محمود عبدالله والآخر باللغة الإنجليزية لعالم اللغات قريفث في كتابيهما المشار إليهما في المصادر.

8. عمر حاج الزاكي الاستمرارية والتغيير في ثقافة وادي النيل الأوسط، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثاني، ليبيا، جامعة ناصر، 1991.
9. عمر حاج الزاكي مملكة مروى التاريخ والحضارة، دمشق، مطبعة الصالحاني.
10. ساميه بشير دفع الله 2008، السودان في كتب اليونان والرومان، ط 1، الخرطوم منشورات جامع السودان المفتوحة.
11. سليم حسن، 1957 مصر القديمة، ج11. القاهرة مطبعة جامعة القاهرة.
12. نفيسة أحمد الأمين، 2017، ملامح من الحركة الوطنية النسائية في نصف قرن (47 -1997 ).

**مصادر باللغات الأوربية**

1-Arkell, a.J. 1955 " Egyptian Invasion of the Sudan in 591 B.C" Kush"3
2-Budge,E.A 1912 Egyptian Religion. Annals of Nubian kings (London)
3-Caminons,R.A,1968 " The Nitocris Adoption Stela " JEA.54,pp.71-101
4-Desanges, R.A. 1968 Vuesgrecquessurquelques aspects delamonarchemerpoitque BIFO , pp , 89 -104.
5-DIO Cassious1961Roman History (London)
6-DIO dorus 1996Geography, Book 1-3(London)
7-Dunham,D1957 The Royal Cemeteries of Kush,Vol.IV.
8-Garstang,J 1911Meroe ,the city of the Ethiopians (Oxford)
9-Griffith,F, 1911a Karanog , The MeroiticInsxriptions of shablul and Karannog.
10- Griffith,F, 1911.b Meroiticand Inscription part 1 (London)
11-Hakim, A.M.A 1975" The city of Meroe and the myth of Napata"ABAB"pp,120-131 .

12-Haycock,B.G. 1965 The Kingship of Cush in the Sudan " CSSH,7,p.p.461-80

13-Hintz,F. 1959 Preliminary Report of the Butana expedition 1958 Kush 7,p.p.171-96

14- 1968 Civilization of The Old Sudan , Kerma , Kush ,Cristian Nubia (Lepsig)

15-Macadam,M.F. 1949 The Temples of Kawa 2 vols.vol.1,the inscriptions,vol.2,the plates

16- 1966 Queen Nawidemak,

17- 19 Allen Memorial Museum Bulletin vol.23,no.3 p.p.42-46.

17- Pliny1938 Natura history (London)

18- Resiner ,G.A1919 (Discovery of The Tombs of The Egyptian at elKurru in Dongola, S N R, 2, PP.237-64.

19- 1921 (Historical Inscriptions From Gebal Barkal) SNR,4,59-74.

20-Torok,L , 1989 Kush and the external world

19-Trigger,B.1970 The Meroitic Inscriptions from Armina West.

20-Weing, S. 1968 Africa in Antiquity

21-Zaki ,O.H1975Seniority and Significance of some late Meroitic titles (Unpub.M.A. thesisUniv of Khartoum)

**Abbreviations**

Ak. I Stela of Akindad(Griffith 1917-159-173)

Ak.II Stela of Akinidad(Hintze, Kush IX,278-282)

A.w. Refers to the Meroitic Inscriptions published in Triger 1970.

Beg.s. Refers to the royal tombs of the south cemetey of Begrawiya

Beg.N. North cemetey of Begrawiya

BIFO:Bulletin de Institut Frncais d Archeologie Orientale (Cairo)

Ded.st. Refers to king Aspelta Stela concerning his sister Madgin(Bugde 1912)

CSSR : Comparative Studies in Society and History (Hague)

- Elect.st. Refers to the Stela of the kings Aspelta,
- Hars,st. Harsiotef ,Nastasin and Tanutamani,stela.
- Nast.st . (Published in Budge,1912).

Inscr. Refers to the royal inscriptions written in Egyptain Hieroglyphic, published in Macadam 1949.

Ibr.st. Refers to the Meroitic Stela from Ibrim

Kar. Refers to the Meroitic inscriptions from Karanog, (Griffith 1911 a)

Kawa Refers to the Meroitic inscription from Kawa I Macadam 1911 a )

Mer. Meroitic Inscriptions from Meroe(Garstang 1911)

MI.I Meroitic Inscriptions published by Griffith in (1911,b )

MI.I Meriotic Inscriptions published by Griffith in (1911, b )

Pye.2 Pye(Pienkhi ) Stela published in Resiner

# أثر استخدام الهواتف الذكية على انحراف الأحداث بالتطبيق على عينة من أطفال مدارس الأساس بمدينة ود مدني

الدكتور / آدم أحمد آدم – جامعة أم درمان الأهلية – كلية الآداب – قسم علوم الاتصال

**المستخلص**

تسعى هذه الدراسة لمعرفة أثر أجهزة الهواتف الذكية على انحراف الأحداث، وتمثلت مشكلة هذه الدراسة في سؤال رئيس وهو: ما هو أثر الهواتف الذكية في انحراف الأحداث وتأثيرها الاجتماعي والنفسي عليهم؟ وتنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله وهو الهواتف الذكية وتأثيراتها على الأطفال والتي أصبحت من أهم الوسائل التي يستخدمها الأطفال في حياتهم، أيضاً تتمثل أهمية الدراسة في أننا نعيش الآن في عصر نتشار الهواتف الذكية بشكل مخيف ، حيث أضحت هذه الوسائل من أكثر الأشياء التي يستخدمها الناس وتأخذ الكثير من الوقت مما يجعلها تأثر كثيراً في سلوكهم بشكل مباشر.

تهدف هذه الدراسة لمعرفة أثر استخدام الأطفال للهواتف الذكية في عملية التفكك الأسري بأبعاده الاجتماعية والنفسية، وهل يسهم فعلاً استخدام هذه الأجهزة من قبل الأحداث في انحرافهم سلوكياً، وما هي آثارها الإيجابية والسلبية ، كما تهدف الدراسة إلى التعرف على أسباب ودوافع استخدام الهواتف الذكية عندهم ، ستتبع الدراسة المنهج الوصفي والمنهج المسحي ، كما تستخدم الدراسة المنهج التاريخي في الإطار النظري للبحث، ستكون الاستبانة هي أداة هذه الدراسة الرئيسة وذلك من خلال تصميم استمارة وتوزيعها على عينة من مجتمع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أثر، الهواتف الذكية، انحراف، الأحداث

**Abstract**

The study seeks to identify the impact of smartphones on juvenile delinquency. The problem of the study is represented in a main question: what is the impact of smartphones on juvenile delinquency, besides, smartphones' social and psychological effects on them? The significance of the study comes from the importance of the topic it tackles; smartphones and their impacts on children, never the less smartphones become the most important means that the children use in

their life. Also the significance of the study represented in the issue that we live in an era of terrifying widespread of smartphones, that become the most used and time-consuming gadgets, the thing that makes smartphones have the most immediate impacts on juveniles' life.

The study aims at identifying the impacts of children's use of smartphones on family disintegration with its social and psychological dimensions. Does the juveniles' use of these devices really contribute to behavioral deviation? What are the positive and negative effects? As well as the study aims at identifying the reasons and motives behind juveniles' use of smartphones. The study adopts the descriptive method as well as survey. It also uses the historical method in the theoretical part of the study. A questionnaire will be the main tool of the study. The questionnaire will be distributed to the sample of the study population.

Key terms: Impact, smartphones, delinquency, juveniles.

**المقدمة:**

بات الناس في وقتنا الحالي يكتفون باستخدام الهواتف في التواصل اليومي والعلاقات العائلية والأسرية ، فمن رسائل الدردشة إلى الاتصال الصوتي أصبحت كلماتنا وعباراتنا أكثر جفافاً وألفاظنا أكثر برودة لإيصال مشاعرنا للغير، حتى أمست تعابيرنا المكتوبة تفتقر إلى عمق المعنى وجوهره، أصبحت الهواتف الذكية منتشرة في حياتنا بشكل واسع حيث انتقلت من كونها ظاهره إلى شيء أساسي نكاد لا نشعر بالعالم إلا من خلاله حتى وصلت إلى مرحله الإدمان فأصبح استخدام الأجهزة الذكية في التواصل الاجتماعي يمثل عقبة كبيرة جداً أمام عمليه التواصل المباشر بين أفراد المجتمع، وكما هو معروف لدى الجميع تمثل العلاقات الاجتماعية داخل بناء الأسرة أهمية كبيرة في علم الاجتماع نظرا لما تحظى به الأسرة من مكانة هامة في المجتمع لأنها تمثل أهم المؤسسات والمنظمات الاجتماعية في المجتمعات كافة .

ومع التطور التكنولوجي الذي أفرز عدة تحولات مستويات جميع بنيات المجتمع والذي انعكست آثاره على الأسرة و بالتالي على وظائفها و مهامها كمؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالمحيط الذي تتواجد فيه، الأمر الذي تسبب في تقليص دور الأسرة وتحلل العلاقات التي تربط بين أفرادها فانعكس ذلك على تنشئة الطفل ومستقبله وتحولت مهام التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى .[1]

(1) محمد سلامة غباري – الدفاع الاجتماعي في الجريمة – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2007 – ص : 131-139

إن عملية انحراف الأحداث عملية معقدة ومتشابكة الأبعاد والأسباب فمنها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي، ولا يمكن أبداً تناول مشكلة انحراف الأحداث بمعزل عن السياق الاجتماعي والنفسي وحتي البيئي الذي يعيشون فيه ، فالتنشئة الاجتماعية وسوء التكيف الاجتماعي هما عاملان أساسيان في هذه العملية ، ومع التطور التكنولوجي الهائل في جميع مناحي الحياة دخلت عوامل أخرى وأصبحت من أهم الأسباب التي تؤدي لانحراف الأحداث ، فالأجهزة الذكية والإنترنت والتطبيقات الذكية الأخرى التي غزت المنازل وأصبحت متاحة للكبار والصغار على حد سواء أسهمت بشكل أو بآخر في تغيير مستوى التفكير ودخول أفكار ومفاهيم جديدة على حياة الأطفال .

تعرض مشكلة هذا البحث لأثر الهواتف الذكية في عملية انحراف الأحداث اجتماعياً وسلوكياً، وبيان مدى أهمية هذه الأجهزة ودورها الإيجابي والسلبي في ترابط الأسرة ، وتتمثل مشكلة هذا البحث في سؤال رئيس مهم: ما هو أثر الهواتف الذكية في انحراف الأحداث وتأثيرها الاجتماعي والنفسي عليهم ؟

وتنبع أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله وهو الهواتف الذكية وتأثيرها على حياة المجتمع لا سيما الأطفال، ويعد هذا البحث مهماً أيضاً لأنه يتناول قضية انحراف الأحداث التي تعد من أكبر المشكلات التي تؤرق الأسر بصورة خاصة والمجتمع ككل بصورة عامة.

يسعى البحث للوصول لعدة أهداف وذلك لمعرفة التأثير الذي يحدثه الهاتف المحمول على الأحداث ومن أهم هذه الأهداف الآتي:-

1 – التعرف على أثر استخدام الأطفال للهواتف الذكية في عملية التفكك الأسري بأبعاده الاجتماعية والنفسية .

2 – إبراز الأثر الذي تحدثه الهواتف الذكية كأداة تساهم في انحراف الأحداث.

3 – التعرف على إيجابيات وسلبيات الهواتف الذكية .

4 – كما يهدف البحث للخروج بنتائج وتوصيات علمية تسهم في معالجة المشكلات التي تواجه الأسر والمجتمعات عند التعامل مع هذه الأجهزة .

ومن أهم الأسئلة التي يسعى البحث للإجابة عليها ما يلي:

1 – ما مفهوم الهواتف الذكية؟

2– ما مفهوم انحراف الأحداث ؟

2 – ما مدى تأثير الهواتف الذكية على سلوك الأحداث ؟

3 – ما هي أسباب ودوافع استخدام الهواتف الذكية عند الأحداث ؟

4 – ما هي الآثار الإيجابية والسلبية لاستخدام الهواتف الذكية بالنسبة للأحداث ؟

**منهج البحث وأدوات جمع المعلومات:-**

استخدم الباحث منهج المسح الميداني ، لطبيعة الدراسة التي تتطلب جمع بيانات ومعلومات من الجمهور، والدراسات المسحية (Survey studies) هي جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة للتعرف عليها وتحديد وضعها ومعرفة جوانب الضعف والقوة فيها، لمعرفة مدى الحاجة لإجراء تغيرات فيها، ويعتبر المسح أكثر طرق البحث التربوي والاجتماعي استخداماً ، ذلك لأننا بواسطته نجمع وقائع ومعلومات موضوعية عن ظاهرة معينة أو حادثه مخصصة، أو جماعة من الجماعات، أو ناحية من النواحي .[2]، كما استخدم الباحث المنهج التاريخي في الإطار النظري لهذه الدراسة.

استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع المعلومات، تعتبر الاستبانة أو الاستقصاء أداة ملائمة للحصول على معلومات وبيانات وحقائق مرتبطة بواقع معين ، ويقدم الاستبيان بشكل عدد من الأسئلة يطلب الإجابة عنها من قبل عدد من الأفراد المعنيين بموضوع الاستبيان.[3]

كما استخدم الباحث الملاحظة الشخصية أيضاً في عملية جمع المعلومات، الملاحظة تعبر عن رؤية الظاهرة المدروسة ومتابعة تغيراتها، ويتجلى الغرض من استخدام هذه الوسيلة في تقصي بعض المؤشرات الأولية الخاصة بالدراسة والتي يصعب قياسها، وذلك بما تولده من ثقة بين المجتمع والباحث، ثم بما يتهيأ للباحث نفسه من فرصة لفهم بعض المواقف التي لا تجد فيها الوسائل الأخرى .[4]

**مصطلحات البحث :-**

**الأثر:** هو نتيجة الاتصال وهو يقع على المرسل والمتلقي على السواء وقد يكون الأثر نفسي أو اجتماعي.

**الأجهزة الذكية:** يعرفها الباحث إجرائياً بأنها أجهزة اتصال شخصية إلكترونية تحتوي على عدد هائل من التطبيقات والخدمات مثل الرسائل النصية والاتصال الصوتي والمرئي وخدمات البيع والشراء الإلكترونية والألعاب الإلكترونية وغيرها من خدمات الاتصال الرقمي.

**انحراف الأحداث:** موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن (الحدث) لعامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السببية مما يؤدي به إلى السلوك غير المتوازن أو محتمل أن يؤدي إليه.[5]

الإطار النظري

**أولاً الأجهزة الذكية:-**

(2) رجاء دويدري – البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر المعاصر ط1، دمشق: 2002 ص307

(3) ذوقان عبيدات، وآخرون – البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع الرياض: 2002 ص : 145

(4) محمد الوفائي – مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة: 1979ص: 144

(5) رمضان السيد، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث ، دار المعرفة الجامعية، ط1 ، 2000 ص : 27

الهاتف النقال هو أحد أشكال أدوات ووسائل الاتصال الذي يعتمد على الاتصال اللاسلكي ، عن طريق شبكة من أبراج البث الموزعة ضمن مساحة معينة ، كذلك فإننا نستطيع أن نعطي للهاتف النقال تعريفاً أكثر شمولية ودلالة بأنه عبارة عن دائرة إرسال واستقبال عن طريق إشارات ذبذبيه عبر محطات إرسال أرضيه ومنها فضائية مثل إشارات الراديو، إلا أن الهاتف المحمول او الموبايل وشبكاته الأرضية يختلف عنها ، فإشاراته تكون ذبذبيه تشبه إشارات رسم القلب تصاعدياً وتنازلياً وهي إشارات قوية تصل إلى ( MZ 20) إرسالاً واستقبالاً في الثانية الواحدة ويكون ذلك إما عن طريق الاتصال حيث تكون عن طريق دائرة متكاملة تكمن في الهاتف المحمول الشخصي والمفتاح أو السويتش الرئيسي الخاص بالشركة والخط ، اما ما يسمى بالسيم كارد (SIM CARD) فهو عبارة عن بطاقة صغيرة فيها وحدة تخزين صغيرة جداً ودقيقة ووحدة معالجة تخزن بها بيانات المستخدم والبريد الذي يقوم باستخدامه للاتصال بالآخرين . (6)

اتسعت ظاهرة استخدام الهاتف المحمول بالنسبة للأطفال في الآونة الأخيرة وتعامل معها المجتمع عموماً والآباء والأمهات خصوصاً بمبررات ساقها مؤيدو هذه الظاهرة مثل التواصل وتحقيق رغبة الطفل وتكوين شخصيته المستقلة لتصبح ظاهرة طبيعية يتقبلها من الآباء والأمهات في كثير من مجتمعاتنا، إذ أصبحت أجهزة التلفون النقال أو ما يسمي الموبايل هي الأخرى مزودة بشاشة عرض وكاميرا رقمية حيث تحولت هذه الأجهزة إلى تلفزيونات متنقلة تمكن صاحبها من مشاهدة مباريات كرة القدم بكاملها أو أحداث وقعت للتو ، وبامتلاك هذا الجهاز لهذه الخصائص أي الصوت والصورة معاً أصبح هو الآخر إحدى أدوات الطفل المصاحبة له وإذا الحقنا بهذا الجهاز الكاميرا الرقمية التي يصل درجة نقاء صورتها إلى مستوىً عالٍ والتي يستطيع من خلالها الطفل أن يرسل ويستلم الصور يصبح لدينا جهاز كمبيوتر نقال بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

ومن المعروف أن كل فئات المجتمع تعاني من استخدام الهواتف الذكية سواء كان ذلك بممارسة الألعاب الإلكترونية او الاستماع للموسيقى أو مشاهدة المقاطع المرئية بالإضافة للتراسل الشخصي ، كل ذلك يستقطع وقتاً كبيراً وثميناً من ممارسة العادات اليومية الطبيعية كالتفاعل الفعلي بين الناس والحركة بينهم ، ويتسبب ذلك في عزل الناس عن البيئة المحيطة بهم ويجعلهم انطوائيين ومنعزلين عن المجتمع .

إلى جانب ذلك ازدياد إهمالهم لأمور أخرى كتراجع الرغبة في القراءة مما يؤدي إلى خفض الإنجاز الدراسي بسبب انشغالهم بشكل مبالغ فيه ولا سيما الرسائل القصيرة والنغمات أكثر من اهتمامهم بالجانب الدراسي مما يؤدي إلى تقليل الساعات التي ستصرف في المطالعة والتحصيل المعرفي وإنجاز الواجبات الدراسية المناطة بالفرد وبالتالي ستكون العاقبة على الفرد نفسه في إهماله لدروسه والتي تؤدي إلى رسوبه.(7)

---

(6) عامر إبراهيم قنديل – الإعلام الإلكتروني – دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – ط1 – عمان – 2015 – ص : 270

(7) عبد الرازق محمد الدليمي– الإعلام والعولمة – مكتبة الرائد العلمية – ط1 – عمان – 2004 ص : 13

يتعرض الأطفال عبر هذه الأجهزة لكم هائل من الأفكار والمواد الغير لائقة مما يفتح أعينهم على أشياء محظورة أو لا تناسب سنهم بسبب سهولة الدخول لهذه المواقع وتوفرها بشكل كبير مما يسبب لهم بعض الصدمات النفسية والعاطفية التي تؤثر بالتأكيد في سلوكهم وحياتهم على المدى الطويل خاصة مع ارتباطهم الوثيق مع هذه الأجهزة التي عادة ما تقدم لهم كهدية من الوالدين أو الأهل .

**الخدمات التي تقدمها الهواتف الذكية :-**

مع تطور أجهزة الهاتف النقال أصبحت الأجهزة أكثر من مجرد وسيلة اتصال صوتي بحيث تستخدم لما يأتي :[8]

1 – كأجهزة كمبيوتر للمواعيد واستقبال البريد الصوتي وتصفح الإنترنت .

2 –الأجهزة الجديدة يمكنها التصوير بنفس نقاء ووضوح الكاميرات الرقمية.

3 – كما أصبحت الهواتف النقالة إحدى وسائل الإعلان .

4 – الاتصال بالآخرين ورؤيتهم عن طريق الجيل الجديد من الأجهزة DCT4 المزودة بكاميرات دقيقة .

5 – يمكن إرسال الرسائل القصيرة لأي مكان في العالم .

6 – الاستماع إلى MP3 والأغاني بامتدادات مختلفة .

7 – إضافة إلى التسلية بالألعاب وكذلك ألعاب الجافا الجديدة .

8 – وكذلك الاستماع إلى الراديو ومسجل الصوتيات وغيرها من الألعاب المشتركة بين الأجهزة وعبر خطوط الإنترنت .

**مزايا الهاتف الذكي للأطفال :-**

مزيا الهاتف النقال عموماً :

1 – قرب الجوال بُعد المسافات بين الناس فلأنه محمول يمكن من التواصل مع الآخرين في أي مكان يوجدون فيه على عكس الاتصال التلفوني المقيد بالمكان.

2 – مد المساحة الشخصية إلى المساحة العامة ليتم التواصل بين الأهل والأصدقاء في: مكان العمل ، السفر ، الدراسة ، السوق كأنه في المحيط الشخصي.

3 – حافظ على خصوصية الاتصال وجهاً لوجه .

4 – زاد من الحميمية بين المتصلين ونقل الألفة معهم إلكترونياً .

5 – وسيلة شخصية للإقناع بين المتصلين .[9]

---

(8) عامر إبراهيم قنديلجي – الإعلام الإلكتروني – مرجع سابق – ص : 273

(9) مصطفى يوسف كافي – الإعلام التفاعلي – دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2016 – ص : 198

أما بالنسبة للمزيا التي يوفرها استخدام الهواتف الذكية للأطفال وكيفية استفادتهم منها فيمكن أن نجملها في الآتي : [10]

1 – تنمية روح الابتكار والإبداع لدى الطفل من خلال التطورات التي تحدث في الأجيال الجديدة من الهواتف النقالة .

2 – اكتساب الطفل المزيد من الثقة إعطائه شعوراً باستقلاليته وكينونته، حيث ينبغي أخذ الحيطة والحذر بهذا الشأن .

3 – الإفادة من المزايا العديدة في الهاتف النقال لا سيما تلك المتعلقة بالجوانب التعليمية أو الفنية أو الاجتماعية، مثلاً تصوير الطبيعة بغرض رسمها وكذلك استخدام الوسائط لأغراض نافعة .

**مضار الهاتف الذكي للأطفال :-**

1 – تراجع المستوى الدراسي للطفل: هذه الأفعال وغيرها التي يمكن أن تحدث من جراء استخدام الهاتف قد تؤدي مع مرور الأيام إلى انشغال الطفل عن بعض الأمور التي يتوجب عليه فعلها في مرحلة الدراسة من مذاكرة وقراءة وكتابة وتحضير واجبات إلى آخر ذلك .

2 – فساد الأخلاق: قد يستخدم الطفل ملحقات الهاتف ( الكاميرا والبلوتوث وغيرها) استخداماً سيئاً يقوده إلى ارتكاب المخالفات ووقوعه في أضرار قد لا يحمد عقباها، فنجد أن استخدام الطفل للهاتف يفتح عينيه على أشياء لا تتناسب مع سنه فتضيع براءة الطفل ويعيش في سن أكبر من سنه بالإضافة إلى استخدامه في تصوير الأهل والنساء في المناسبات مما قد يتسبب في حدوث مشاكل للأسرة ويلحق ضرراً كبيراً بها .

3 – كما لا يخفى علينا الجانب النفسي الذي ينعكس على الطفل بسبب مشاهدته لبعض الصور المخلة بالآداب وكذلك المضار الصحية بسبب تعرض الطفل للذبذبات التي يصدرها هذا الجهاز .[11]

(10) هناء جاسم السبعاوي – دراسات موصلية – العدد (14) شوال 1428 الموافق 2006 – ص . 79

(11) فاطمة شوكت محمد – مجلة الأمن والحياة – العدد (224) – جمادي الأول 1430 الموافق 2008 – ص : 37

**ثانياً مفهوم انحراف الأحداث :-**

**تعريف الحدث:** هو الصغير منذ ولادته حتى بلوغ سن الرشد التي حددها القانون وهي ثمانية عشر سنة فنرى أن الحدث الجانح هو الذ تظهر عليه ميول ورغبات مضادة للمجتمع بشكل خطير بحيث يصبح عرضة للملاحقة والإجراءات الرسمية ، لذلك فإن الواجب دراسة حالته وتقديم كل ما من شأنه المساعدة على معالجة الاختلالات بما يؤدي إلى إعادة تكيفه الاجتماعي وممارسة دوره في المجتمع . [12]

**أسباب انحراف الأحداث :-**

التفكك الأسري : إن حدوث المشاكل بين الوالدين أو بين الوالدين والأبناء يؤدي إلى الكراهية بين أفراد الأسرة ، كذلك علاقة الوالد بأبنائه التي تتسم بالقسوة أو الإهمال والتذبذب في المعاملة والميل إلى السخرية من أبنائه وتحقيرهم وغيابه عن المنزل ، كذلك أمهات الجانحين يتصفن بأنهن مهملات وعدائيات ولا يتحملن المسؤولية ، كما أن حالات الطلاق والهجران بين الوالدين تؤدي إلى تداعي العلاقات داخل الأسرة ، لذلك نرى أن الجانح لم ينل القسط الكافي من الإشباع الأسري .(13).

رفقاء السوء : يتأثر الحدث بشكل مباشر برفاقه حيث أن الصحبة السيئة تبني جزءاً كبيراً من الشخصية المنحرفة للطفل، وغالباً ما تتكون الصداقات بين أبناء الجوار أو الزملاء في المدرسة من نفس الجنس وأحيانا من الطبقة الاجتماعية ذاتها.

التقليد : نرى أن الأبناء يقلدون والديهم، فعندما يكون الوالدين يشجعون على الإجرام ويهيئون مناخاً مليئاً بعدم الأمان والإشباع العاطفي يتأثر أطفالهم بصورة مباشرة بهذا الأمر، ولكن التقليد الآن أصبح يشمل الأبطال الخارقين الذين يشاهدهم الطفل على التلفاز أو الإنترنت أيضاً .

**التنشئة الاجتماعية للحدث :-**

التنشئة الاجتماعية هي عملية يتم من خلالها إكساب الوليد الموروث الثقافي لمجتمعه وتدريبه على الولاء للنظم الاجتماعية في مجتمعه وإتقان المهارات الأساسية للتعامل والعمل في المجتمع ، ومن العوامل التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية ( البيئة الطبيعية، الطبقة الاجتماعية، الدين، الوضع السياسي، الوضع الاقتصادي، المستوى التعليمي والمؤسسات المجتمعية).[14]

**أساليب التنشئة الاجتماعية للحدث :-**

* السيطرة .
* الحماية الزائدة.
* تفضيل أحد الأبناء على غيره.
* الخضوع للطفل .

---

(12) عارف محمد – الجريمة في المجتمع نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي، الأنجلو المصرية – القاهرة – 1990 – ص : 53

(13) مصطفى عبد المجيد كاره – مقدمة في الانحراف الاجتماعي – معهد الإنماء – الإسكندرية 1985 – ص : 111

(14) عبد الرازق محمد الدليمي – الإعلام التربوي – دار المسيرة للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2011 ص : 57

* التدليل .
* التذبذب في معاملة الوالدين .
* عدم ضبط سلوك الأطفال.
* المعاملة السوية والأسلوب الأمثل .[15]

الدراسة التطبيقية

**مجتمع البحث :-**

يتكون مجتمع الدراسة من أطفال مدارس الأساس من عمر 7 سنوات إلى 15 سنة اللذين يقطنون في مدينة ود مدني بولاية الجزيرة السودانية.

**عينة البحث :-**

تتكون عينة الدراسة من عدد (100) طفل تم اختيارهم بصورة عشوائية شملت الجنسين وذلك في الفترة من يناير 2019 إلى أبريل 2019.

**أداة البحث :-**

استخدم الباحث أداة الاستبانة لجمع المعلومات من العينة المختارة ، كما استخدم مقياس ليكرت الخماسي للإجابة على فقرات الاستبانة .

جدول رقم (1) يوضح مقياس ليكرت الخماسي

| التصنيف | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| الدرجة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |

**تحليل فقرات ومحاور البحث :**

تم استخدام العديد من الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة ، واستخراج المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والوزن النسبي .

**المحور الأول:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات السرقة والاحتيال عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الأول قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة ، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الأول وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (2) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على حالات السرقة والاحتيال عند الأحداث

(15) / نفس المرجع السابق – ص : 58

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | اقتناء الهواتف الذكية عن طريق السرقة | 3.9 | 0.074 | 76 | 2 |
| 2 | تسريب البيانات والصور الشخصية للآخرين | 4 | 0.079 | 80 | 1 |
| 3 | الانتقام من الآخرين عن طريق سرقة هواتفهم أو إتلافها | 3.5 | 0.070 | 71 | 4 |
| 4 | تسجيل المكالمات للفتيات بدافع الابتزاز | 3.6 | 0.071 | 73 | 3 |
| 5 | استخدام الهواتف كوسيلة للتخيط لسرقة المحلات أو البيوت | 2.8 | 0.052 | 58 | 5 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.87 | 0.83 | 78.5 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن تسريب البيانات والصور الشخصية للآخرين أتى في المرتبة الأولى، بينما أتت فقرة اقتناء الهواتف عن طرق السرقة ثانياً، تليها ابتزاز الفتيات عن طريق تسجيل المكالمات في المرتبة الثالثة، في حين جاءت فقرة الانتقام من الأشخاص الآخرين عن طريق سرقة هواتفهم أو إتلافها رابعاً، وأخيراً فقرة استخدامها كوسيلة للتخطيط للسرقة والابتزاز في المرتبة الخامسة والأخيرة، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تلعب دوراً كبيراً وسلبياً على سلوك الأطفال عندما يتعلق الأمر بالسرقة والاحتيال.

**المحور الثاني:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات الاعتداء والقتل عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الثاني قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الثاني وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (3) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على حالات القتل والاعتداء عند الأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | استدراج الآخرين عن طريق الهواتف الذكية بغرض الابتزاز أو القتل | 2.5 | ..42 | 43 | 5 |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 2 | توثيق ونشـــر الجرائم عبر منصـــات التواصل الاجتماعي | 4.1 | ..81 | 82 | 1 |
| 3 | زيادة التنمر الإلكتروني بين الأحداث | 4 | ..80 | 80 | 2 |
| 4 | تقليد مشـــاهد العنف التي يراها الحدث من خلال الهواتف الذكية | 3.9 | ..75 | 78 | 3 |
| 5 | المســـاهمة في زيادة الجريمة من خلال نشر الشائعات | 3.8 | ..72 | 76 | 4 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.4 | ..70 | 72 | |

يتضـح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سـبق أن توثيق ونشـر الجرائم عبر منصـات التواصـل الاجتماعي أتى في المرتبة الأولى، بينما أتت فقرة زيادة التنمر الإلكتروني بين الأحداث ثانياً، تليها تقليد مشـاهد العنف التي يراها الحدث من خلال الهواتف الذكية في المرتبة الثالثة، في حين جاءت فقرة المسـاهمة في زيادة الجريمة من خلال نشـر الشـائعات رابعاً، وأخيراً فقرة اسـتدراج الآخرين عن طريق الهواتف الذكية بغرض الابتزاز أو القتل في المرتبة الخامسة والأخيرة، وهذا يدل على أن استخدام الأجهزة الذكية عند الأطفال يؤدي إلى نشر الجرائم عبر منصات التواصل الاجتماعي بصورة كبيرة .

**المحور الثالث** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات تعاطي وبيع المخدرات عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الثالث قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الثالث وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (4) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على حالات تعاطي وبيع المخدرات عند الأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تعاطي المخدرات والإتجار بها | 3.6 | ..70 | 75 | 2 |
| 2 | الترويج للحبوب المخدرة من خلال الهاتف الذكي | 3.9 | ..78 | 73 | 3 |
| 3 | يصبح الطفل أكثر عنفاً بين أقرانه | 3.8 | ..76 | 79 | 1 |
| 4 | يقع الطفل تحت طائلة القانون بسبب تعاطي أو الإتجار بالمخدرات | 3.8 | ..46 | 62 | 5 |
| 5 | استدراج أطفال آخرين لتعاطي أو بيع المخدرات | 2.9 | 0.62 | 71 | 4 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.7 | 0.71 | 69 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن فقرة يصبح الطفل أكثر عنفاً بين أقرانه أتت في المرتبة الأولى، بينما أتت فقرة تعاطي المخدرات و الإتجار بها ثانياً ، تليها الترويج للحبوب المخدرة من خلال الهاتف الذكي في المرتبة الثالثة ، في حين جاءت فقرة استدراج أطفال آخرين لتعاطي أو بيع المخدرات رابعاً ، وأخيراً فقرة يقع الطفل تحت طائلة القانون بسبب تعاطي أو الإتجار بالمخدرات في المرتبة الخامسة والأخيرة ، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تؤثر سلباً على سلوك الأحداث عندما يتعلق الأمر بتعاطي المخدرات و الإتجار بها وما يترتب على ذلك من تبعات أخرى كالعنف .

**المحور الرابع** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على التحصيل الدراسي عند الأحداث ؟

للإجابة على أسئلة المحور الرابع قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الخامس وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (5) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على التحصيل الدراسي للأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | استخدام الهاتف الذكي أثناء المحاضرة يؤدي إلى تشتيت انتباه الطفل | 4.1 | ..79 | 81 | 1 |
| 2 | استخدام الهاتف الذكي في التواصل بين الطالب والأستاذ يؤدي إلى غياب التواصل المباشر بينهما | 3.6 | ..66 | 72 | 5 |
| 3 | يؤثر استخدام الهواتف الذكية على الجوانب النفسية والاجتماعية وحتى الصحية للأطفال وبالتالي على التحصيل الدراسي | 3.9 | ..77 | 80 | 2 |
| 4 | استخدام الهاتف الذكي أثناء الفصل الدراسي يؤثر على التحصيل الدراسي على المدى الطويل | 4 | ..80 | 78 | 4 |
| 5 | يؤدي الاستخدام المستمر للهواتف الذكية وخاصة الألعاب الإلكترونية لشغل الطالب ذهنياً وبالتالي دراسياً | 3.9 | ..76 | 79 | 3 |
| 6 | الدرجة الكلية | 4.1 | ..82 | 80 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن استخدام الهاتف الذكي أثناء المحاضرة يؤدي إلى تشتيت انتباه الطفل أتى في المرتبة الأولى ، بينما أتت فقرة يؤثر استخدام الهواتف الذكية على الجوانب النفسية والاجتماعية وحتى الصحية للأطفال وبالتالي على التحصيل الدراسي ثانياً ، تليها يؤدي الاستخدام المستمر للهواتف الذكية وخاصة الألعاب الإلكترونية لشغل الطالب ذهنياً وبالتالي دراسياً في المرتبة الثالثة ، في حين جاءت فقرة يؤثر استخدام الهاتف الذكي أثناء الفصل الدراسي يؤثر على التحصيل الدراسي على المدى الطويل رابعاً، وأخيراً فقرة استخدام الهاتف الذكي في التواصل بين الطالب والأستاذ يؤدي إلى غياب التواصل المباشر بينهما في المرتبة الخامسة والأخيرة ، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تؤثر بصورة كبيرة على عملية التحصيل الدراسي للأحداث.

**المحور الخامس:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على البعد الديني عند الأحداث؟

للإجابة على أسئلة المحور الخامس قام الباحث باستخدام الاختبارات الإحصائية لتحليل فقرات الاستبانة ، حيث شملت على استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المحور الخامس وترتيبها تنازلياً .

جدول رقم (6) يوضح تأثير الأجهزة الذكية على البعد الديني عند الأحداث

| الرقم | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تساعد على نشر الأكاذيب والشائعات بين العائلات | 3.2 | ..65 | 80 | 2 |
| 2 | تؤدي للكسل والخمول والإرهاق المستمر | 3.9 | ..75 | 78 | 3 |
| 3 | نقل الأسرار الأسرية بقصد أو دون قصد | 2.9 | ..47 | 49 | 4 |
| 4 | الانشغال عن أداء الفرائض والعبادات والتركيز على الأجهزة الذكية | 2.5 | ..42 | 45 | 5 |
| 5 | انتشار الفواحش والرذائل بين الأحداث من خلال ما يعرض على الهواتف الذكية | 4.2 | 0.75 | 82 | 1 |
| 6 | الدرجة الكلية | 3.2 | 0.066 | 67 | |

يتضح للباحث في هذا المحور ومن خلال ما سبق أن انتشار الفواحش والرذائل بين الأحداث من خلال ما يعرض على الهواتف الذكية أتى في المرتبة الأولى ، بينما أتت فقرة أنها تساعد على نشر الأكاذيب والشائعات بين العائلات ثانياً ، تليها تؤدي للكسل والخمول والإرهاق المستمر في المرتبة الثالثة، في حين جاءت فقرة نقل الأسرار الأسرية بقصد أو دون قصد رابعاً ، وأخيراً فقرة الانشغال عن أداء الفرائض والعبادات والتركيز على الأجهزة الذكية في المرتبة الخامسة والأخيرة، وهذا يدل على أن الأجهزة الذكية تلعب دوراً كبيراً وسلبياً على سلوك الأطفال عندما يتعلق الأمر بالبعد الديني وخاصة انتشار الفواحش والرذائل بينهم .

جدول رقم (7) يوضح الترتيب العام للأبعاد أعلاه

| البعد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | الترتيب |
|---|---|---|---|---|
| البعد المتعلق بحالات السرقة والاحتيال | 3.75 | 760. | 75 | 2 |
| البعد المتعلق بحالات الاعتداء والقتل | 2.9 | 700. | 67 | 5 |
| البعد المتعلق بتعاطي وبيع المخدرات | 3.5 | 660. | 64.3 | 4 |
| البعد المتعلق بالتحصيل الدراسي | 3.87 | 840. | 77.5 | 1 |
| البعد المتعلق بالجانب الديني | 3.7 | 720. | 73.2 | 3 |
| الدرجة الكلية | 3.6 | 0.67 | 74.2 | |

يتضح من الجدول أعلاه أن البعد المتعلق بتأثير الهواتف الذكية على التحصيل الدراسي للأحداث احتل المرتبة الأولى بين جميع الأبعاد الأخرى، في حين أن البعد المتعلق بتأثير الهواتف الذكية على سلوك الأطفال من ناحية السرقة وحالات الاحتيال احتل المرتبة الثانية ، بينما احتل البعد المتعلق بالجانب الديني وتأثير الهواتف الذكية على الأطفال في هذا الجانب المرتبة الثالثة، كما احتل البعد المتعلق بتعاطي وتفشي وبيع المخدرات بين الأحداث المرتبة الرابعة ، وأخيراً البعد المتعلق بحالات القتل والاعتداء في المرتبة الأخيرة ، وهذا يدل على أن الهواتف الذكية تؤثر بصورة مباشرة على سلوك الأحداث في جميع مناحي حياتهم المختلفة .

**الخاتمة....**

1 – اتضح من خلال الدراسة أن استخدام الأحداث للهواتف الذكية يزيد من ميلهم نحو ارتكاب جرائم السرقة والإبتزاز .

2 – اتضح من خلال الدراسة أن استخدام الأحداث للهواتف الذكية يؤدي إلى زيادة ظاهرة نشر الصور الشخصية للأسر بقصد ودون قصد .

3 – أثبتت الدراسة أن استخدام الأطفال للأجهزة الذكية يؤدي إلى نشر وتوثيق الجرائم التي تعرض على منصات التواصل الاجتماعي .

4 – أثبتت الدراسة أن استخدام الأحداث للهواتف الذكية يزيد من نسبة التنمر الإلكتروني بينهم .

5 – أكدت الدراسة أن الاستخدام المفرط للأجهزة الذكية يجعل الطفل أكثر ميلاً للعنف بين أقرانه بسبب ما يتعرض له من مشاهد عنف على الأجهزة الذكية .

6 – اتضح من خلال الدراسة أن الأجهزة الذكية تسهم في زيادة نسبة تعاطي المخدرات والإتجار بها بين الأطفال بسبب سهولة الوصول للمواقع التي تعرض هذه الأشياء وكذلك سهولة التواصل عبر الهاتف .

7 – أثبتت الدراسة أن استخدام الهاتف الذكي يؤثر سلباً على التحصيل الدراسي للطلاب .

8 – أكدت الدراسة أن الاستخدام المفرط للأجهزة الذكية يجعل الطفل ينشغل عن أداء الفرائض الدينية، ويؤدي أيضاً لانتشار الفواحش والرذائل بين الأطفال.

**التوصيات :-**

1 – من المعلوم أن استخدام الأجهزة الذكية أصبح أمراً لا مفر منه، لذا يوصي الباحث بضرورة الاستخدام المتوازن للأجهزة الذكية بالنسبة للأطفال.

2 – ضرورة إعادة النظر في كيفية الاستفادة من هذه الأجهزة واستغلالها الاستغلال الأمثل من طرف الأطفال .

3 – القيام بحملات توعوية للأسر لتمكينهم من معرفة مخاطر استخدام الأجهزة الذكية بالنسبة للأحداث .

4 – ضرورة مراقبة الأطفال بصورة مباشرة عند استخدامهم لهذه الأجهزة.

5 – زيادة الاهتمام بالبحوث العلمية المتعلقة بتأثير استخدام الهواتف الذكية على سلوك الأحداث، وإجراء هذه الدراسات بصورة دورية وذلك للتقدم الكبير والمطرد في تقنيات هذه الأجهزة .

1 – ذوقان عبيدات، وآخرون – البحث العلمي ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه، الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع 2002 .

2 – رجاء دويدري – البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، ط1، دمشق: دار الفكر المعاصر 2002 .

3 – رمضان السيد ، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال إتحراف الأحداث ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2000 .

4 – عامر إبراهيم قنديلجي – الإعلام الإلكتروني – دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – ط1 – عمان – 2015 .

5 – عارف محمد – الجريمة في المجتمع نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي – الأنجلو المصرية – القاهرة – 1990 .

6 – عبد الرازق محمد الدليمي – الإعلام والعولمة – مكتبة الرائد العلمية – ط1 – عمان – 2004 .

7 – عبد الرازق محمد الدليمي – الإعلام التربوي – دار المسيرة للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2011 .

8 – فاطمة شوكت محمد – مجلة الأمن والحياة – العدد (224) – جمادي الأول 1430 الموافق 2008 .

9 – محمد الوفائي – مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، 1979 .
10 – محمد سلامة غباري – الدفاع الاجتماعي في الجريمة – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2007 .
11 – مصطفى عبد المجيد كاره – مقدمة في الانحراف الاجتماعي – معهد الإنماء – الإسكندرية 1985 .
12 – مصطفى يوسف كافي – الإعلام التفاعلي – دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع – ط1 – عمان – 2016 .
13 – هناء جاسم السبعاوي – دراسات موصلية – العدد (14) شوال 1428 الموافق 2006 .

**الملاحق:-**

بسم الله الرحمن الرحيم

**استبانة**

الأخ الكريم / الأخت الكريمة

بين يديكم صحيفة استبانة تستخدم كأداة في ورقة علمية بعنوان ..

**أثر استخدام الهواتف الذكية على انحراف الأحداث**

**بالتطبيق على عينة من أطفال مدارس الأساس بمدينة ود مدني**

أرجو التكرم بالإجابة الدقيقة على جميع أسئلة الاستبانة وذلك بوضع علامة (√) أمام الإجابة التي تناسبكم مرة واحدة في كل سؤال ، علماً بأن المعلومات التي ستدلون بها لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي .

،،، ولكم وافر الشكر والتقدير ،،،

**أولاً : البيانات الأساسية :-**

1 – النوع :-

ذكر ☐ أنثي ☐

2 – السنة الدراسية :-

الأول ☐ الثاني ☐ الثالث ☐ الرابع ☐

الخامس ☐ السادس ☐ السابع ☐ الثامن ☐

**ثانياً : أسئلة ومحاور الاستبانة :-**

**المحور الأول** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات السرقة والاحتيال عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| اقتناء الهواتف الذكية عن طريق السرقة | | | | | |
| تسريب البيانات والصور الشخصية للآخرين | | | | | |
| الانتقام من الآخرين عن طريق سـرقة هواتفهم أو إتلافها | | | | | |
| تسجيل المكالمات للفتيات بدافع الابتزاز | | | | | |
| اسـتخدام الهواتف كوسـيلة للتخيط لسـرقة المحلات أو البيوت | | | | | |

**المحور الثاني:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات الاعتداء والقتل عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| استدراج الآخرين عن طريق الهواتف الذكية بغرض الابتزاز أو القتل | | | | | |
| توثيق ونشر الجرائم عبر منصات التواصل الاجتماعي | | | | | |
| زيادة التنمر الإلكتروني بين الأحداث | | | | | |
| تقليد مشاهد العنف التي يراها الحدث من خلال الهواتف الذكية | | | | | |
| المساهمة في زيادة الجريمة من خلال نشر الشائعات | | | | | |

**المحور الثالث:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على حالات تعاطي وبيع المخدرات عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| تعاطي المخدرات والإتجار بها | | | | | |
| الترويج للحبوب المخدرة من خلال الهاتف الذكي | | | | | |
| يصبح الطفل أكثر عنفاً بين أقرانه | | | | | |
| يقع الطفل تحت طائلة القانون بسبب تعاطي أو الإتجار بالمخدرات | | | | | |
| استدراج أطفال آخرين لتعاطي أو بيع المخدرات | | | | | |

**المحور الرابع:** ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على التحصيل الدراسي عند الأحداث ؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| استخدام الهاتف الذكي أثناء المحاضرة يؤدي إلى تشتيت انتباه الطفل | | | | | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| استخدام الهاتف الذكي في التواصل بين الطالب والأستاذ يؤدي إلى غياب التواصل المباشر بينهما | | | | | |
| يؤثر استخدام الهواتف الذكية على الجوانب النفسية والاجتماعية وحتى الصحية للأطفال وبالتالي على التحصيل الدراسي | | | | | |
| استخدام الهاتف الذكي أثناء الفصل الدراسي يؤثر على التحصيل الدراسي على المدى الطويل | | | | | |
| يؤدي الاستخدام المستمر للهواتف الذكية وخاصة الألعاب الإلكترونية لشغل الطالب ذهنياً وبالتالي دراسياً | | | | | |

**المحور الخامس** : ما هو تأثير استخدام الأجهزة الذكية على البعد الديني عند الأحداث؟

| الفقرة | أوافق بشدة | أوافق | محايد | لا أوافق | لا أوافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| تساعد على نشر الأكاذيب والشائعات بين العائلات | | | | | |
| تؤدي للكسل والخمول والإرهاق المستمر | | | | | |
| نقل الأسرار الأسرية بقصد أو دون قصد | | | | | |
| الانشغال عن أداء الفرائض والعبادات والتركيز على الأجهزة الذكية | | | | | |
| انتشار الفواحش والرذائل بين الأحداث من خلال ما يعرض على الهواتف الذكية | | | | | |

# قراءة فنيَّة في شِعْر مِسْكين الدَّارميّ

دكتورة/ إشراقة عثمان أحمد موسى – أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة أم درمان الأهلية

**مستخلص**

تناولت هذه الدراسة الجوانب الفنية في شعر مسكين الدارميّ تحليلاً ونقداً مشتملة على تمهيد مقتضب عرَّف بمسكين الدارميّ وأربعة محاور، بعدها خاتمة وثبت المصادر والمراجع.

درستُ في المحور الأول الموسيقى خارجية وداخلية ، وفي المحور الثاني الصورة الشعرية. أمَّا المحور الثالث فخصصتُه لدراسة بنية القصيدة وتناول مقدمة القصيدة والتخلُّص والخاتمة ووحدة القصيدة. والمحور الرابع للغة والمُعْجم الشعريّ.

تتلخَّص أهداف هذه الدراسة في تتبع جوانب فنية مهمة في شعر مسكين الدارميّ: الأوزان والقوافي التي نظم فيه شعره ،والصورة الشعرية التي شكلَّت مادتُها شِعْرَه من تشبيه واستعارة وكناية ومدى إجادته في هذا المجال . ومكونات بنية القصيدة عنده ،واستشهاد اللغويين والنُحاة بشواهد من شعره ، ثم الكشف عن مُعْجَمه الشعريّ وأكثر الألفاظ دوراناً على لسانه .

أبرزت الدراسة عدة نتائج يمكن تلخيصها في الآتي :

لاءم مسكين الدارميُّ بين الموضوعات التي طرقها والبحور التي نظم فيها .

صورة التشبيه عنده واضحة القسمات والأجزاء .

الاستعارة تجسيمية تشخيصية جعلت من الأمور المعنوية أموراً حسية .

ألمَّ مسكين الدارميُّ بوحدة الشعور في بعض قصائده ووحدة الموضوع في قصيدة واحدة .

المُعْجَم الشعريُّ لمسكين مُعجم حضريٌّ بعيد عن وعورة الألفاظ وحوشيتها .

تُعَدُّ هذه القراءة الفنية محاولة جادة في سَبْر غَوْر الجوانب الفنية في شعر مسكين الدارميّ، ولاسيما أنني لم أجد دراسة عميقة تناولت شعره من قبل.

**An abstract:**

**(An artistic reading in Meskeen Al Darimi's poetry)**

This research has studied the technical aspects in Meskeen Al Darimi's poetry, in an analytical and critical fashion, including a prologue where it introduces the poet.

The study has included four sections, the first one was about the internal and external music, the second one cared about the poetic image, where the third section studied the poetic structure regarding the introduction, the main body, and the conclusion of the poem. And the fourth one was about the literature and poetic dictionary.

Some important technical aspects have been traced in study such as the rhyme, the measure, and other poetic this aspects such as simile, conceptual metaphor, metonymy, poetic structure and others. And some other ways of how grammatical men and critics would bring up examples Al Darimi's poetry.

This study has demonstrated many different aspects that can be summarized as follow:

He balanced between the topics he talked about and the seas of poetry he'd use.

The simile is clear and well organized.

The conceptual metaphor transformed the objective aspect in to sensual.

He managed to maintain poem unity.

His poetic dictionary is urban away from the outdated vocabulary.

This research is considered some serious attempt to coverage the technical aspects of Al Darimi's poetry, since no other study has considered his poetry yet.

**توطئة:**

جاءت هذه القراءة في شعر مسكين الدارميّ لكي تُكمل جُهْدًا سابقًا درستُ فيه (مسكين الدارميّ :حياته من شعره ) قبل بضعة أعوام ،فقمين وحقيق بي أن أُتبع تلكم الدراسة بقراءة فنية تَكْمُل معها دراسة شعر مسكين الدارميّ مضمونًا وشكلا. احتوت هذه القراءة الفنية على توطئة وتمهيد وأربعة محاور وخاتمة وثبت المصادر والمراجع. تناولتُ في التمهيد تعريف مسكين الدارميّ وأغراض شعره ، وفي المحور الأول قراءة في الموسيقى الشعرية خارجية وداخلية ،بينما نهض المحور الثاني بقراءة الصور الشعرية من تشبيه واستعارة وكناية ،والثالث ببنية القصيدة ومكوناتها من مقدمة وتخلُّص وخاتمة ووحدة .أما المحور الرابع فتناول اللغة والمُعجم الشعريَّ بشيء من الاقتضاب. ولعلَّ أهمية هذه القراءة تكمن في أنها تناولت شعر مسكين الدارميّ سابرةً غَوْرَه في حين أن الباحثين والدارسين أزورَّت أقلامهم عنه.

**تعريف بمسكين الدارميّ : اسمه ونسبه:**

هو ربيعة بن عامر بن أُنَيْف بن شُرَيْح بن عمرو بن عمرو بن زيد بن عبدالله بن عُدُس بن دَارِم بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقال أبو عمرو الشيبانيُّ: مسكين بن أُنَيْف بن شُرَيْح بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دَارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[1].

وفي الاشتقاق: وأمَّا مالك بن حنظلة فولد دارماً، وربيعة، ورِزَاماً، ويَرْبوعاً، وصُدياً، وأبا سَوْدٍ، وعَوْفاً، وجُشَيْشاً[2].

قال الكلبيُّ في جمهرة الأنساب: (كل عُدَس في العرب بضم العين وفتح الدال إلا عُدُس بن زيد فإنه مضموم الدال)[3].

**لقبه:**

في الأغاني قال أبو عمرو الشيبانيُّ، وإنما لُقِّب مِسْكيناً لقوله:

**أنا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكرني * ولِمَنْ يَعْرِفُني جِدُّ نَطَقْ**

**لا أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضي إنَّني * لو أَبِيعُ النَّاس عِرْضي لَنَفقْ**

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، طبعة دار الفكر، بيروت، (د.ت) 220/20، وانظر: طبقات ابن سلَّام، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1975م، 309/1.

(1) ابن دُريد، الاشتقاق، مطبعة السُّنة المحمديَّة، القاهرة، 1378هـ = 1985م، ص233.

(3) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، 1382هـ = 1962م، ص 232، وانظر: خزانة البغداديّ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م، 69/3.

وقال أيضاً[4]:

**سُـــمّيْتُ مِسْـــكيناً وكـانـتْ لَجاجـةً * وإنَّـي لـمِسْـــكِـيـنٌ إلـى اللهِ رَاغِـبُ**

غير أن مسكيناً الدراميَّ يُباهي ويُفاخر بهذا اللقب، وهو عنده لا يعني معناه الدلاليَّ، بل هو سيِّد من سادات قومه لا ينفك يُفاخر بنسبه وكرم مَحْتِده ولذا لم يجد الشاعر حرجاً أو ضيقاً في هذا اللقب.

**حياته الاجتماعية:**

مسكين الدراميُّ شاعر شريف من سادات قومه، عاش في أوائل العصر الأُمويِّ، لم تذكر مصادر الأدب تاريخ مولده، غير أنها حددت تاريخ وفاته، إذ حدد ياقوت الحمويُّ وفاته بنحو عام 89هـ= 708م، استقراءً واستناداً لبعض الأحداث التي عاصرها مسكين[5].

من أبرز الأخبار في حياته الاجتماعية أنَّ مسكيناً خطب فتاة من قومه، فكرهتْه لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين، فمرَّ بهما ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها، فأنشد أمامها أبياتاً يردُّ بها على رفضها إياه، ويُذكِّرها بحسبه مطلعها:

**أنـا مِسْـــكِـيـنُ لِـمَـنْ أَنْـكـرنـي * ولِـمَـنْ يَـعْـرِفُـنـي جِـدُّ نَـطَـقْ**

**رُبَّ مَـهْـزُولٍ سَـــمِـيـن بَـيْـتُـه * وسَـــمِينُ البَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَـــبْ**

**لا تَـلُـمْـهـا إنَّـهـا مِـنْ نِسْـــوَةٍ * صَـــخِـبـاتٍ مِلْـحُـهـا فَـوْقَ الرُّكَـبْ**

**كَشَـــمُوسِ الخَيْـلِ يبـدو شَـــغْبُهـا * كُـلَّـمـا قِـيـلَ لـهـا هَـالٌ وهَـبْ** [6]

ذكر ابن قتيبة أن مسكين الدارميَّ ليس له عَقِب، أي مات دون أن يُنْجب[7]. وقيل أعقب ولداً اسمه عُقْبة أو عُتْبَة، وله شعر[8]. ويبدو أن ما ذكره ابن قتيبة أقرب إلى الصواب فلا ذكر لعُقْبَة وشعره في مصادر الأدب وتاريخه.

**حياته السياسية:**

---

(4) الأغاني120/20.

(5) ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء ،طبع القاهرة، 1357هـ = 1938م، 132/1. وانظر: عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي ، طبع دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت) 518/1، والزركليّ ، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط14، 1999م، 16/3.

(6) الأغاني 226/20. ملحها فوق الركب: كثيرة الخصام، هال: زجر للخيل، هب: زجر للإبل عند السَّوق.

(7) ابن قتيبة، الشـــعر والشـــعراء ، تحقيق: د. مُفيد قُميحة، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص 365.

(8) مسكين الدارميُّ الديوان، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م، ص 8.

كان لمســـكين الدارميّ يد طولة في الدعوة لبني أُمية فكانت له صـــلات حميمة مع معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – وابنه يزيد وزياد ابن أبيه، فقد كان لساناً أُمويّاً في هذا الجانب، مما جعل ابن عمّه الفرزدق يُضمر عليه كثيرًا من الحقد والحنق.

غدا مسكين الدارميُّ شاعراً سياسيّاً أُمويّاً فكان قميناً بهبات معاوية وابنه يزيد وعطائهما الجزيل، كيف لا وقد وجدا ضالتهما في شاعر سياسيّ ممتاز ما فتئ يؤكد حق الخلافة في بني أُميَّة عامة وبيت آل سفيان خاصة.

كانت لمســـكين الدراميّ صـــلات حميمة بزياد ابن أبيه، وكان زياد قد أَرْعى مســـكيناً حِمى بناحية العُذَيْب[9] في عام قَحْط حتى أخصب الناس وأحيوا، ثم كتب له ببُرٍّ وتمر وكساه، فلمَّا مات زياد رثاه مسكين، فقال:

**رَأَيْتُ زِيَادةَ الإِســـلامِ وَلَّتْ جِـهَـاراً حِـيـنَ ودَّعَـنَـا زِيَـادُ**

فعارضه الفرزدق، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه وإخافته إياه ، فقال:

**أَمِســـكِينُ أَبكِى اللهُ عَيْنَـكَ إِنَّـمـا * جَرى فـي ضَـــلالٍ دَمْـعُـهـا فتَـحَـدَّرا**

**أَتَبكِي امرَأً فظّـاً غليظـاً مُبغَّضـــاً * كَكِســـرى عَلى عِـدّانِـهِ أَو كَقَيصَـــرا**

**أَقـولُ لَـهُ لَـمَّـا أَتـانـي نَـعِـيُّـهُ * بِـهِ لا بِظَبـيٍ بِـالصَّـــريـمـةِ أَعْفَرا**

لم يقف الدور السياسيُّ لمسكين الدارميّ عند هذا الحد، بل كانت له يد طولة في الحروب التي شنَّها الأُمويون على الخوارج، وكان فيمن حارب المختار الثقفيَّ، وممن ثار عليه في الكوفة، فلمَّا فشـــلت ثورتهم لحق مسكين بأذربيجان، وكان أميرَها محمد بن عمر بن عُطارد التميميُّ، وهناك قال قصيدته (دَخْتَنُوس)[10].

ختم مسكين حياته مُتنسِّكاً، ملازماً المسجد، تاركاً ملذات الدنيا وحطامها الفاني[11].

**شعره:**

---

(9) العُذَيْب: ماء بين القادســية والمغيثة، بينه وبين القادســية أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاجّ الكوفة، (ياقوت الحمويّ، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، (د.ت) 92/4).

(10) ابن عســاكر، تهذيب ابن عســاكر، تصــحيح: عبدالقادر بدران، دمشــق، 1329هـ، 301/5، وديوان مســكين الدارميّ، ص9.

(11) القرطبي، بهجة المجالس ، تحقيق: محمد الخولي، دار الكتب المصرية، 1981م، 560/1، وابن خلكان، وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صـادر ، بيروت، 1977م، 559/4، والأبشيهيّ، المستطرف ،مؤسسـة عز الدين 1991م، =429/1 ،واليوسي، زهر الأكم ، تحقيق: محمد حجيّ ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، 1981م، 293/2، وبينها تفاوت يسير في بعض العبارات.

مسكين الدارميُّ شاعر مُجيد شريف، رقيق اللفظ، حسن المعنى، واضح الغاية ولكنه مُقل. وتدور أغراض شعره على المدح والهجاء، وله شيء من الحماسة والحكمة ثم شيء مستحسن في الفخر بنفسه[12].

كان مسكين قد طرق باباً نادراً من القول هو الغَيْرة وقد أجاد فيه[13].

أثنى غير واحد من القدماء على مسكين الدارميّ فقد قال عنه أبو الفرج الأصفهانيُّ: "شاعر شريف من سادات قومه ..."[14].

وقال عنه ياقوت الحمويُّ "كان مسكين شاعراً مُجيداً وسيّداً شريفاً"[15].

وقال عنه العمريُّ: "هو رجل جاري الجِياد فسبقها، وبارى الصِّعاد فطال مَفْرِقَها، ووطئ البدر بمنسمه، والثُّريا بقدمه، ونفض حافر جواده الهلال، ونهض جناح إمداده فمدَّ الظلال، وكان يُدعى مسكيناً وهو الفتى الغني سراه، والملئ بمدد مدَّ دونه الليل فما واراه"[16].

**ديوانه:**

انبرت لجمع شعر مسكين الدارميّ وتحقيقه، كارين صادر جامعةً له من مصادر الأدب والتاريخ، ذاكرةً في مقدمة تحقيقها أن لا ذكر لديوان مسكين الدارميّ في مظان الأدب، كالخزانة، والفهرست، وكشف الظنون، وغيرها، رغم عناية أهل اللغة والمفسرين بشعره، متخذين منه مادة شواهدهم النحوية وحُججهم في الفصاحة، مُعلِّلةً لعدم ذكر الديوان في المصادر آنفة الذكر لقلته[17].

ولعلَّ القلة ليست سبباً في عدم ذكر هذه المصادر ديوان مسكين الدارميّ، وربما يعود ذلك إلى أن الديوان سقط من يد الزمان، ولذا لم يطلع عليه القدماء كصاحب الفهرست وكشف الظنون مثلاً، ولاسيما أنَّ مسكيناً الدارميَّ لم يكن خامل الذكر، بل وجدناه شاعراً سياسيّاً مُقدَّماً في زمانه، من بُحْبُوحة أصل كريم.

**المحور الأول: الموسيقى الخارجية:**

**1- الأوزان :**

---

(12) العسكري، ديوان المعاني، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 79/1.

(13) ديوان، ص11.

(14) الأغاني،221/20.

(15) معجم الأدباء، 328/3.

(16) أبو الفضل العمري، مسالك الأبصار، سلسلة عيون التراث، القاهرة ، 1988م، 89/14.

(17) ديوان، ص11.

الوزن أعظم أركان حدِّ الشعر، وأولاها به خصوصية[18]، والشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ والوزن، والمعنى والقافية، فهذا حدُّ الشعرعند قدامى النقاد العرب[19]. عُني مسكين الدارميُّ بأوزان شعره، راكباً عشـــرة أبحر هي على الترتيب في ديوانه: الطويل، الوافر، الرمل، الكامل، البســـيط، مجزوء الكامل، الخفيف، المتقارب، السريع، والرجز، متضمناً عدة أبحر هي المديد، المنسرح، المقتضب، المضارع، الهزج، المجتث والمتدارك. يأتي بحر الطويل في صـــدارة البحور التي نظم فيها مسـكين، إذ اسـتأثر بما يقرب من نصف شعره، وهاك بعض مواضعه، يقول مسكين[20]:

**أُضَـــاحِكُ ضَـــيْفي قَبْـلَ إنزالِ رَحْلِـهِ * ويُخْصـــبُ عِنْـدي والمَحَـلُّ جَـدِيـبُ**

**وَمَا الخِصْـبُ للأَضْـيَافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرى * ولـكـنَّـمـا وَجْـهَ الـكَـريـمِ خَصِـيـبُ**

ويقول [21]:

**رُبَّ أُمـورٍ قـد بَـرَيْـتُ لِـحـاءَهـا * وقَوَّمـتُ مِنْ أَصـــلابِـهـا ثُمَّ زُعْتُـهـا**

**أُقيمُ بـدارِ الحَرْبِ مـا لَمْ أَهِنْ بهـا * فـإنْ خِفْـتُ مِنْ دَارِ هَوَانـاً تُرَكْتُـهـا**

والموضـــعان آنفا الذكر في الحديث عن الفخر والجود والكرم. وبحر الطويل رَحْب الصـــدر في هذا المجال، إذ إن الشعراء الأولين فضَّلوه على غيره في باب القصص المتصل بماضيهم وأخبارهم وأساطيرهم وملاحم قبائلهم في الأزمان السالفة وهو يناسب معاني التغني بجلالة الماضي[22].

ويقول [23]:

**وَنـار دَعَوْتُ المُعْتَفِينَ بضَـــوْئِـهـا * فَبـاتوا عليهـا أَو هُـدَيْـتُ بهـا سَـــفْرَا**

**تَضـــرَّمُ في لَيْـلِ التِّمـامِ وقـد بَـدَتْ * هَوَادي نُجومِ اللَّيْـلِ تَحْسَـــبُهـا جَمْرَا**

ويبدو أن مسكيناً الدارميَّ وجد في بحر الطويل مجالاً رحباً وميداناً فسيحاً للحديث عن صفات الفخر والإطناب فيها مُجتراً من خلال ذلك ذكريات الماضـــي. ولا غَرْوَ في ذلك فالطويل بحر الجلالة والنبالة والجِدّ[24].

---

(18) ابن رشيق القيرواني، العمدة ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، 1972م، 134/1.

(19) المصدر السابق 119/1.

(20) الديوان ، ص26.

(21) المصدر السابق، ص27.

(22) د. عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، طبعة البابي الحلبيّ، 1955م، 398/1-399.

(23) الديوان، ص48.

(24) المرشد 414/1.

البحر الثاني في شعر مسكين هو الوافر، يقول مسكين[25]:

رَأَيْتُ زِيادةَ الإِسْلامِ وَلَّتْ * جِهاراً حِينَ ودَّعَنَا زِيَادُ

ويقول [26]:

أَقَمتُ بقصر (زَرْبيّ) زَماناً * وَمِرْبدِه فدِار بني بَشِيرِ

لَعَمْرُكَ ما الكُنَاسَةُ لي بأُمٍّ * وَلا بأبٍ فأكرمْ مِنْ كَبيرِ

إن ما جاء به مسكين من قصائد ومقطوعات من بحر الوافر تناولت الرثاء وذكريات الماضي والهجاء والمنافرة، والوافر بحر مُسرع النغمات متلاحق ... وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر والتفخيم في معرض المدح[27].

ثالث البحور ترتيباً عند مسكين هو الرمل، وإليك بعض مواضعه، يقول مسكين[28]:

أنا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكرني * ولِمَنْ يَعْرِفُني جِدُّ نَطَقْ

وقوله[29]:

اتقِ الأَحْمَقَ أَنْ تَصْحَبَهُ * إِنَّما الأَحْمَقُ كالثَّوْبِ الخَلَقْ

كُلَّما رَقَّعْتَ مِنْهُ جَانِباً * حرّكَتْه الرِّيحُ وَهَناً فانْخَرقْ

أبرز الموضوعات التي تناولها مسكين حين ركب بحر الرمل، الفخر بنفسه، والحديث عن الصدق والكذب في قالب الحكمة، والتحذير من صُحْبة الأحمق، والرمل بحر تغلب عليه الغنائية، ولذا أكثر منه الغزليون، ولعلَّ مسكيناً ههنا تنكَّب طريقه لمَّا جعله في أغراض الجِدّ[30].

وبَعْدُ، يأتي بحر الكامل في المرتبة الرابعة، وقد جاء به مسكين في قوله[31]:

قُلْ للمَليحةِ في الخِمارِ الأَسْوَدِ * مَاذَا أَرَدْتِ بِنَاسِكٍ مُتَعبّدِ

رُدّي عليهِ صَلاتَهُ وصِيَامَهُ * لا تَفْتِنيهِ بحقّ جَاهِ مُحمَّدِ

---

(25) الديوان ، ص36.

(26) الديوان، ص63.

(27) المرشد 359/1.

(28) الديوان ، ص19.

(29) المصدر السابق، ص77.

(30) المرشد 140/1.

(31) ديوان مسكين ، ص41.

وقوله مفتخراً بنفسه وقومه[8]:

**إنْ أُدْعَ مِسْكيناً فما قَصَرَتْ * قِدْري بيوتُ الحيِّ والجُدُرُ**

**ما مَسَّ رَحْلي العَنْكَبوتُ ولا * جَدَياتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُيُرُ**

ولمَّا كان الحديث عن الكامل، فلا ضير من الإلمام بالحديث عن مجزوئه، يقول مسكين[9]:

**سَلَبَ الشَّبابُ رِدَاءَهُ * عَنِّي وأَتْبَعَهُ إزارُهْ**

**وَلَقَد يَحُلُّ عليَّ حُلَّتَه فُيعجِبُني فَخَارُهْ**

**ولقد لَبِسْتُ جَدِيدَهُ * حِينا فلا يَبْعَدْ مَزَارُهْ**

وهكذا ألمَّ مسكين بموضوعات الغزل والفخر والوصف حين ركب بحر الكامل، فجاء فيه بأبيات سائرة عائرة ألا وهي (قُلْ للمليحة ...) وهذا يؤكد أن بحر الكامل فيه لون من الموسيقى – يجعله إن أُريد به الجِدُّ– فخماً جليلاً مع عنصر ترنميّ ظاهر، ويجعله – إن أُريد به الغزل–، وما بمجراه من أبواب اللين والرقة، حلواً عذباً مع صلصلة كصلصلة الأجراس[32].

تأخرت مرتبة بحر البسيط عند مسكين، فنظم فيه بعض شعره قائلاً[33]:

**إنَّ الكَريمَ إذا ما كانَ ذا كَذِبٍ * شَانَ التكرُّمَ مِنْهُ ذلك الكَذِبُ**

**الصِّدْقُ أَفْضَلُ شُيءٍ أَنْتَ فَاعِلُهُ * لا شيءَ كالصَّدْقِ لا فَخْرٌ ولا حَسَبُ**

وبحر البسيط صالح لتقبل العنف والرقيق الباكي من الكلام[34].

إن هذه الأوصاف المجتزة عند مسكين لم تُعطِ البسيط حقَّه في إبراز هذين النقيضين العنف تارة والرقة تارة أخرى ، رغم أنه ألمَّ بشيء من الحكمة والوصف المقتضب. يأتي بعد ذلك بحر الخفيف والمتقارب في مرتبة واحدة من حيث الكم، فمواضع الخفيف قول مسكين المُفْعَم بالأسى واللوعة بعد فشل الثورة التي شارك فيها بأذربيجان[35]:

**عَجِبَتْ دَخْتَنُوسُ لمَّا رأَتْنِي * قد عَلاني مِنَ المَشِيب خِمَارُ**

**فأَهَلَّتْ بصَوْتِها وأَرنَّتْ * لا تَهابى قد شَابَ منِّي العِذَارُ**

---

(32) المرشد 264/1.

(33) الديوان، ص23.

(34) المرشد480/1.

(35) الديوان، ص54.

ويقول مسكين[36]:

**أَلا أَيُّـهـا الـغَـائِـرُ الـمُسْـتَشـي * طُ عَـلامَ تَـغَـارُ إذا لـم تُـغَـرْ**

**فَـمـا خَـيْـرَ عِـرْسٍ إذا خِـفْـتَـهـا * وَمـا خَـيْـرُ بَـيْـتٍ إذا لَـم يُـزَرْ**

وقوله في معادن الرجال[37]:

**ولا تَـحْـمَـدِ الـمَـرْءَ قَـبْـلَ الـبَـلاءِ * ولا يَسْـبِقُ السَّـيْـلُ مِنْـكَ المَطَرْ**

**وإنِّـي لأَعْـرِفُ سِـيـمـا الـرِّجـالِ * كَـمـا يَـعْـرِفُ الـقـائِـفُـونَ الأثَـرْ**

ركب مسكين بحر المتقارب في موضوعات تحدث فيها عن الغَيْرة وخبرته وسَبْره أَغْوَار الرجال. والمتقارب بحر بسيط النغم، مضطرد التفاعيل، منساب ... يصلح لكل ما فيه تعداد للصفات وتلذذ بجَرْس الألفاظ، وسَرْد الأحداث في نسق مستمر[38].

وهذا بحر السريع أتى به مسكين الدارميُّ في قوله[39]:

**إنْ أكُ مِسْـكـيـراً فـلا أَشْـرَبُ الـ * وَغْـلَ ولا يَسْـلَـمُ مـنِّـي الـبَـعـيـرُ**

وقوله[40]:

**مـا أَحْسَـنَ الـغَـيْـرَةَ فـي حِـيـنـهـا * وأَقْـبَـحَ الـغَـيْـرَةَ فـي كـلِّ حِـيـنْ**

والموضوعات التي تناولها مسكين في بحر السريع، الفخر والسخاء في إكرام الشَّرْب، والحديث عن الغَيْرة المحمودة والمذمومة، وأجود ما ذُكر عن السريع قول صاحب المرشد : "والسريع من الأبحر المتحاماة؛ لأن آخر أجزائه ثقيل جدّاً، ودندنته أشبه شيء بدندنة القَدَحَ من القَرَع تضربه مُكفأً على الماء. ولذلك فالناظم فيه يحتاج إلى البطء والتأنّي، وقد يُوقعه هذا في التكلُّف والتقعُّر إن لم يلائم بين أغراضه ونغماته"[41].

آخر البحور التي ركبها مسكين هو الرجز، إذ جاء في موضع يتيم هو قوله يصف الإبل[42]:

**حـتَّـى عَـلاهـا تَـامِـكٌ * شَـبَّـهـتُـه وانـتـصَّ فِـنْـدا**

---

(36) المصدر السابق، ص43.

(37) المصدر السابق، ص42.

(38) المرشد 337/1.

(39) الديوان، ص56.

(40) المصدر السابق، ص91.

(41) المرشد 156/1.

(42) الديوان، ص35.

ومقتضب القول، وُفِّق مسكين الدارميُّ إلى حدّ ما في التوفيق بين الموضوعات التي طرقها والبحور التي ركبها، جاعلاً الطويل في الصدارة والرجز في المؤخرة، وهذا دأب كثير من فحول شعراء العربية ولاسيما الأقدمين منهم، لمَّا أكثروا من الطويل وتحاموا الرجز. فيما يلي جدول يوضح النسب المئوية للبحور الشعرية التي ركبها مسكين الدارميُّ (من مجموع شعره):

| البحر | | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| .1 | الطويل | %48.19 |
| .2 | الوافر | %17.37 |
| .3 | الرمل | %8.19 |
| .4 | الكامل | %6.88 |
| .5 | البسيط | %5.57 |
| .6 | مجزوء الكامل | %4.26 |
| 8،7 | الخفيف والمتقارب | %3.60 |
| 9 | السريع | %1.96 |
| 10 | الرجز | %0.32 |

**القوافي :**

عُني نقاد الشعر القديم والحديث بالقافية، فأبانوا جيِّدها من ردئها وضروبها، وهي من الأشياء التي يقوم عليها الشعر بعد النية[43]. وهي ضرورية لاستقامة الشعر ... وإيقاعه[44]. وضروب القوافي كثيرة جدّاً، أبرزها القوافي الذُّلُل والنُّفُر والحُوش.

أما القوافي عند مسكين الدارميّ فكلها من الذُّلُل، والذُّلُل هي: الباء، التاء، الراء، العين، الميم، الياء، النون، الكاف، الفاء، السين، الجيم، الحاء، والدال[45].

أولى القوافي ترتيباً عند مسكين هي الراء كما في قوله[46]:

**إذا كُنْتُ في حَمَّان في عُقْرِ دَارِهِمْ * فَلستُ أُبالي مَنْ أَبرَّ ومَنْ فَجَرْ**

---

(43) العمدة 119/1.

(44) د. شكري عيَّاد، موسيقى الشعر العربي ، طبع دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968م، ص 102.

(45) المرشد 44/1.

(46) الديوان ، ص45.

ثم تأتي اللام في المرتبة الثانية، يقول مسكين[47]:

**أَتى يَخْبِطُ الظَّلْماءَ وَاللَّيْلُ دَامِسٌ * يُسَائِلُ عَنْ غَيْرِي الَّذي هو آمِلُ**

وبَعْدُ، فهذه القاف، ألمَّ بها مسكين في قوله[48]:

**اتقِ الأَحْمَقَ أَنْ تَصْحَبَهُ * إِنَّما الأَحْمَقُ كالثَّوبِ الخَلَقْ**

تأتي قافية العين في المرتبة الرابعة عند مسكين كما في قوله[49]:

**ولستُ بأحيا مِنْ رِجَالٍ رأَيتُهم * لكُلِّ امرىءٍ يَوْماً حِمامٌ ومَصْرَعُ**

ونصَّ صاحب المرشد – عليه رحمة الله – على أن العين فيها شيء من عُسْر بالنسبة إلى غيرها من الذُلُل[50].

ما انفك الحديث متصلاً عن القوافي الذُلُل عند مسكين الدارميّ ففي المرتبة الخامسة قافيتا الباء والدال، يقول مسكين[9]:

**رُبَّ أُمورٍ قد بَريْتُ لِحاءَها * وَقوَّمتُ مِنْ أَصْلابِها ثُمَّ زُغْتُها**

وقوله[51]:

**رَأَيْتُ زِيادةَ الإِسْلامَ وَلَّتْ * جِهاراً حِينَ ودَّعَنَا زِيَادُ**

ثم من بعد ذلك تأتي قافية التاء، والتاء قريبة من النون في السهولة إذا جاءت مكسورة. بيد أنها عند مسكين لم تأتِ كذلك، إذ جاءت مضمومة، يقول[52]:

**ما أَحْسَنَ الغَيْرَةَ في حِينِها * وأَقْبَحَ الغَيْرَةَ في كُلِّ حِينْ**

تشاطر الفاءُ النونَ في المرتبة الثامنة، أما الفاء فصعبة جدّاً ... مع أن أصولها في المعاجم أكثر من أصول القاف، ومع عُسْرها ففيها جيّد كثير[53].

---

(47) المصدر السابق، ص82.

(48) المصدر السابق، ص 77.

(49) المصدر السابق، ص66.

(50) المرشد 46/1.

(9) الديوان، ص23

(51) الديوان ، ص36.

(52) المصدر السابق، ص27.

(53) المصدر السابق، ص 27.

يقول مسكين[54]:

**إِنَّ أَبـانـا بِـكْـرُ آدم فـاعْـلَـمُـوا * وحَـوَاءُ قَـرْمٌ ذو عَـثَـانِـيَـن شَـــارِفُ**

ألمَّ مسكين بقافية النون في قوله[55]:

**مـا أَحْسَـــنَ الـغَـيْـرَةَ فـي حِـيـنِـهـا * وأَقْـبَـحَ الـغَـيْـرَةَ فـي كُـلِّ حِـيـنْ**

والجيم حرف خدَّاع، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قِبَله العذاب، والمتخيَّرات فيه قليلة جدّاً، وأكثر ما استُعملت الجيم عند القدماء في الوافر والطويل والرجز وجاء شيء منها في البسيط[56].

وموضع الجيم عند مسكين قوله[57]:

**لا تَـجْـعـلـنِّـي كـأَقْـوَامٍ عِـلـمْـتُـهـمُ * لَـمْ يَـظْـلِـمُـوا لَـبَّـةً يَـوْمـاً ولا وَدَجـا**

ومن الموافق لما ذُكر آنفاً أن القصيدة من بحر البسيط.

أما الحاء المهملة فدون الجيم في العُسْر، وجيادها أكثر والمختار منها كثير[58].

ألم مسكين بالحاء في قوله[59]:

**ولا ذَنْـبَ لـلـعُـودِ الـقُـمـاريِّ أنَّـه * يَـحْـرِقُ إِنْ نَـمَـتْ عـلـيـهِ رَوَائـحُـهْ**

وآخر حروف القوافي ترتيباً الياء، يقول مسكين[60]:

**أَلا أَيُّهـا المَرْءُ الَّـذي لَسْـــتَ قَـاعِـداً * ولا قـائـمـاً فـي الـقَـوْمِ إِلَّا انْـبَـرى لـيَّـا**

والياء المتبوعة بألف الإطلاق كثيرة جدّاً، وبخاصة في الطويل، وأكثر اعتماد الشعراء في قوافيها على ياء المتكلم، وجموع المنقوص المكسرة، والإسفاف فيها كثير للغاية، وجيادها قليلة[61].

ويظهر جليّاً مما تقدم أن كلَّ قوافي مسكين سائغة سلسة وهي من الذُّلُل، متحامياً الحُوش والنُّفُر من القوافي.

---

(54) الديوان، ص 74.

(55) المصدر السابق، ص 91.

(56) المرشد 49/1.

(57) ديوان مسكين، ص30.

(58) المرشد 51/1–52.

(59) الديوان ، ص 32.

(60) المصدر السابق، ص 93.

(61) المرشد 46/1.

أما القوافي المقيَّدة فقد ألم بها مسكين في قوله[62]:

**أنـا مِسْـــكِـيـنٌ لِـمَـنْ أَنْـكـرنـي * ولِـمَـنْ يَـعْـرِفُـنـي جِـدُّ نَـطَـقْ**

ويقول [63]:

**مـا أَحْسَـــنَ الـغَـيْـرَةَ فـي حِـيـنِـهـا * وأَقْـبَـحَ الـغَـيْـرَةَ فـي كُـلِّ حِـيـنْ**

ويقول [64]:

**ليســـتِ الأَحلامُ في حَـالِ الرضـــى * إِنَّـمـا الأَحْـلامُ فـي حَـالِ الـغَضَـــبْ**

وفيما يلي جدول يوضح نسب حروف القوافي عند مسكين الدارميّ (من مجموع شعره):

| الحرف | | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| .1 | الراء | %34.75 |
| .2 | اللام | %17.70 |
| .3 | القاف | %7.54 |
| .4 | العين | %7.21 |
| 6،5 | الباء والدال | %6.88 |
| .7 | التاء | %5.24 |
| .8 | الفاء والنون | %3.60 |
| .9 | | |
| .10 | الجيم | %3.27 |
| .11 | الحاء | %2.29 |
| .12 | الياء | %0.98 |

(62) الديوان، ص19

(63) المصدر السابق، ص91.

(64) المصدر السابق، ص22.

**حركة حرف الروي :**

أكثر مسكين من حركة حرف الروي المضموم، فالمكسور، فالمقيَّد ثم المفتوح.

فيما يلي جدول يوضح حركة حرف الروي عند مسكين الدارميّ:

| | حركة حرف الروي | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| .1 | الروي المضموم | %42.29 |
| .2 | الروي المكسور | %28.19 |
| .3 | الروي المقيَّد | %15.08 |
| .4 | الروي المفتوح | %14.42 |

**عيوب القوافي:**

من عيوب القوافي: الإقواء، والإكفاء والإيطاء، والسِّناد، والتضمين والإجازة وقد تُقال الإجارة، والرمل والتحريد[65]. وأكثر هذه العيوب ظهوراً في شعر مسكين الدارميّ الإيطاء وهو أن يتكرر لفظ القافية، ومعناها واحد ... وكلما تباعد الإيطاء كان أخف[66]. فمن الإيطاء قول مسكين الدارميّ[67]:

**تضـــرَّمُ في لَيْـلِ التِّمـامِ وقـد بَـدَتْ * هَوادي نُجومِ اللَّيْـلِ تَحْسَـــبُهـا جَمْرَا**

ثم قال غير بعيد[4]:

**وَمُنْـعَقِـدٍ ثـنـي الـلِّسـانِ بُـعِـثْـتُـهُ * يُخـالُ النُّعـاسُ في مَفَـاصِـلـه جَمْرَا**

فالإيطاء هنا قريب معيب (جمرا ... جمرا). ومن الإيطاء قول مسكين أيضاً[5]:

**ولرُبَّ يَوْمٍ قد تَرَكْتُ وما بَـيْـنـي وبَـيْـنَ لـقـائـهِ سِـــتْـرُ**

ثم قال بعيداً عن الأول[6]:

**مـا ضَـــرَّ جـاري إِذْ أَجـاوِرُهُ * أَن لا يَـكـونَ لَـبَـيْـتـهِ سِـــتْـرُ**

فبدا الإيطاء بعيداً غير معيب (ســـتر ... ســـتر). وثمة إيطاء معيب (الدهر ... الدهر) في قول مسكين[68]:

---

(65) الخطيب التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: عمر يحيى وفخر الدين قباوة، طبع دار الفكر، بيروت، ط3، 1399هـ = 1979م، ص239 وما بعدها.

(66) العمدة 146/1.

(67) الديوان، ص 48.

(68) الديوان، ص64.

**ولســـتُ إذا ما ســـرَّني الدَّهْرُ ضَـــاحِكاً * ولا خَاشِـــعاً ما عِشْـــتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ**

**ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعْلَمْ مَكَـانَ صَـــــدِيقِـهِ * ومَنْ يَحْيـا لا يَعْـدَمْ بلاءً مِنَ الـدَّهْرِ**[i]

أما الإقواء، فهو اختلاف حركة الروي في القصيدة، فقد جاء به مسكين في موضع واحد هو قوله[69]:

**ذَرِيـنـــي أَمَّ مِسْـــكـيـنٍ ذَرِيـنـــي * فـإِنَّ الـحَـقَّ يُـودي بـالـبَـعـيـرِ**

**كـأَن جَـبِـيـنَـهـا كُـرْكِـي مـاءٍ * قَـلـيـلُ الـرِّيـشِ مـقـتـولٌ كَسـيـرُ**

اختلفت حركة حرف الروي، فالأبيات على روي مسكور وشذَّ بيت فجاء على روي مضموم(بالبعير ... كسيرُ).

ولعلَّ موضع القافية كان يضيق على مسكين غير مرة مما اضطره للإيطاء. ولكنه يظل إيطاءً مقبولاً طالما لم يكثر منه الشاعر كثرة مفرطة إذ جاء به في الحين البعيد بعد الحين.

(69) المصدر السابق، ص65.

**ب- الموسيقى الداخلية:**

**1- الجناس:**

الجناس من المحسنات البديعية اللفظية التي تؤدي دوراً مهماً في موسيقى البيت الشعري الداخلية، ومواضعه عند مسكين من الكثرة بمكان لا يكاد يخلو بيت منه ، ومن الجناس الذي تناول الصفات قول مسكين[70]:

**أنا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكرني * ولِمَنْ يَعْرِفُني جِدُّ نَطَقْ**

وقوله [71]:

**إِنَّ الكَريمَ إذا ما كانَ ذا كَذِبٍ * شَانَ التكرُّمَ مِنْهُ ذلك الكَذِبُ**

وقوله [72]:

**ولستُ بولَّاجِ البُيوتِ لِفاقَةٍ * ولكنْ اذا استغنيْتُ عَنْها وَلَجْتُها**

**وإنَّ لنا رَبْعيَّةَ المَجْدِ كُلَّها * مَوَارِثُ آباءٍ كِرَامٍ وَرِثْتُها**

جانس مسكين جناساً ناقصاً بين قوله (لوني – ألوان ، الكريم – التكرم، ولَّاج – ولجتُها، موارث– ورثتها).

وصور الجناس تأتي أفواجاً متناولة معاني الأُخوَّة والصحبة والصداقة فهاك شيئاً من هذه الصور، يقول مسكين [73]:

**وإنَّ ابنَ عَمِّ المَرْءِ فاعلمْ جَنَاحَهُ * وَهَلْ يَنْهَضُ البَازي بغَيْرِ جَنَاحِ**

**لحا اللهُ مَنْ بَاعَ الصَّدِيقَ بغَيْرِهِ * وما كُلُّ بَيْعٍ بِعْتَهُ بَرَبَاحِ**

**كمُفْسِدٍ أَدْنَاهُ ومُصْلِحٍ غَيْرَهُ * وَلَم يأتمرْ في ذَاكَ غَيْرُ صَلَاحِ**

نبرة الجناس ونغمته عالية جدّاً في هذه الأبيات، انظر إلى هذا الجناس وقد أكسب الأبيات جَرْساً لفظيًّا في قوله (جناحه – جناح،– باع – بيع، مصلح – صلاح).

خاتمة القول في الجناس عند مسكين، إنه لون بديعيٌّ فاقع جدّاً، أسهم في إيقاع موسيقى البيت الشعري، ولاسيما أن جُلَّه أتى عفو الخاطر، فانساب إلى أُذن السامع دون عناء.

---

(70) الديوان، ص19.

(71) المصدر السابق، ص 23.

(72) المصدر السابق، ص28.

(73) المصدر السابق، ص 34.

**2- ردُّ العَجُز على الصدر:**

لرد الأعجاز على الصدور مكان مهم بين المحسنات البديعية عند مسكين الدارميّ، فما من لفظ يذكره في الصدر إلا ونجده في العجز، كقوله[74]:

**وداعٍ دَعـانـي لـلـعُـلـى فـأَجَـبْـتُـه * ودَعْوَةُ دَاعٍ في الصَّـــدِيقِ خَـذَلْتُهـا**

وقوله[75]:

**دعا ضـــابئاً دَاعي المَنايا فجاءه * ولمَّـا دعوا بـاســـمِ ابنِ دَارَةَ اسْـــمَعُوا**

حيث رد الشـاعر قوله في العجز (دعوة داع) على قوله في الصـدر (داع دعاني) وقوله (دعوا) على (داعي).

وحيناً تقترب الحروف بعضها من بعض في رد الأعجاز على الصدور مثال ذلك قول مسكين[76]:

**ولســـتُ بـولّاجِ الـبُـيـوتِ لِـفـاقَـةٍ * ولكنْ اذا اســتغنيْـتُ عَنْهـا وَلَجْتُهـا**

**أَبيـتُ عن الإدلاج في الحيّ نـائمـاً * وأَرْضٌ بـإدلاجٍ وَهَـمّ قَـطَـعْـتُـهـا**

انظر إلى تقارب الحروف هنا (ولجتُها – بولّاج، بإدلاج – الإدلاج) فحرف الجيم هو القاسم المشترك محدثاً جلجلة في الألفاظ.

ومجمل القول كثر رد العجز على الصدر في شعر مسكين الدارميّ، ولذا فهو لون بديعيٌّ فاقع جدّاً، وقد تآزرت الأعجاز والصدور مُحدثة موسيقى ونغماً حلو الترداد.

**3- الطباق:**

كثر الجمع بين الشيء وضده عند مسكين، مطابقاً غير مرة بين الصدق والكذب والخيانة والأمانة، والحلم والجهل، والبر والفجور، قائلاً[77]:

**واصـــدِق الـنَّـاسَ إذا حـدَّثـتَـهـم * ودَعِ الـكَـذِبَ لِـمَـنْ شَـــاءَ كَـذبْ**

وقوله[78]:

**ثـلاثـةُ أمـلاكٍ ربـوا فـي حُـجُـورنـا * فـهـل قـائـلٌ حقّـاً كمَنْ هو كـاذبُ**

---

(74) الديوان، ص 29.

(75) المصدر السابق، ص66.

(76) المصدر السابق، ص 28.

(77) الديوان، ص19.

(78) المصدر السابق، ص26.

وقوله[79]:

**إذا ما خليلي خانني وائتمنتُه * فَذاكَ وداعيهِ وذَاكَ وَدَاعُها**

وقوله[80]:

**غير أنّي امرؤٌ أُعَمَّمُ حِلْماً * يَكْرَهُ الجَهْلَ والصِّبا أَمْثَالي**

وقوله[81]:

**إذا كُنتُ في حَمَّانَ في عُقرِ دَارِهِمْ * فَلَستُ أُبالي مَنْ أَبرَّ ومَنْ فَجَرْ**

بدا حشد الأضداد واضحاً في قول مسكين (أصدق– الكذب، كذب، حقّاً– كاذب، خانني –ائتمنته، حلماً– الجهل، أبر– فجر).

ومما تقدم يتضح أن مسكيناً الدارميَّ حشد الأضداد حشداً مطابقاً بين صفات عدة، كالصدق والكذب، والخصب والجدب، مُلمّاً بطبقات توضح الهيئة كالقيام والقعود، وشيء من طباق السلب.

وكل هذه الأضداد تجعل موسيقى البيت الشعري أكثر سلاسة وانسياباً إلى أذُن السامع كيف لا (والضّدُ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضّدُّ).

**4– المقابلة :**

جاء مسكين بالمقابلة في شعره بيد أنه لم يكثر منها، فمن مواضعها قوله[82]:

**رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ بَيْتُه * وسَمِينُ البَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبْ**

في قوله (مهزول – سمين، سمين – مهزول) مقابلة حيث ذكر الشاعر صفتين هنا وأُخريين هناك.

وقوله[83]:

**وإنّي لأَغلاهُمُ باللَّحْمِ قد عَلِمُوا * نيئاً وأَرْخصُهم باللَّحْمِ إذْ نَضِجا**

قابل الشاعر بين قوله (لأغلاهم – أرخصهم، نئياً – نضجا).

وآخر مواضع المقابلة عند مسكين قوله[84]:

**أَخذتَ صديقاً طَارِفاً وأَضعتَنِي * تَليداً وهَل يَزكو الطَّرِيفُ ويُثْمِرُ**

---

(79) المصدر السابق، ص 71.

(80) المصدر السابق، ص 83.

(81) المصدر السابق ، ص45.

(82) الديوان، ص20.

(83) المصدر السابق، ص30.

(84) المصدر السابق، ص57.

في قوله (أخذت – أضعتني، طارفاً – تليداً) مقابلة.

ويظهر مما ذُكر أن حيز المقابلة ضئيل جدّاً، ولكن الشاعر لم يبخل بالجمع بين الشيء وضده، كما وضح في مواضع الطباق التي سبق الحديث عنها قبل.

**5- التكرار:**

التكرار ركن مهم جدّاً في موسيقى البيت الشعري الداخلية، ولعل الشاعر يأتي به من أجل تثبيت المعنى في نفس السامع، فيكرر ألفاظاً وعبارات معينة، من ذلك قول مسكين الدارميّ، يتحدث عن مكانة الأخ[85]:

**أَخاكَ أَخاكَ إِنَّ مَنْ لا أَخاً لَهُ * كَساعٍ إلى الهَيْجا بغَيْر سِلاحِ**

وهذا الضرب من التكرار موسوم التكرار اللفظيّ.

وقد يكون التكرار استفهاميًّا، كأن يكرر الشاعر أداة الاستفهام (هل) قائلاً[86]:

**أَم هَلْ وَقَفْتُ بِمَوْقِفٍ * أو مَشْهَدٍ يُخْزِيهِ عَارُهْ**

**أَم هَلْ كسبتُ المَالَ إلَّا عادَ لي ولَهُ خِيَارُهْ**

والبيتان في مِعْراض الحديث عن الشكوى واجترار ذكريات الماضي.

وحيناً يكرر الشاعر أداة التوكيد (إن) مفتخراً بأخلاقه وعدد صفاتها قائلاً[87]:

**وإنِّي لا أَقومُ عَلَى قَنَاتي * أَسُبُّ النَّاسَ كالكَلْبِ العَقُورِ**

**وإنِّي لا أُحُلُّ بِبَطْنِ وادٍ * ولا آوي إلى البَيْتِ القَصيرِ**

**وإنِّي لا أُحاول عَقْدَ نَادٍ * وَلا أَدعو دُعائي بالصَّفيرِ**

ولا ريب أن مسكيناً حاول جاهداً تثبيت معاني الفخر هذه في نفس السامع، وغير خاف الجَرْس الموسيقيّ في الأبيات لهذا التكرار.

أسهمت هذه المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية منها في موسيقى البيت الشعري، فهذا الحشد من التجانس بين الألفاظ ورد الأعجاز على الصدور والأضداد بضروبها، أضف إليها التكرار أحدثت جميعها جَرْساً لفظيّاً ونغماً لا تمل الأُذن سماعَه.

**المحور الثاني : الصورة الشعرية :**

**أ- التشبيه :**

---

(85) الديوان، ص 33.

(86) المصدر السابق ، ص 46.

(87) المصدر السابق، ص62.

التشبيه عنصر رئيس من عناصر الصورة الشعرية، كثيراً ما استمد مادته من البيئة المحيطة بالشاعر بدويَّة كانت أو حضريَّة فالتشبيه عند مسكين الدارميّ أبرز عناصر الصورة الشعرية، متناولاً عدة موضوعات في تشبيهاته كالإنسان والحيوان والنبات، وتتداخل هذه الموضوعات مع بعضها البعض مُشكِّلة صورة التشبيه، فالمرأة سيئة الخُلُق يُغضبها أدنى شيء، مشبهاً إياها بالجامح من الخيل حين يُزْجَر، يقول مسكين[88]:

**لا تَـلُـمْـهـا إِنَّـهـا مِـنْ نِسْـوَةٍ * صَـخِـبـات مِـلْـحُـهـا فَوْقَ الرُّكَبْ**

**كَشَـمُوس الخَيْـلِ يَبْـدُو شَـغْبُـهـا * كُـلَّـمـا قِـيـلَ لـهـا هَـالٍ وهَـبْ**

والظباء تلوذ من حرّ الشمس فوقها كما تلوذ وتلتجئ الطريدة من حرّ السِّنان[89]:

**وَهَـاجَـرةٍ ظـلَّـتْ كـأَنَّ ظِـبـاءَهـا * إذا مـا اتقـتْـهـا بـالقرونِ سـجودُ**

**تَلوذُ لشُـؤبوبٍ مِنَ الشَّـمْسِ فَوْقَهـا * كَـمَـا لاذَ مِنْ حَرِّ السِّـنـانِ طَـرِيـدُ**

وهذه رماح الخطِّ تبيت حول بيوت ممدوح (بني حمّان) تُشبه مبيت الوعول مع البقر، يقول مسكين[90]:

**تَـبِـيـتُ رِمَـاحُ الـخَـطِّ حَـوْلَ بُـيـوتِـهـمْ * كـأَنَّ الـوُعـولَ ثُـمَّ بِـتْـنَ مَـعَ الـبَـقَـرْ**

ورُبَّ ناقة سريعة نحرها مسكين لجماعة الشَّرْب مشبهاً جبينها بطائر الكُركي[91]:

**وَنَـاجِـيـةٍ نَـحَـرْتُ لِشَـرْبِ صِـدْقٍ * وَلَـم أَعـبـأ بـتَـصْـريـفِ الأُمـورِ**

**كـأَنَّ جَـبـيـنـهـا كُـركـيُّ مـاءٍ * قَـلـيـلُ الـرِّيـشِ مَـقْـتُـولُ كَسِـيـرُ**

وصورة تشبيه طريفة، يقول مسكين[92]:

**إِنَّـمـا الـفُـحْـشُ ومَـنْ يَـعْـتَـادُهُ * كَـغُـرابِ السُّـوءِ مـا شـاء نَـعَـقْ**

**أَو حِـمَـارِ السُّـوءِ إِنْ أَشْـبَـعْـتَـهُ * رَمَـحَ الـنَّـاسَ وإِنْ جَـاعَ نَـهَـقْ**

**وَغُـلامُ السُّـوءِ إِنْ جـوَّعـتَـهُ * سَـرَقَ الجـارَ وإِنْ يَشْـبَعْ فَسَـقْ**

**أَو كَـغَـيْـرى رَفـعـتْ مِـنْ ذَيْـلِـهـا * ثُـمَّ أَرْخَـتْـهُ ضُـراطـاً فـانْـمَـزَقْ**

---

(88) الديوان، ص 21.

(89) المصدر السابق، ص38–39.

(90) المصدر السابق، ص 45.

(91) المصدر السابق، ص 65، وفي البيت الثاني إقواء (كسيرُ).

(92) الديوان، ص108.

شبَّه الشاعر مَنْ يعتاد الفُحْش بغراب السُّوء تارة، وبحمار السوء تارة أخرى، متى ما أشبعته رمح الناس وإن جاع نَهقَ نُهاقاً يكاد يصمُّ الآذان لقُبْحه، وشبَّهه ثالثة بغلام السُّوء إن جاع سرق وإن شبع فسق، وشبَّهه رابعة بأتان (أُنثى الحمار) ترفع ذيلها ثم ترخيه ضراطاً وخُباباً.

ولعل هذه الصورة التشبيهية استمدت مادتها مما ذكرته العرب عن الغراب والحمار والأتان، فالغراب كان رمز الشؤم عند العرب، وكانت تزعم أنه كلما حل بديار تفرق أهلها حتى قالوا (غراب البَيْن) أي الفراق، ونُهاق الحمار مستقبح وفي قوله تبارك تعالى:(إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِير)[93].

وفي أمثال العرب، (أذلُّ مِنْ حِمارٍ على وَتد) ومن أمثالها أيضاً (أحمقُ من أمِّ الحُضَيْر) أي أُنثى الحمار، وفي المقابل تبدو صورة حمار الوحش ناصعة وهو المعروف بالمُكدَّم.

وتارة يستمد التشبيه مادته من الألوان، كقول مسكين[94]:

**حَسْبُنا شُعاعُ الشَّمْسِ لمَّا بَدَا لنا * شِقائِقُ قَدْ عَلَتْ عُصْفراً بأَحْمَرا**

شبه الشاعر شعاع الشمس حين بدا لهم بشقائق النعمان وقد اختلطت حُمْرتها بالصُّفْرة.

ثم شَّبه الشيب بالقُطن، فوجه الشبه البياض في كلّ، يقول[95]:

**بِيضٌ كَلَوْنِ القُطْنِ لا * يَخْفَى على أحدٍ خِمَارُهْ**

لا تنفك الألوان تُشكِّل صورة التشبيه عند مسكين، من ظُلمة الليل الحالك وخضرة كساء الطَّيْلسان وسواد الزِّفت والقَطِران، فثمة نار أوقدها الشاعر كي يهتدي بها الساري في ليل التِّمام (وهو أطول ليلة في السنة)، مشبهاً هوادي النجوم بالجمر في الاحمرار، قائلاً[96]:

**وَنارٍ دَعَوْتُ المُعْتَفِينَ بضَوْئِها * فَباتوا عليها أَو هَدَيْتُ بها سَفْرا**

**تضَرَّمُ في لَيْلِ التِّمامِ وقد بَدَتْ * هَوَادي نُجومِ اللَّيْلِ تَحْسَبُها جَمْرَا**

ارتبطت صورة الأثافي أو حجارة القِدْر بالكرم وكثرة القِرى للأضياف فهذه قُدور معاوية ψ يشبهها الشاعر بأحواض يُجبى فيها الماء للإبل لسعتها وضخامتها مشبها الأثافي تحتها بأولاد النعام، قائلاً[97]:

**قُدورُ ابنِ حَرْبٍ كالجَوَابي وتَحْتَها * أَثافٍ كأَمْثالِ الرِّئالِ رُكُودُ**

---

(93) سورة لقمان، الآية 19.

(94) الديوان، ص 51.

(95) الديوان، ص46.

(96) المصدر السابق، ص48.

(97) المصدر السابق، ص40.

وما دام الحديث عن الحجارة فلا بأس من ذكر قول مسكين في هجاء أحد الناس[98]:

**وَأَرْجُمُ قَبْرَهُ فِي كُلِّ عَامٍ * كَرَجْمِ النَّاسِ قَبْرَ أَبِي رِغَالِ**[99]

فالشاعر يرجم قبر ذلكم المرء كما يرجم الناس قبر أبي رغال الذي كان دليل الأحباش لمَّا غزوا الكعبة الشريفة.

وللحديث عن الأُخوَّة والصحبة مكان في تشبيهات مسكين كقوله حاضّاً على الأخوة[100]:

**أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لا أَخاً لَهُ * كَسَاعٍ إلى الهَيْجا بغَيْرِ سِلاحِ**

والبيت سائر عائر حضَّ فيه الشاعر على الاستكثار من الإخوان، فهم عُدَّة يستظهر بها المرء على الزمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم(المرء كثير بأخيه) وجعل من لا أخاً له يستظهر به، كمن قاتل عدوه ولا سلاح معه ، وقد صدق فإن من قطع أخاه وصرمه، كان بمنزلة من قاتل بغير سلاح[101].

ومسكين يحضُّ على الأُخوة ويُحذِّر من صحبة الأشرار، فقمين به أن يعرف معادن الرجال ويسبر غورهم مشبهاً معرفته إياهم بمعرفة القائفين بآثار الأقدام بقوة الفِرَاسة، وكان العرب في جاهليتهم يفخرون بهذا الضرب من الأولاد، يقول مسكين[102]:

**وإِنِّي لأَعْرِفُ سِيمَا الرِّجَالِ * كَمَا يَعْرِفُ القَائِفُونَ الأَثَرْ**

ويحسن بي أن أختم التشبيه عند مسكين الدارميّ قائلا: تنوعت صور التشبيه عنده متناولة موضوعات شتى كالحيوان والنبات والألوان والصفات والشيم، والتشبيه عنده مقترن دائماً بالكاف تارة وكأن تارة أخرى، وحيناً يأتي بالصورة مقتضبة وحيناً آخر يتوسع في إطارها وحينئذ تبدو الصورة عنده واضحة القسمات والأجزاء، والتشبيه عنده لا يخلو من فلذات فكر وجوده فنية وإن غلبت عليه الحسيَّة.

**ب- الاستعارة:**

---

(98) المصدر السابق، ص83.

(99) هو قسي بن مُنبِّه الإيادي (ت 50 ق هـ/ 575م) أبو رغال، جاهليّ اختلفوا في اسمه ونسبه، كان دليل الحبشة لمَّا غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، ولمَّا ظهر الإسلام ومرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبره أمر برجمه. (انظر: الأعلام 5/ 198).

(100) الديوان، ص33.

(101) خزانة البغدادي 66/3، (بتصرف).

(102) ديوان مسكين، ص42.

الاستعارة هي أن تُريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً[103].

وعرَّفها غير واحد من علماء البلاغة والنقد[104].

والاستعارة عند مسكين الدارميّ عنصر رئيس من عناصر الصورة الشعرية، واصفاً المعنويَّ بصفات الحسيّ، متناولاً الاستعارة التشخيصية والتجسيمية، قائلاً[105]:

**رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ بَيْتُه * وسَمِينُ البَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبْ**

فالشاعر يصف البيت والنسب بصفتي السِّمن والهُزال على سبيل الاستعارة فالوصف بالسمن والهزال من صفات الأشياء الحسية، فجعلها من صفات الأشياء المعنوية. والمعنى: رُبَّ مهزول البدن والجسم كريم الأب، رفيع النسب صيِّن الحسب والعكس[106]. ومن صور الاستعارة قول مسكين أيضاً[107]:

**رُبَّ أُمورٍ قد بَرَيْتُ لِحاءَها * وقَوَّمتُ مِنْ أَصلابِها ثُمَّ زُغْتُها**

جعل مسكين الأمور شيئاً يُبرى ويُقوَّم على سبيل الاستعارة، كما يُبرى العود. وتحضرني مقولة الحجاج بن يوسف في خطبته المشهورة (لألحونَّكم لحو العصا).

ما فتئ مسكين يجعل صفات الأشياء المعنوية حسية، فالجوع يُقتل على سبيل الاستعارة، وقد أراد بذلك إشباع القوم حين تكسو السماءُ آفاقها غباراً كثيفاً ولعله يريد بذلك فصل الشتاء حين يصبح الطعام قليلا ، يقول[108]:

**أَنا ابنُ قاتلِ جُوعِ القَوْمِ قد عَلِمُوا * إذا السَّماءُ كَسَتْ آفاقَها رَهَجا**

ومن الاستعارات الجيِّدة قول مسكين[109]:

**فإنَّكَ والأَضيافَ في بُرْدَةٍ معاً * إذا مات نِصْفُ الشَّمْسِ ساعةَ تنزِعُ**

---

(103) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، طبع دار المعرفة، بيروت، 1398هـ = 1978م، ص53.

(104) انظر في تعريف الاستعارة علي سبيل المثال لا الحصر: أسرار البلاغة، ص28–34، والصناعتين، ص268، والإيضاح، ص176–177، وغيرها كثير.

(105) الديوان، ص20.

(106) المصدر السابق، والصفحة السابقة.

(107) المصدر السابق، ص 27.

(108) الديوان، ص 30.

(109) الديوان، ص69، ورواية البيت في الأشباه والنظائر، (وإني ... مات نصف الشمس ...).

جاء في الأشباه والنظائر (البيت حسن جدّاً: ذلك أن البرد في الشتاء أشد ما يكون طرفيْ النهار، فهو قوله : "إذا مات نصف الشمس" أراد آخر النهار، وقد غاب نصف الشمس وهو الذي مات، والنصف الذي ينزع هو الذي يبقى منهما") وهذه استعارة في نهاية الجودة[110].

وثمة استعارة أخرى جعل فيها الشاعر للشباب رداءً وإزاراً، وقد سلب الشباب ذلكم الرداء والإزار لمَّا ولَّى وأعقبه المشيب مبدلاً مسكيناً ضعفاً بعد قوة وهرماً بعد شباب، قائلاً[111]:

**سَـــلَـــبَ الشَّـــبـــابُ رِدَاءَهُ * عـــنِّـــي وأَتْـــبَـــعَـــهُ إزارُهْ**

**وَلَـقَـد يَـحُـلُّ عـلـيَّ حُـلَّـتَـه فُـيـعـجِـبُـنـي فَـخَـارُهْ**

**ولـقـد لَـبِسْـتُ جَـدِيـدَهُ * حِـيـنـاً فـلا يَـبْـعُـدْ مَـزَارُهْ**

والضـيف يخوض الليل على سـبيل الاسـتعارة، أي يسـير في ليل حالك الظلام، والبيت في معرض الفخر، يقول[112]:

**وَضَـيْفٍ يَخُوضُ اللَّيْلَ خَوْضـاً كأَنَّما * يَـخـوضُ بـه حـتَّـى تَـأوَّبـنـي بَـحْـرَا**

والجماجم تمشي إلى الموت دون انحراف أو تمايل عن الحق، يقول مسكين[113]:

**جَمَـاجِمُنَـا يَـوْمَ الـلِّـقـاءِ بـرأسِـنـا * إلى المَوْتِ تَمشـي ليس فيها تَجَانُفُ**

وآخر مواضع الاستعارة قول مسكين[114]:

**غـيـر أَنَّـي امـرؤٌ أُعـمِّـمُ حِـلْـمـاً * يَـكْـرَهُ الـجَـهْـلَ والصِّـبـا أَمـثـالـي**

فالشاعر جعل الحلم يُعمَّم على سبيل الاستعارة، أي يلبسه لُبْس العِمّة.

مما تقدم من مواضع الاستعارة عند مسكين الدارميّ يتضح أنها استعارات تجسيمية تشخيصية جعلت من الأمور المعنوية أموراً حسية، فالبيت سمين والنسب مهزول، والـأمور تُبرى، والجوعُ يقتل، وللشباب رداء وإزار وغيرها من الاستعارات.

**ج- الكناية:**

(110) الخالدان، الأشباه والنظائر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، طبع القاهرة، 1965م، 64/1.

(111) الديوان، ص46.

(112) الديوان، ص48.

(113) المصدر السابق، ص 76.

(114) المصدر السابق، ص83.

الكناية فن من القول رقيق المسلك، لطيف المأخذ[115]، والمراد بها أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه[116].

ورغم أهمية الكناية في الصورة الشعرية، لكنها ذات حيز ضئيل في شعر مسكين الدارميّ، ألمَّ بها في الحين البعيد بعد الحين، كقوله يُكنّي عن الكلمة القبيحة بالعوراء، قائلاً[117]:

**وعَوْرَاءَ مِنْ قِبَلِ امرئ ذي قَرابة قَرابَةٍ * تَصَامَمْتُ عَنْها بَعْدَ ما قد سَمِعْتُها**

وقوله[118]:

**وعَوْرَاءَ مِنْ قِبَلِ امرئٍ قد رَدَدْتُها * بسَالِمَةِ العَيْنَيْنِ طَالِبَةٍ عُذْرَا**

فالشاعر هنا يتسامى عن رد السيئة بمثلها، بل يوطِّن نفسه على الإحسان بأن يقابل السيئة بالحسنة، مُكنّياً عن الكلمة الحسنة بسالمة العينين.

وغير بعيد عن المعنى الأول كنَّى مسكين عن الحقد والضغينة بالضب، قائلاً[119]:

**فأَعرضتُ عَنْهُ وانْتَظَرْتُ بِهِ غداً * لَعَلَّ غداً يُبْدي لناظِره أَمْرَا**

**لأَنْزَعَ ضَبّاً جَاثِماً في فُؤادِهِ * وأُقِلِّمُ أَظْفَاراً أَطَالَ بِها حَفْرَا**

ومن الكنايات المليحة قول مسكين[120]:

**إِنْ أُدْعَ مِسْكيناً فما قَصَرَتْ * قِدْري بيوتُ الحيّ والجُدُرُ**

**ما مَسَّ رَحْلي العَنْكَبوتُ ولا * جَدَياتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُيُرُ**

الجديات: جمع جدية، وهي باطن دفة الرحل. وفي البيت الثاني صورة جميلة، وهي كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن، لأن العنكبوت إنما تنسج على ما لا تناله الأيدي ولا يكثر استعماله.

---

(115) المصدر السابق، ص 56.

(116) المصدر السابق، ص52.

(117) الديوان، ص29.

(118) المصدر السابق، ص 50.

(119) المصدر السابق، ص51.

(120) المصدر السابق، ص 58.

وثمة كناية أخرى في معرض الحديث عن إكرام الضيف وأن كل ما يملكه الشاعر هو ملك للضيف، ليس يلهيه عنه ما يلهي الناس، ولو كانت امرأة حسناء، مُكنّياً عنها بالغزال المقنَّع، قائلاً[121]:

**طَعامي طَعَامُ الضَّيْفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ * ولَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ**

وصورة الكناية –على قلتها– لم تسر على وتيرة واحدة، فمسكين يكنّي عن الأنساب العالية ب(الشُّمّ الشماريخ الطوال) والشماريخ جمع شمروخ وهو الغصن الدقيق الرخص.

ويقول [122]:

**وإنِّي حِينَ أُنْسَبُ مِنْ تَمِيمٍ * لَفي الشُّمِّ الشَّماريخِ الطِّوالِ**

ومن الكنايات قول مسكين[123]:

**شَريحٌ فارِسُ النُّعْمانِ جَدّي * ونَازِلُها إذا دُعيتْ نِزالِ**

فقوله (دُعيتْ نِزال) كناية عن اشتداد القتال في المعركة.

وهكذا يتضح أن الكناية عند مسكين الدارميّ – رغم قلتها– تسهم في تشكيل الصورة الشعرية، وأكثرها كناية عن موصوف وأقلها كناية عن صفة، مُكنّياً عن الكلمة القبيحة بالعوراء، وعن الحسنة بسالمة العينين، وعن الحقد والضغينة بالضب، وعن المرأة الحسناء بالغزال المقنَّع، وعن علو الأنساب والأحساب بالشم الشماريخ الطوال وغيرها من صور الكناية.

(121) الديوان، ص69.

(122) المصدر السابق، ص 58.

(123) المصدر السابق، ص87.

**المحور الثالث: بنية القصيدة:**

**أ- مقدمة القصيدة :**

أسهب النقاد الأقدمون والمحدثون في الحديث عن مقدمة القصيدة رغم أن الأقدمين عُنوا بالبيت المفرد أو المطلع، ذاكرين شروط جودته لأنه أول ما يقرع الأسماع[124].

أما مقدمات القصائد عند مسكين الدارميّ فتكاد تكون نَزْراً يسيراً، لأنه كان يُباشر موضوعاته الشعرية دون أن يقدم لها بالمقدمات التقليدية كالطلية والغزلية، ونحوهما[125]. والضرب الذي ألم به في بعض قصائده هو وصف الشيب وبكاء الشباب. وأرسى المُعمَّرون من الشعراء أصول هذه المقدمة (أعني وصف الشيب وبكاء الشباب) وألموا بأكثر عناصرها غير أن أشعارهم التي تفجَّعوا فيها على شبابهم لم تكن مقدمات لقصائد طويلة، بل مقطوعات نفثوا فيها آلامهم وتمثلوا ذكرياتهم ويبدو أن الشـــعراء أعجبوا بالمعاني التي رددها المُعمَّرون، فأخذوا يرددونها في صدور قصائدهم، ثم ينفذون منها إلى موضوعاتهم وأغراضهم الأساسية[126].

افتتح مسكين إحدى قصائده بوصف الشيب وبكاء الشباب، مسترجعاً ذكريات الماضي حيث الفتاء والعنفوان، قائلاً[127]:

**سَـــلَـــبَ الشَّـــبـــابُ رِدَاءَهُ * عـــنِّـــي وأَتْـــبَـــعَـــهُ إزارُهْ**

**ولـــقـــد لَـــبِسْـــتُ جَـــدِيـــدَهُ * حِـــيـــنـــاً فـــلا يَـــبْـــعَـــدْ مَـــزَارُهْ**

واستهل قصيدة أخرى بوصف الشيب وبكاء الشباب هي (عجبتْ دَخْتَنُوسُ) بعد فشل الثورة التي شارك فيها ضد المختار الثقفيّ، وهي مفعمة بالأسى واللوعة، قائلاً[128]:

**عَـجِـبَـتْ دَخْـتَـنُـوسُ لـمَّـا رأَتْـنِـي * قـد عَلاني مِنَ المَشِـيـب خِمَـارُ**

**فـأَهَـلـتْ بصَـــوْتِـهـا وأَرنَّـتْ * لا تَـهـابي قـد شَـــابَ منِّي العِـذَارُ**

وآخر القصائد التي استهلها مسكين واصفاً الشيب باكياً شبابه، وهي القصيدة التي نافر بها عبدالرحمن بن حسان بن ثابت، يقول مسكين[129]:

---

(124) لحديث النقاد عن المطالع والمقدمات، انظر: الصـــناعتين، ص 437، وما بعدها، والعمدة 218/1 وما بعدها، وعيار الشعر: ص127 وما بعدها، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي 59/1، وحسين عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهليّ، ص114، وما بعدها، وغيرها كثير.

(125) انظر: الديوان ص27، 30، 33، 38، 43، 48، 58، 66، 74، 77.

(126) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، ص148.

(127) الديوان، ص46.

(128) الديوان، ص 54.

(129) المصدر السابق، ص 85.

فـإنْ يَبْـلَ الشَّـــبـابَ فكُـلُّ شـــيءٍ * سَـــمِعْـتَ بـهِ سِـــوى الرَّحْمنِ بَـالِ

أَلا إنَّ الشَّـــبَـابَ ثِـيَـابُ لُـبْـسٍ * وَمـــا الأَمـــوالُ إلَّا كـــالـــظِّـــلالِ

وخاتمة القول، غابت مقدمات القصائد عند مسكين الدارميّ خلا وصف الشيب وبكاء الشباب، لأنه كان يباشر موضوعه دون أن يقدم له، ثم إنه أكثر في شعره من المقطوعات، ولذلك يصعب تطبيق مفهوم المقدمات عليها.

**ب- التخلُّص**[130]:

مثلما ضاق مجال الحديث عن مقدمات القصائد عند مسكين، ضاق المجال كَرَّة أخرى عن التخلص، ولكن يمكن أن نلم بالحديث عنه من خلال قصيدتين هما (إنْ أُدْعَ مِسكيناً...) و (فإن يَبْلَ الشَّبابُ فكلُّ شيء ...).

فالقصيدة الأولى أنشدها مسكين بين يدي معاوية بن أبي سفيان ــ رضي الله عنه ــ مشيراً إلى تأييده لبيعة يزيد بن معاوية بالخلافة. بدأ مسكين قصيدته هذه بالفخر قائلاً[131]:

إنْ أُدْعَ مِسْـــكـيـنـاً فـمـا قَصَـــرَتْ * قِـدْري بـيـوتُ الـحـيِّ والـجِـدُرُ

مُتخلِّصاً بعد بيت واحد إلى غرضه في مخاطبة أمير المؤمنين، ذاكراً عدداً من الموصوفات، ثم عاد إلى الحديث عن الخلافة وحقّ بني أُمية فيها، يقول[132]:

إلـيـكَ أَمـيـرَ الـمُـؤمـنـيـنَ رَحَـلْـتُـهـا * تُـثِـيـرُ الـقَـطـا لَـيْـلاً وهُـنَّ هُـجُـودُ

وَهـاجـرةٍ ظَـلَـتْ كـأَنَّ ظِـبـاءَهـا * إذا مـا اتقـتْـهـا بـالـقُـرون سُـــجُـودُ

بَـنـي خُـلـفـاءِ الله مَـهْـلاً فـإنَّـمـا * يُـبـوءهـا الـرَّحْـمـنُ حَـيْـثُ يُـريـدُ

إذا الـمِـنْـبَـرُ الـغَـرْبِـيُّ خـلَّاهُ رَبُّـه * فـإنَّ أَمـيـرَ الـمُـؤمـنـيـنَ يَـزِيـدُ

قُـدورُ ابنِ حَرْبٍ كـالجَوَابي وتَحْتَـهـا * أَثـافٍ كـأَمـثـالِ الـرِّئـالِ رُكُـودُ

القصيدة الثانية التي المَّ فيها مسكين بشيء من التخلص هي القصيدة التي نافر بها خصمه عبدالرحمن بن حسان، مستهلاً إياها بالحديث عن الشباب ذاكراً سرعة انقضاء أيامه، متخلصاً لمنافرة خصمه، ذاكراً القبيلة معدداً رجالها وفرسانها، قائلاً[133]:

---

(130) للحديث عن التخلُّص وأقسامه انظر: العلويّ اليمنيّ، كتاب الطراز 179/3 وما بعدها، والعمدة 237/1، وعيار الشعر ص 115-118، والصناعتين ص 452 وما بعدها.

(131) الديوان، ص38.

(132) المصدر السابق، ص38-40.

(133) المصدر السابق، ص85-90.

فـإنْ يَبْـلَ الشَّـــبـابَ فكُـلُّ شـــيءٍ * سَـــمِعْـتَ بـهِ سِـــوى الرَّحْمنِ بَـالِ

لَـعْـلَـكَ يـا ابـنَ فَـرْخِ الـلَّـؤمِ تَّـرْجُـو * زَوالَ الـرَّاســـيـاتِ مِـنَ الـجِـبَـالِ

فـإنَّـكَ لَـنْ تَـنَـالَ الـمَـجْـدَ حـتَّـى * تُـردَّ الـمَـاضِـــيـاتِ مِـنْ الـلَّـيـالـيَ

أَبُـي مُضُـــرُ الَّـذي حُـدِّثْـتَ عَـنْـهُ * وَكُـلُّ رَبـيـعـةِ الأمـريـنِ خَـالـي

وإنَّـي حَـيـنَ أُنْسَـــبُ مِـنْ تَـمِـيـمٍ * لَـفـي الشُّـــمِّ الشَّـــمـاريـخِ الـطِّوالِ

أَتـوعِـدُنـي وأَنْـتَ بـذاتِ عِـرْقٍ * وقَـدْ غُصَّـــتْ تُـهَـامَـةُ بـالـرِّجـالِ

وبَعْدُ، فالتخلص في كلتا القصـيدتين آنفتيْ الذكر يُعدُّ من التخلص الحسـن، لأن السـامع أو القارئ لم يشعر فيه بمفاجأة الانتقال من مقدمة القصيدة إلى موضوعها.

**2- خاتمة القصيدة**[134]:

تناول النقاد الأقدمون خاتمة القصـــيدة ذاكرينَ شـــروط جودتها بأن تكون مُحْكَمة توحي بانتهاء الكلام وتكون قاعدة له، لأنها آخر ما يبقى في الأسماع. وهي نوعان إمَّا أن تكون جيِّدة فيها شروط ما سبق ذكره، وإمَّا أن تكون مفتوحة لا توحي بانتهاء الكلام. أما خواتيم القصـائد عند مسـكين الدارميّ فهي على ضـربين مفتوحة وجيِّدة، فالخاتمة المفتوحة ألم بها في غير قصيدة له، قائلا[135]:

لا تَـلُـمْـهـا إنَّـهـا مِـنْ نِسْـــوَةٍ * صَـــخِـبـاتٍ مِـلْـحُـهـا فَـوْقَ الـرُّكَـبْ

كَشَـــمـوسِ الـخَـيْـلَ يـبـدو شَـــغْـبُـهـا * كُـلَّـمـا قِـيـلَ لـهـا هَـالٌ وهَـبْ

فالشاعر وصف هذه المرأة بسوء الخُلُق وسرعة الغضب، بيد أنه ترك الخاتمة مفتوحة، يتوقع السامع أن يأتي الشاعر بشيء بعد هذا الوصف، فالنفس راغبة في مزيد من هذا الوصف.

ومن الخاتمة المفتوحة قول مسكين[136]:

قُـدورُ ابنِ حَرْبٍ كـالـجَوَابي وتَحْتَـهـا * أَثـافٍ كـأَمـثـالِ الـرِّئـالِ رُكُـودُ

تحدث الشاعر في خاتمته عن كرم ابن حرب وهو معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – غير أنها بدت مفتقرة لقُفْل يكون نهاية للكلام.

---

(134) للحديث عن خاتمة القصـــيدة وشـــروط جودتها، انظر : العمدة 239/1 وما بعدها، والطراز 183/3 وما بعدها، والصناعتين، ص 443 وما بعدها.

(135) الديوان، ص21.

(136) الديوان، ص40.

وحيناً تكون الخاتمة مفتوحة تفتقر إلى جواب الشرط، كما في قول مسكين[137]:

**فـإنْ يَـكُ ألـجـأنـي الـزَّمَـانُ إلـيـكُـمُ * حَبِيسَ المَوالي في الصَّـنيعـةِ وَالـذُّخْرِ**

فقوله (فإن يك ألجأني ...) يحتاج جواب شرط.

الضـرب الثاني من خواتيم القصـائد عند مسـكين كان جيّداً، أوحى بانتهاء الكلام فكان قُفْلاً له، وهاك مواضعه، يقول مسكين[138]:

**وإنِّـي سـألـقـى الله لَـمْ أَرْمِ حُـرَّة * وَلَـمْ تَـتَـمـنَّ يَـوْمَ سـرّ فـخُـنْـتُـهـا**

**ولا قـاذِفٌ نَفْسـي وَنَفْسـي بَريئـةٌ * وَكَيْفَ اعتـذاري بَعْـدَ مـا قَـدْ قَـذَفْتُهـا**

فالخاتمة جيّدة تضمنت صفات قمينة بأن يفخر المرء بها لا غَرْوَ فالنفس هنا بريئة من الآثام والخطايا.

لا ينفك مسـكين يختم جُلَّ قصـائده بصـفات الفخر ذاكراً صـبره ورباطة جأشـه حين تنزل به الهموم والأحزان، قائلاً[139]:

**لـم يَجْعـلِ اللهُ قَلْبي حِينَ يَنْزِلُ بي * هَمٌّ تَضَـيَّقني ضَـيْقـاً ولا حَرَجـا**

وتارة يختم مسكين بعض قصائده متحدثاً عن تجاربه في الحياة وسبره أغوار الناس، ذاكراً أن الشَّرَّ يبدأ من صغار الأمور ثم يستطير، قائلاً[140]:

**وَلَـقَـد رَأَيْـتُ الشَّـرَّ بَـيْـنَ * الـحَـيِّ بْـدؤه صِـغَـارُهْ**

**فَـلَـو أَنَّـهُـمْ يـأسـوْنَـهُ * لـتَـنَـهْـنَـهَـتْ عَـنْـهـم كِـبَـارُهْ**

ومما تقدم ذكره من خواتيم القصـائد عند مسـكين يتضـح أنه ألم بشـروط جودة الخاتمة في جُلِّ خواتيم قصائده موحية بانتهاء الكلام باقية في الأسماع، وإن بدا بعضها مفتوحاً مفتقراً لشروط الجودة.

**د– وحدة القصيدة[141]:**

---

(137) الديوان، ص64.

(138) المصدر السابق، ص29.

(139) المصدر السابق ص31.

(140) المصدر السابق، ص47.

(141) للحديث عن وحدة القصـيدة وضـروبها المختلفة، انظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 373 وما بعدها، وابن طباطبا العلويّ ،عيار الشعر ، ص 131 وما بعدها، والعمدة 117/2، وطه حسين ، حديث الأربعاء 31/1 وما بعدها، وشوقي ضيف، العصر الجاهلي ، ص226، وحسين عطوان، مقالات في الشعر والنقد ،ص215.

في بعض قصائد مسكين وحدة شعورية، أي يسيطر على القصيدة شعور واحد، ولاسيما شعور الفخر، وأول هذه القصائد قصيدته التي مطلعها[142]:

رُبَّ أُمـورٍ قـد بَـرَيْـتُ لِـحـاءَهـا * وقَوَّمـتُ مِنْ أَصـــلابِـهـا ثُمَّ زُعْتُـهـا

سيطر على القصيدة شعور واحد وهو إبراز صفاته وشيمه الخُلُقية الجَمَّة من إبائه الهوان، وإصلاحه المال، وعفته وكرمه، وصَـفْحه حين تقيأ أحد الأقارب أيَّما إسـاءة بحقه، بيد أن الشـاعر وطَّن نفسـه على الإحسان مجنباً تلكم الإساءة، ذاكراً أنه سيلقى ربَّه ولم يُتهم أو يقذف حرة من النساء.

يقول [143]:

أُقيمُ بـدارِ الحَرْبِ مـا لَمْ أَهِنْ بهـا * فـإنْ خِفْـتُ مِنْ دَار هَوَانـاً تَرَكْتُـهـا

وأُصْـــلِحُ جـلَّ المـالِ حتَّى تخـالَني * شَـــحيحـاً وإنْ حَقٌّ عَراني أَهنتُـهـا

وعَوْرَاءَ مِنْ قِبَلِ امرئ ذي قَرابة قَرابَـةٍ * تَصَـــامَمْتُ عَنْها بَعْدَ ما قد سَـــمِعْتُها

رَجـاةَ غَـدٍ أَنْ يَعْطِفَ الرَّحِمُ بَيْنَنَـا * ومَظْلَمَـةٍ مِنْـهُ بجَنْـبي عَرَكْتُـهـا

وإنِّـي ســـألـقـى اللهَ لَـمْ أَرْمِ حُـرَّة * وَلَـمْ تَـتَـمـنَّ يَـوْمَ ســـرّ فـخُـنْـتُـهـا

ولا قـاذِفٌ نَفْســـي وَنَفْســـي بَريئـةٌ * وَكَيْفَ اعتـذاري بَعْـدَ مـا قَـد قَـذَفْتُها

وقصيدة أخرى فيها وحدة شعور، فخر فيها مسكين بكرمه وعفته إذ لا يُحدِّث زوجة صاحبه في غياب زوجها، ذاكراً قَطْعَه الصحراء المُقفرة بناقة سريعة، متحدثاً عن شرفه ومجده التليد، قائلاً[144]:

لا تَـجْـعَـلَـنِّـي كـأَقْـوَامٍ عَـلِـمْـتُـهُـم * لَـمّ يَـظْـلِـمُـوا لَـبَّـةً يَـوْمـاً ولا وَدَجـا

أَنـا ابنُ قـاتـلِ جُوعِ القَوْمِ قـد عَلِمُوا * إذا السَّـــمـاءُ كَسَـــتْ آفـاقَها رَهَجـا

وَلا أَرى صـــاحبي هِـجْـرَانَ زَوْجتـهِ * ولا أُحـدِّثُـهـا السَّـــوآتِ إنْ خَـرجَـا

أُديمُ خُـلُـقـي لـمَـنْ دامـتْ خَـلِـيقـتُـهُ * وأَمْـزِجُ الـحُـلْـوَ أَحـيـانـاً لـمَـنْ مَـزَجـا

وأَقْـطَـعُ الـخَـرْقَ بـالـخَـرْقَـاءِ لاهِـيـةً * إذا الكَوَاكِبُ كـانَـتْ في الـدُّجى سُـــرُجـا

مـا مـدَّ قَوْمٌ بـأَيـديهم إلى شَـــرَفٍ * إلَّا رأَوْنَـا قَـيـامـاً فَـوْقَـهُـمْ دَرَجـا

(142) الديوان، ص69.

(143) الديوان، ص27–29.

(144) الديوان، ص30–31.

ولمسكين قصيدة وصف فيها الصداقة والأصدقاء مُحذِّراً من صحبة الأحمق لما تجرُّه من شر مستطير، وهذه القصيدة تلم بوحدة الموضوع، إذ لم يخرج الشاعر فيها عن هذا الموضوع قِيدَ أُنْملة. يقول مسكين[145]:

**اتقِ الأَحْمَقَ أَنْ تَصْحَبَهُ * إِنَّما الأَحْمَقُ كالثَّوبِ الخَلَقْ**

**كُلَّما رَقَّعَتْ مِنْهُ جَانِباً * حرَّكَتْه الرِّيحُ وَهَناً فانْخَرقْ**

**وإذا الفَاحِشُ لاقى فَاحِشاً * فهُنَاكُمُ وافَقَ الشَّنُّ الطَبَقْ**

ومقتضب القول ألم مسكين الدارميُّ بوحدة الشعور في بعض قصائده ولاسيما قصائد الفخر، ثم إنه ألم بوحدة الموضوع في قصيدته عن الصداقة (اتق الأحمق أن تصحبه ...).

**المحور الرابع : اللغة والمعجم الشعريُّ :**

عُني اللغويون بعدد من الشواهد في شعر مسكين الدارميّ من ذلك قوله[146]:

**أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ من لا أَخاً لَهُ * كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سِلاحِ**

والشاهد فيه أن (أخاك) منصوب على الإغراء، وهو مكرر، يريد : الزم أخاك. غير أن هذا مما لا يحسن فيه إظهار الفعل عند التكرير ويحسن إذ لم يكرر، لأنهم إذا كرروا وجعلوا أحد الاسمين كالفعل، والاسم الآخر كالمفعول، وكأنهم جعلوا أخاك الأول بمنزلة الزم، فلم يحسن أن تدخل الزمْ على ما قد جُعل بمنزلة الِزم[147].

وقول مسكين[148]:

**وَقَد ماتَ شَمَّاخٌ ومَاتَ مُزَرِّدٌ * وأَيُّ كَريم لا أَبَاك مُخَلَّدُ**[149]

والشاهد فيه إضافة (أبا) إلى الضمير بدون اللام شاذة لا يُقاس عليها.

وقول مسكين أيضاً[150]:

**لحافي لحافُ الضَّيْفِ والبَيْتُ بَيْتُهُ * ولَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ**

---

(145) المصدر السابق، ص 77–78.

(146) المصدر السابق، ص33.

(147) خزانة البغدادي 65/3، وانظر: مُغني اللبيب ، ص288، والمقاصد النحوية 305/4، وشرح أبيات سيبويه 127/1.

(148) الديوان، ص37. ورواية الديوان، (وأيّ كريم لا أبالك يخلد)، وحينئذ لا شاهد في البيت.

(149) خزانة البغدادي 100/4.

(6) الديوان، ص69.

ورواية صدر البيت في خزانة البغدادي (لحافي لحافُ الضيف والبُرْدُ بُرْدُه) والشاهد فيه أن (أل) في البُرْد عند الكوفيين عِوَض من المضاف إليه، والتقدير: وبُرْدي بُرْدُه، وهو المناسب لقوله : (لحافي لحافُ الضيف)[151].

كثرت في شعر مسكين الدارميّ المترادفات، وحيناً يأتي بصفتين أو موصوفين قريبين من بعضهما، من ذلك قوله[152]:

**فَكانوا كَعَنْزِ السَّوءَ تَثْغُو لِحَيْنِها * وتَحْفِرُ بِاَظْلافِ عَنْ حَتْفِها حَفْرا**

فالحَيْن والحَتْف مترادفان، كلاهما بمعنى الهلاك.

وقوله[153]:

**فتَوَلَّيْتُ عَنْهُم وأُصِيبُوا * وَبَقائي عَنْهم شَنَارٌ وعَارُ**

فقوله (شنار وعار) بمعنى واحد، وإن كان الشنار أقبح العيب والعار.

وقوله[154]:

**ولستُ بأحي مِنْ رِجَالٍ رأَيتُهم * لكُلِّ امرئ يَوْماً حِمامٌ ومَصْرَعُ**

الحِمام والمصرع كلاهما بمعنى الموت.

أما المعجم الشعريُّ فالمراد به هنا أكثر الألفاظ التي دارت على لسان مسكين الدارميّ، فأكثر الألفاظ ذكراً على لسانه لقبه (مسكين) فقد كلف بترداده مراراً وتكراراً[155].

كما كلف بترداد ألفاظ الفخر والكرم مثل الخُلُق، المَجْد، حق الجار، الحياء، الخصب، الأضياف، القِرى، قاتل الجوع، المُعتفين، القُتار، لحاف الضيف، وغيرها من الألفاظ[156].

ولألفاظ وصف الشيب وبكاء الشباب حيّز في شعر مسكين مثل: رداء الشباب، إزار الشباب، لون القطن، شاب العِذَار، خِمار المشيب، شيب القذال[157].

---

(151) خزانة البغدادي 251/4.

(152) ديوان مسكين، ص52.

(153) الديوان، ص 55.

(154) الديوان، ص66.

(155) المصدر السابق، ص25. 58. 65, 73، 79.

(156) الديوان، ص26، 28، 30، 48، 49، 59، 60، 61، 64، 65، 77، 80، 84.

(157) المصدر السابق، ص46، 54، 83، 85.

والمعجم الشعريُّ عند مسكين حافل بألفاظ الأُخوَّة والصداقة[158]، وألفاظ الصدق[159]، ونقيضه الكذب، محذراً منه[160]، زد إلى ذلك ألفاظ الغَيْرة[161] ومكر النساء.

ولألفاظ الفخر القِدْح المُعلَّى بين تلكم الألفاظ وهو الغرض الرئيس عنده، وجلُّ هذه الألفاظ تُشـــكِّل المعجم الشعريَّ عند مسكين الدارميّ وهو معجم حضريٌّ في ألفاظه يبعد عن البادية وحوشيتها وخشونتها ، فبدت الألفاظ سهلة لا غريب فيها ولا وحشيّ.

**الخاتمة .....**

فيما يلي تلخيص نتائج القراءة الفنية في شعر مسكين الدارميّ المهمة:

1- في جانب الأوزان والقوافي لاءم مسكين بين الموضوعات التي طرقها والبحور الشعرية التي ركبها، جاعلاً الطويل في صدارتها والرجز في مؤخرتها من حيث الكثرة، ووُجِدَ عنده شيء يسير من عيوب القوافي كالإيطاء والإقواء.

2- أدت عناصر الموسيقى الداخلية دوراً مهماً في موسيقى البيت الشعريّ كالجناس ورد العَجُز على الصدر، والطباق والتكرار وغيرها.

3- التشبيه عند مسكين أبرز عناصر الصورة الشعرية، وهو تشبيه اقترن ب(الكاف) تارة و(كأن) تارة أخرى، وقد بدت صورة التشبيه واضحة القسمات والأجزاء، مُظهراً فيها شيئاً من الجودة الفنية رغم غلبة الحسيَّة عليها.

4- أما الاستعارة عنده فكانت تجسيمية تشخيصية جعلت من الأمور المعنوية أموراً حسيَّة. تنوعت الكناية عند مسكين وأكثرها كناية عن موصوف، وأقلها كناية عن صفة.

5- قَلَّت مقدمات القصائد عند مسكين، لأنه في الغالب كان يُباشر موضوعه دون التقديم له، لكنه قدَّم لبعض قصائده بمقدمة وصف الشيب وبكاء الشباب، وألم بحسن التخلص في قصيدته (إليك أمير المؤمنين رَحلتُها...) و (فإن يَبْلَ الشبابُ فكلُّ شيء...).

6- ختم الشاعر كثيراً من قصائده بخواتيم جيِّدة توفرت فيها شروط جودة الخاتمة، وبدا بعضها الآخر خواتيم مفتوحة افتقرت لشروط الجودة التي نصَّ عليها النقاد.

7- ألمَّ بوحدة الشعور في بعض قصائده ووحدة الموضوع في قصيدته عن الصداقة (اتق الأحمق أن تصحبه...).

---

(158) المصدر السابق، ص29، 33، 34، 50، 57، 64، 77، 78، 80.

(159) المصدر السابق، ص19، 22، 23، 65.

(160) المصدر السابق، ص19، 23، 26، 80.

(161) المصدر السابق، ص43،

8- أبرز الحديث عن اللغة والمعجم الشعريّ عند مسكين بعض الشواهد التي أوردها اللغويون والنحاة من شعره والترادف الذي شاع عنده وأكثر الألفاظ دوراناً على لسانه، وقد تمت الإشارة إليها في مواضعها.

**مصادر البحث ومراجعه**


القرآن الكريم

1- الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، مؤسسة عزالدين، القاهرة،1991م.

2- الأصفهانيّ، أبو الفرج ، الأغاني، طبعة دار الفكر، بيروت، (د.ت).

3- الأندلسي، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، 1382هـ = 1962م.

4- الأنصاريّ، ابن هشام ، مُغني اللبيب ، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1979م.

5- بروكلمان، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة: د.عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر، 1959م.

6- البغداديّ، خزانة الأدب ،تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.

7- التبريزيّ، الخطيب ، الوافي في العروض والقوافي ، تحقيق: عمر يحيي وفخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، ط3، 1399هـ = 1979م.

8- الجرجانيّ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، تصحيح وتعليق : محمد عبده، طبع دار المعرفة، بيروت، ط2، (د.ت).

9- الجرجاني، عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز، طبع دار المعرفة، بيروت، 1398هـ = 1978م

10- الجمحيّ، محمد بن سلَّام ، طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م.

11- حسين، طه ، حديث الأربعاء ، دار المعارف – مصر، ط2، (د.ت).

12- الحمويّ، ياقوت ، معجم الأدباء ، طبع القاهرة، 3157هـ = 1938م.

13- الحمويّ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، (د.ت) .

14. الخالديَّان، (أبوبكر محمد بن هاشم وأبو عثمان سعيد بن هاشم) ، الأشباه والنظائر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، طبع القاهرة، 1965م.
15. خلّكان، ابن خلّكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.
16. الدارميّ، مسكين ، الديوان ، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 200م.
17. دُريد ،أبوبكر بن دُرَيْد، الاشتقاق ، مطبعة السُّنة المحمدية، القاهرة، 1378هـ = 1985م.
18. الدينوريّ، ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، تحقيق: د. مُفيد قُميحة، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
19. الزركليّ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط14، 1999م.
20. السيرافي، شرح أبيات سيبويه ، دار المأمون ، دمشق، 1979م.
21. الطيب ، عبدالله ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، طبعة البابي الحلبيّ، 1955م.
22. عساكر، ابن عساكر ، تهذيب ابن عساكر ، تصحيح: عبدالقادر بدران، دمشق، 1329هـ .
23. العسكريّ، أبوهلال ، ديوان المعاني ، عالم الكتب، بيروت (د.ت).
24. العسكريّ، أبو هلال ، الصناعتين ، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ، وشركاه، القاهرة، 1371هـ.
25. عطوان ، حسين ، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر 1970م.
26. العلويّ، ابن طباطبا ، عيار الشعر ، شرح وتحقيق :عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ = 1982م.
27. العمريّ، أبوالفضل ، مسالك الأبصار ، سلسلة عيون التراث، 1988م.
28. عيَّاد، شكري ، مقالات في الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، 1970م.
29. العيني ، بدر الدين ، المقاصد النحوية، دار صادر، بيروت، (د.ت).

30. فرّوخ، عمر ، تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
31. القرطبيّ، بهجة المجالس ، تحقيق: محمد الخولي، دار الكتب المصـــرية، 1981م.
32. القزوينيّ،الخطيب ،الإيضـــاح في علوم البلاغة ، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
33. القيروانيّ، ابن رشـــيق ، العمدة ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، 1972م.
34. هلال ، محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر، (د.ت).
35. اليمنيّ، العلويّ ، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
36. اليوسـي، (الحسـن بن مسـعود) ، زهر الأكم في الأمثال والحكم ، تحقيق: محمد حجيّ ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، 1981م.

# صور من نقد الشعر السوداني الحديث وضعف التطبيق

## دراسة تحليلية تطبيقية

د. مصعب أبو بكر أحمد إسماعيل – كلية الآداب/ جامعة أم درمان الأهلية

**مستخلص**

يُعَدُّ التطبيق والممارسة النقدية، من أهم الطرق والوسائل التي يُرجى منها النهوض بالأدب والشعر ، ولهما الأثر العميق في ازدهار الشعر، وتعدد مدارسه لا سيما في العصر الحديث.

تناولت هذه الدراسة الدور الذي يقوم به النقد التطبيقي في النهوض بالشعر، وحول المردود السالب الذي ينشأ جرَّاء الإسراف في الجانب التنظيري الذاتي. فتناولتُ بعضاً من القضايا ذات الصلة الوثيقة في هذا الشأن، كقضية القِدم والحداثة باعتبارها واحدة من أهم القضايا، التي كان من الواجب أن تجد نقداً تطبيقياً كثيفاً؛ ليصبَّ في خدمة الشعر والأدب السوداني ورقعته وذيوعه. كذلك تناولت الدراسة بعضاً من صور النقد الذاتي لعدد من النصوص في فترات زمنية مختلفة ، كما أنها لم تغفل جهود بعض من النقاد في حقبة الستينيات، التي نعدها جهوداً قيِّمة كان يمكن أن تكون نواة وأساساً متيناً لانطلاقة نقدية تطبيقية سودانية . ولقد استخدم الباحث المنهج الوصفي في كتابة هذه الدراسة النقدية، وخرج بمجموعة من النتائج أهمها : ميل النقاد للجانب النظري الذاتي في نقد الشعر السوداني الحديث، وإهمال الجانب التطبيقي والممارسة النقدية مما أدى إلى تأخر الشعر السوداني في ناحية الذيوع والانتشار – عدم وجود سلسلة نقدية منتظمة في نقد الشعر السوداني، ووجود أشتات نقدية سرعان ما تزول ويزول صداها –ندرة المُؤَلف النقدي التطبيقي . ومن التوصيات: توسيع دائرة الدراسات النقدية التطبيقية – توجيه طلاب الدراسات العليا في البحث حول مفهوم التطبيق والممارسة النقدية.

**Abstract**

Applying and practicing criticism is consider as an important methods that expected to contribute to the advancement of poetry and art, both had deep impact on prevalence and refreshing of poetry different schools especially in the modern area. This study addressed the role of applying criticism on advancement of poetry and the negative feedback that resulted from excessive subjective theoretical aspect. Also the study addressed other related issues such as modernism and prehistoric, as one of the most important issues that should be subjected to intensive applied criticism, to led progression and advancement of Sudanese poetry and art.

The study corresponding addressed some subjective theoretical images for a number of texts in different periods; also it didn't neglect efforts done by some criticizers during 1960s which is consider as valuable efforts that could be strong starting point for launching Sudanese applying criticism.

The researcher used descriptive analytical approach for writing this study ; the researcher come up with the following important results: tendency of criticizers to subjective theoretical aspect and neglecting and development. Beside lack of organized criticism chain in Sudanese poetry a companied by existence of scattered critique here and there which lead to its disappearance very fast. Finally scarcity of applied critique books.

The study recommend widening the scope of research about applied criticism studies and encouraging or directing post graduate students to search on the concept of applying and practicing criticism.

**مقدمة**

إن الشعر السوداني في مختلف الحقب والأزمنة – لا سيما الحديث – لم يجد النقد الذي يوفيه حَقّه من الدراسات النقدية التي تمخر أغوار إبداعه، وتبرز جمالياته في حلقات نقدية متصلة ترسم ملامح تأريخه، وتحدد توجهات خُطاه، وتميز الغث من السمين. لا نجد سوى أشتات من الدراسات التي طرحها الأكاديميون هنا وهناك، ما بين الندوات الأدبية، ومؤلفات محدودة ، وفي وسائل الإعلام. ذلك على الرغم من ازدحام جامعاتنا بأساتذة أفذاذ من حملة لواء الأدب والنقد، عليهم وعلينا أن نعقد العزم لملء مكتباتنا بمؤلفات نقدية (تطبيقية ) في الأدب السوداني فأغلب الذي أُنشأ مال كُل المَيل للتنظير النقدي، مهملاً جانب التطبيق. ونحن نزعم أنه إذا ما ضَعُف التطبيق النقدي، ضعف الشعر وإذا ضَعُف الشعر ضَعُف المجتمع، بل أصبح مجتمعاً مشوهاً مُفَككاً هشاً. أضف إلى ذلك تأخر الشعر نفسه من ناحية الذيوع والانتشار والعالمية. وهذا ما يعيشه الشعر السوداني الآن، إذا ما قرنَّاهُ بمنظومة الشعر في المحيط العربي والإقليمي.

عليه آثرنا التطرق لهذه القضية ودراستها دراسة تحليلية، محاولين الكشف عن أسباب هذا التأخر، ولاسيما أنه ذو قيمة فنية عظيمة.

عرضنا في هذه الدراسة صوراً مختلفة من صور نقد الشعر السوداني منذ عشرينيات القرن الماضي وحتى منتصف السبعينيات، ذلك من خلال القضايا التي تناولها نقاد تلك الحقب كقضية القِدم والحداثة، أو من خلال ما وجههُ من نقد لبعض الشعراء والقصائد؛ ففيهما تتجلّى مزاعمنا وتتكشّف رؤيتنا. من خلال درس بعض من نماذج النقد التنظيري، الذي بيّنا فيها ماهيّة هذا النقد، الذي وُجد في حقبة العشرينيات، والذي طغى التنظير فيه على الممارسة النقدية التطبيقية. ومما هو مسّلم به أن التنظير لا يجسد الرؤية الحقيقية للنقد، أو كما قال الناقد صلاح فضل: "التنظير ضروري لاستيعاب النقاد لمستجدات التحولات النقدية لكن هذا لا يجب أن يصل إلى حد الإسراف".

أما القسم الثاني من الدراسة فخصصناهُ للطابع الذاتي، فدرسنا فيه نماذج تطبيقية من النقد في حقبة العشرينات وما بعدها، والذي وجدناهُ ما اختلف عن سابقه إلاّ أنه أوغل في الذاتيّة .

عليه: نحن في حاجة إلى التحليل النقدي بدلاً من الوقوف عند التكوينات النظرية، والتعثّر في الأسماء والمصطلحات، والإغراق في الأفكار والمبادئ والجدل حول مشروعيتها؛ فالعلاقة ما بين التنظير وما بين الممارسة يجب أن تكون علاقة جدلّية؛ لأنه من غير الممكن إنجاز ممارسة نقدية من غير منهجٍ واضحٍ، مثلما لا يمكن للمنهج النقدي أن ينجح من غير ممارسةٍ تامةٍ؛ فمهما بلغتْ النظرية من الانسجام ، فإنها لن تجد مشروعيتها إلاّ من خلال إمساكها بالموضوع الذي تنظر فيه ... وإن كان الإسراف في التنظير يفرز نتائج سالبة، فإن الإسراف في الممارسة النقدية التطبيقية الذاتية لا يختلف عنها ؛ لأن الممارسة النقدية إذا ما

غلبتْ عليها الذاتية تحولتْ إلى قناعات شـخصـية عند الناقد، فيترك لنفسـه الحرية في نقده للنص بحسـب استجابته وقناعته . لذا وجبت الموازنة ما بين الأمرين .

ونشـير هنا إلى أننا – بالرغم عن ذلك – فقد وجدنا بعض من النقد في تلك الحِقب بدا فيه شـيء من التعمق والحياد، إلاّ أنه ظل متمسـكاً بالجانب التنظيري، مهملاً الجانب التطبيقي . وهذا نحسـبهُ السـبب الرئيس في تأخر الشـعر السـوداني الحديث. ونسـأل الله العلي القدير التوفيق في هذا العرض دون إخلال بمقاصد النقاد، أو تقصير في منهج ، أو في أسلوب العرض.

**الطابع التنظيري**

تناول نقاد كثر الشعر السوداني الحديث ونقدوه في مطلع القرن العشرين، لكنه كان نقداً انطباعيا تغلب علية الذاتية ، لا تلمح فيه المنهجية إلا من طرف خفي؛ ذلك مرده لطبيعة الفترة التي عاشـتها الحركة الثقافية في السودان بصورة عامة، والحركة الشعرية بصفة خاصة . وإذا حددنا القول أكثر، واتخذنا من قضية القِدَم والحداثة نموذجاً، وما دار حولها من تنظير، سـيتبيّن النمط والآلية التي اتخذها نقاد تلك الحقبة هذا وبالرغم من اسـتسـلام ذلكم النقد وجنوحه للتنظير وعدم مرونته وتعدد مسـاحاته، وبرغم عدم محاولته الغوص عن بواطن جمالية، أو عوالم خفية في قضـية الحداثة، إلاّ أننا نعده جُهداً مُقدراً وحراكاً ثقافياً صـاخباً جعل من الساحة الأدبية السودانية – وقتذاك – مسرحاً نقدياً زاخراً .فهذا هو الناقد محمد احمد المحجوب يوجهه سهام نقداته لأنصـار الشـعر القديم قائلاً: (وليأذن لي شـعراؤنا الأماجد أن أقول لهم في غير فراغ أو مراعاة خاطر إن كل ما أُخرج لنا وظهر على القراء ما هو إلا تكلف وتخبط يقرؤه المرء فيخرج بلا طائل...، وأن الشـعر ليس صـناعة يتعلمها كل من شـاء لا يكلف ذلك إلا أن يعمد إلى بحور الخليل...، ثم يظل يلفق ويركب إلى أن يستقيم وزن البيت وعلى المعنى السلام فقد ضـاع ضحية بحور الخليل.....، وبعد أن يملأ الأرض طنيناً بها كأنها الفردوس الضائع لملتون ...).[1]

هنا تتجلّى النظرة وتتكشف أمامك الفكرة : المجددون يرون أن بحور الخليل أغرقت المعاني، وذهبت أمواجها بروح الشعر حيث لا تعمق ولا رقيق معانٍ تركزت الأشعار حول المدح والهجاء. ثم يأتيك رد أحدهم :

(زعمت أن بحور الخليل هي التي حدت بالتلفيق ولذلك وصفتها بالجفاف وهذا غير صحيح فالخليل لم يرد إلا صـحة الوزن، وأما المعاني التي تراها معدومة فإنها أساء استعمالها قائلوها...، وإذا أجاب الله دعوتك في بحور الخليل فمن أي البحور نسـتقي ؟ وهل في إمكانك توجد لنا بحراً نسـتمد منه أوزان الشـعر....، أم تريد أن يكون الشعر على نسق شعر الغربيين فيصبح شعراً ذا فواصل فقط؟).[2]

---

(1) محمد أحمد المحجوب ، نحو الغد، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، ط 1، 1970– ص 44.

(2)محمد أحمد المحجوب ، نحو الغد – ص 62 .

ونقول: إن نقد المحجوب جاء عاماً خالياً من التحليل الدقيق لنص ما أو قصـــيدة بعينها، وكذلك من تصدوا للرد عليه لم يحللوا قصيدة أو ينتقدوها، بل وضعوا انطباعهم حول القضية.

نحسـبُ أن هذا النوع من النقد لا يسـاعد في شـيء وإنما يكون نواة للجدل الذي لا يقدم ولا يؤخر في قضـية الشـعر، علماً بأن هذه الثورة وتلك الصـراعات بين –القدم والحداثة– كان لها الأثر العميق في انتشـار الشعر، واتساع مواعينه في العالم العربي، حيث ظهرت قوالب جديدة للشعر كشعر التفعيلة، والحر، والمنثور، كما ظل الشعر القديم صامداً ولكل جماله ومميزاته.

ومنه رأي الناقد حمزة الملك طمبل:

(عدم التكلف أو عدم رص الألفاظ رصـــاً ودعوة على تجاهل الأوزان والقوافي لأني لا أريد الموســـيقا المتكلفة بل أريد الموسيقا الموهوبة).[3]

وكذلك رأي الأمين علي مدني:

(حقّاً أن شعراءنا وأدباءنا لم يصلوا بعد إلى درجة الابتكار وهم الآن في دور التقليد)[4].

في قول طمبل حكم قاطع: أن شـعراءنا وأدباءنا مازالوا مقلدين لم يصـلوا مرحلة الابتكار، ولا نراهُ _ إن كان صـحيحاً – عيباً أو مسبة ، بل اتجاه ومنهج يعتنقه الشاعر ويلتزم سننه وفرائضـه ، فيظهر لنا جماله ، ويكشف لنا إبداعه ، إن كان الشاعر مقلداً أو مُجدِداً، فالعبرة في إحكام صـنعته ونبوغه، وإتيان أسباب تفوقه وخلوده . ثم يمضـــي في ذات المنهاج والعصـــبية في دعوته للتجديد ، والتي – في رأينا – نراها قد نجحت نظرياً وفشلت تطبيقياً ، إلاّ أنها لبنة غنية يمكن أن تتخذ أساساً قوياً للبناء والتطوير، يقول: (عندما شـعرت بميل نفسي إلى بحث الأدب السوداني وضعت نصب عيني غرضاً أسمى وهو المثل الأعلى للأدب ووجدت أن لهذا الأدب العالي طريقين أحداهما يمكن الوصـول إليه مباشـرة ، والثاني يوصـلنا إليه ... فقلت ألا يمكن أن نسير إلى هذا الغرض الأسمى ونختصر على أنفسنا هذه الأدوار التي يمر بها الأدب المصري بين قديم وجديد ... )[5].

هذا ومن النماذج التي نعدها من الجهود المقدرة ما صـــاغه الناقد بلة عبدالله مدني من نقد لعدد من الشعراء السودانيين في مختلف المدارس الشعرية، ومن نقد لعديد القضايا الأدبية في حِقب مختلفة في مسيرة تطور الشـعر السـوداني الحديث . يقول: (وقد بدأت هذه الحركة النقدية في العشـرينات خافتة الصـوت بادئ الأمر، ثم أخذت تقوى وتشـــتد، وكان لا بد لها أن تمر بعقبات تحد من تأثيرها على الجمهور)[6]. ومما

---

(3)حمزة الملك طمبل، الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه – مصر، المكتبة الرحمانية 1928م–ص 34.

(4)الأمين علي مدني، أعراس ومآتم، الخرطوم الطابع السوداني، ط ثانية،1974، ص 65

(5) حمزة الملك طمبل، الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه، ص 47.

(6) بلة عبدالله مدني ، تطور الشعر العربي في السودان ، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم ، 2010م ، ص 218.

يُتَعجب له أن تلك العقبات ما تنفك عاصـفة بالنقد التطبيقي السـوداني منذ ذلك الأمد وحتى اليوم، وإن كان بعضها قد زال بتطور العصر. وقد عددها الكاتب قائلاً:

- افتتان الجمهور بالشعر التقليدي افتتاناً جعل مهمة نقده عسيرة.

وهو بهذا اتفق مع ما ذكره الناقد محمد عشـري الصـديق: (إن الجمهور لا يزال جامداً كدأبه لا يحب الجديد الذي يهدم ما بنته الأجيال المتعاقبة الماضية وإنه ليقاوم جهد طاقته من يقول له إنه لا يفرق بين غث الشعر وسمينه )[7].

ثم أشـار الكاتب إلى العقبة الثانية: (إنه ملأ فراغاً كبيراً في نفس الأمة وهي تواجه انقلاباً ليس من السهولة ملؤه بغيره ...)[8] ثم عدد كثيراً مما رآه عقبات، منها : أساس التربية الأدبية اللغوية التي قامت على أكتاف كبار الشعراء التقليديين . فقد انتصر هنا لزعم الناقد إبراهيم الشوش: (... قد خلفت ذوقاً فنياً يصعب تغييره أو مساسه )[9] ومنه كذلك : (كان هذا الشعر نتاج معاناة وصراع مرير عبر تاريخ الأمة السودانية ارتبط بمشاعرها وتعمق في كيانها ، ولا يمكن التفريط فيه أو العدول عنه بسهولة ويسر )[10] لا نراها من العلمية أن تؤخذ القضية من هذه الزاوية الحادة ، وأن يكون المقياس مقياس تفريط او عدول، وليبدع كل ذي إبداع في مدرسته الشعرية التي ارتضاها، ولينفق على الساحة من سعته شعراً رصيناً غنياً عبقرياً . ثم ذكر الكاتب من العقبات: أن المجتمع السـوداني ينظر إلى النقد بحذر حينما بدأ، والناقد في نظرهم شـخص يريد التحطيم والتخريب ويحمل ضغائن شخصية ضد ما بناه الأجداد[11].

ذلك مرده لما ذكرناه آنفاً ، أن القضـية أُخذت في مبدئها من هذه الزاوية الحادة المتعصـبة بدائية في طرحها النقدي . وهذا ما دعا إليه الأمين علي مدني : (أنا شاعر والشعر قليل في نظري ... أنا شاعر أطير بأجنحتي الأثيرية في الفضاء محلقاً في سماء الحرية مترنماً بأناشيد الوقت منصرفة إذني عن أغنية الماضي ...)[12].

ويقول: ( لقد ذهب الآباء والأجداد إلي الأبدية فإنهم الآن لا يستطيعون أن يمدوا لنا يداً تساعدنا على آملنا وأعمالنا ، نحن لا نريد أن نقف على أنقاض مآثر الآباء والأجداد ولا نود أن نبني أبنيتهم ...)[13] فهو

---

(7) محمد عشري الصديق، آراء وخواطر، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية،1969 م، ص90.

(8) بلة عبدالله مدني، تطور الشعر العربي في السودان، ص 219.

(9) محمد إبراهيم الشوش، الشعر الحديث في السودان، قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم ط ثانية 1971م، ص 131

(10) نفسه، ص 132.

(11) بلة عبدالله مدني ، تطور الشعر العربي في السودان، ص 219

(12) الأمين علي مدني ، أعراس ومآتم، ص 14.

(13) المصدر نفسه ، ص 26.

بهذا يريد ألا تُقيّد حريته الشعرية بأي نوع من القيود، وقوله هذا جعل الناقد إبراهيم الشوش يصفه بالـــ التعميم والغموض والشطحات[14] .

ومنه قول المحجوب:

(فهو مثل الطيور يشدو طليقاً ** ويعاف القيود يأبى الأسارا

لا يطيق البقاء في الظلم حر ** عبقري لا يطيق انكسارا )[15]

ومنه أيضاً ما صاغه الناقد عبدالله الطيب :

(ضـــروب التجديد التي نراها الآن أكثرها غثاء وجفاء مما يدل على أنها افتراء ، كثرة امتلاء الطروس والصـــحف الســـيارة بأمثالها ثم خروجها كل الخروج عن عرف اللغة الفصـــيحة... وهي لغة ميراث لا يجوز التلاعب به ولا التفريط فيه إذ ذاك يفســـر الطريق إلى معرفة أســـراره ... وهذا دليل فســـاد من يدعي أن هذه الضـــروب التجديدية تطور وانعكاس لحال البيئة... وقد اقتدى عصـــر كامل بجيل شـــوقي وحافظ وكان كل أولئك أهل تجديد إلا أنه كان يخالطه عنصـــر الأعذار والاعتذار إلى الغرب... فكان التجديد مع صـــدوره عن رغبة صـــادقة وعن حسن نية أخذاً بسبيل أدت أخذ الأمر إلى تيهاء وخراب وضـــياع تداخلت عناصـــر التجديد والثورة وصراع المذهب الأيدولوجي بعد الحرب العالمية الثانية (1939–1945م)[16].

نشير إلى أنه لم يورد في مؤلفه – المرشد إلى فهم أشعر العرب – نماذج للأشعار التي لم يستحسنها والتي استحسنها، وجاءت مرافعته ودفعته عن الشعر القديم حادة وقوية اللفظ ملتهبة التراكيب والعبارات، عطفاً على عدم إيرادهُ نماذج ما اســـتحســـن أو اســـتقبح. كما عُني في نقده على الجانب اللغوي، تاركاً ما عداه من أسس التجديد، كالإيحاء والحوار والتصوير القصصي، والتعبير عن واقع الحياة البسيطة ، وغيرها . هذا إلى جانب أننا لا مانع لدينا في إدخال كلمات أعجمية في قاموس اللغة العربية بل كيف نمانع والقرآن الكريم نفســـه قد رفد قاموســـها بكثير من الكلمات، من مثل : ســـندس ، الســـجل ، الصـــراط ، المُهل ، وغيرها . هذا المنحى من النقد كان يمثل الجزء الأكبر من نقد تلك الحقبة التي نحســـبها من أهم الحقب في تاريخ الســـودان الأدبي، وكانت يمكن أن تكون قاعدة قوية تُبنى عليها أركان مســـتقبل الســـودان الأدبي، وترســـم على ســـمائها قســـمات فجره النقدي إن وجدت الناقد (المثالي) الذي يبين ويكشـــف ويوازن ويحلل ثم يحكم. ونحســـب أن هذا واحد من أهم أسباب التخبط والركود والتجذر النقدي التطبيقي الذي تعيشه الساحة السودانية اليوم؛ لم تُبنَ تلك القاعدة القوية الصلبة العلمية ، ولم تتوارثها الأجيال في امتداد طبيعي – كما حدث في كل الأقطار العربية –

---

(14) محمد إبراهيم الشوش ، الشعر الحديث في السودان، ص 135.

(15)علي المك، مختارات من الأدب السوداني ، ط الأولى دار التأليف والنشر جامعة الخرطوم 175، ص 114.

(16) عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج4، ص 661–662

إنما كانت ولم تزل : جماعة ما في فترة ما تحدث حراكاً نقديا تنظيرياً – قلَّ أو كَثُر – ثم تذهب لتأتي جماعة غيرها ....

ومنه ما صاغه الناقد عبد الهادي الصديق في تتبعه لخطوات الشعراء الذين أثروا في الساحة الشعرية ، وهو من أصحاب التيار الأقل تعصباً نقدهم، ولهم مرونة ، نحسبها أكثر فائدةً للأدب عن نقيضتها، ولاسيما في ناحية التعريف والتأريخ – كما ذكرنا آنفاً – يقول :

(وعند متابعتنا الأولى لتطور القصيدة العربية في السودان نستطيع أن نأخذ من هذه الدعوة الجوانب التي أثبتت وجودها والتي حددناها بما فرضته من ملامح التفرد للشعر العربي في السودان – فإذا كانت هذه الدعوة قد قامت في ظروف تاريخية أتاحت رواج وانتشار أبعادها للبحث عن الأصول المفقودة فإن نفس الظروف التاريخية قد تمخضت عن أحداث جديدة في منتصف الستينيات فلقد هبت رياح ثورة أكتوبر بالصحو الجديد وأعادت للشعراء الذين شاركوا فيها التفاؤل والاستقرار النفسي، وبعد اشتعال نيران الثورة انتظم الشعراء من جيل سَمّى نفسه بجيل الوعي في رابطة الشعراء الإكتوبريين).[17]

فعكس بهذا وجه الحالة التي كانت في الساحة السودانية وقتذاك وبيَّن كيف كان الشعراء يلهبون ضمير الشعب وضمير الأمة بعد ثورة أكتوبر عاد وقال إن رياح الأماني القومية مرت وكل شيء جامد في مكانه بل عاد إلى وصفه القديم من التشتت والفراغ وتساقطت الشعارات التي حملها الشارع السوداني للخروج من أزمته والخلاص، ولم يخرج الشاعر السوداني من تجربة أكتوبر بغير الأناشيد المستمدة من شعارات لم تجد طريقها إلى الواقع العملي فعاد الشاعر إلى البحث من جديد، فاختلفت الاتجاهات واختلطت بينما ظلَّت عيون الشعراء مشدودة إلى الأفق تسأله عن أصول الشعر السوداني.

وأجاب:

(فكانت آخر الحركات الأدبية التي نشأت في سبيل البحث عن الأصول والتي اندرج تحت لوائها معظم الشعراء هي حركة (أباداماك) التي نشأت في أواخر الستينيات وقد سميت هذه الحركة الأدبية بابا باداماك الإله الأسد إله الحرب والصحراء في مملكة مروي القديمة وكان رمزاً للرجعة بالإمكانات المادية والروحية التي أقامها أجدادنا بعد أن نزحوا للداخل تحرراً من الحضارة الفرعونية واتخذوا هذا الإله الأسد بدلاً عن آمون الحمل النيلي الوديع وكانت مرحلة أباداماك أول مرحلة تظهر فيها آثار التكوين الفكري والثقافي السوداني)[18].

(17) عبد الهادي الصديق،أصول الشعر السوداني، ص164

(18) عبدالهادي الصديق – أصول الشعر السوداني – ص164،165

بمعنى كانت حركة الأدباء الشبان هذه محاولة للبحث عن الأصول عن طريق هذه التسمية الحضارية العميقة، وقد انعكس هذا البحث عن الأصـــول في إنتاجهم الشـــعري الذي لازال تحت التجريب– كما أورد الكاتب– فلقد حاولوا القصـيدة العامية وسـخروا إمكانات الشـعر الشـعبي في القصـيدة الفصـيحة، وظلوا في أشعارهم يبحثون عن أشكال جديدة مستمدة من تلك الأصول التي ترجع لنشيد الإله أباداماك نفسه .

ثم قال الكاتب في هذا:

(فهل نستطيع أن نسمي هذا النشيد الديني شعراً؟ إذا لعدنا إلى السؤال الذي طرحناه في مقدمة بحثنا هذا حول إمكانية وجود شعر سوداني قبل الكلمة العربية.

وإن كنا قد أردنا أن يظل هذا الســـؤال مُعلَّقاً لأننا لا نملك مقاييس الإجابة عليه. لكننا نود أن يكون اعتباره حاضراً في بحثنا عن أصول الشعر السوداني)[19]

ولعله في قوله هذا لم يجافِ الحقيقة لأن ســـؤاله لا نقول ظلاً معلقاً، لكنه حاول أن يجد هذه الحقيقة الضائعة إن صح التعبير.

أما عن تأثير الشـعراء السـودانيين في السـاحة الشـعرية فقد أسـهب الكاتب في هذا وحدد كيف كان الشـعراء، وما الميادين التي كتبوا فيها وبماذا تأثروا ومن أين جاءوا بثقافاتهم في معالجة الأمور خصـوصـاً السـياسـية والتي كانت تعج بها السـاحة السـودانية وقد اكتسـب شـعراؤنا السـودانيون هذه الثقافة من الشـعراء المصـــريين والعرب، كالعراقيين وغيرهم وعرفوا منهم كيف يناهضـــون الاســـتعمار الأجنبي ويلهبون حماس الشعب.

ثم بين كيف تســـلم الشـــباب الذين تخرجوا في كلية غردون التذكارية راية الأدب والشـــعر وقتذاك واسـتطاعوا بانفتاحهم على العالم الخارجي أن يعكسـوا ما عرفوه من ثقافات وعلوم في أدبنا السـوداني وكيف تمردوا على المدارس الشعرية التقليدية وتمردوا على القوالب القديمة التي كانت مسيطرة على الساحة السودانية ورأوا أنها لا تعبر عن احتياجات المجتمعات وما تجيش به صدور البسطاء.

كذلك تطرق الناقد محمد عبد الرحيم للأدب السـوداني والشـعراء السـودانيين، الذي لم يختلف كثيراً عما أوردناه سالفاً؛ فقد جاء تناوله للشعر السوداني بذات السياق أعلاه لم يحفل كثيراً بالألفاظ والكلمات ووقعها أو جرسـها وما إلى ذلك من مهمات النقد . فتناول قصـائد بعض الشـعراء السـودانيين وهم (الأمين الضـرير– أحمد مدني– أحمد يوســف– أحمد الأزهري) ونشـــير إلى أنه قد تعرض إلى بعض الشـــعراء بالنقد اللاذع

(19) نفسه، ص166.

كالشاعر "عبدالغني" بقوله: (والقصيدة إلى شعر الفقهاء أقرب وهي لم تكن من الشعر الجيد فإنه لا يعزوك أن تجد فيها البليغ الحسن).[20]

أما الناقد السوداني عبدالحميد محمد أحمد فتحدث عن مضمون الشعر السوداني في فترة النضال ضد المستعمر في الساحة الشعرية فقال:

(تمخضت حياة الأمة السودانية عن كثير من النضال والكفاح والدفاع وذلك عبر الأجيال في وجه الدخيل أو المستعمر الخائن، والشاعر السوداني خلال معايشته للأحداث التي تثير فيه النخوة والنُعرة لا يجد مناصاً من الدفاع بقلمه، ودفاع القلم الحر لا يقل عن استعمال أحد أنواع السلاح, فقد كان حريصاً كل الحرص على سلامة كيان أمته إلى أقصى الحدود).[21]

وقد أشار إلى أن ليس للنضال أو الوطنية الصادقة تاريخ للبداية أو موعد للنهاية، فهو مرتبط بالحياة ارتباطاً لا فكاك منه، يحددها ويثير فيها الكوامن لتؤدي دورها بثقة وعزا ذلك لموقع السودان الجغرافي، وقد جعله عرضة للرائح والغادي وكل طامع ولو على البعد فاتجهت نحوه الأيادي(القذرة) – كما وصفها الكاتب– وامتدت إليه الأفكار الدخيلة، وصالت حوله خيول غربية همها التخريب. ويرى الكاتب أن النضال اتخذ الطابع الديني في أغلب الأحايين ثم تبدل واتخذ طابعاً وطنياً بحتاً يدافع عن التراب تحكمه البيئة وتوجهه إلى حيث يصيب الهدف وينال الغاية وقد عرض الكاتب بعض القصائد لعدد من الشعراء السودانيين الذين دافعوا بشعرهم عن الوطن ومنهم الشاعر محمد عمر البنا.

ونجد الكاتب قد أورد أمثلة لعدد من الشعراء السودانيين الذين كتبوا في النضال ومجابهة المستعمر ومنهم توفيق صالح جبريل.

وبعد ذلك انتقل الكاتب إلى وجه آخر في الشعر السوداني وهو(الغزل) فقال:

(يشغل الغزل في حيز الشاعر السوداني مجالاً كبيراً من غير أن يكون شاغله الشاغل أو يكون همه الأول، فالغزل حياة وجدانية يحيها كل شاعر إذن لا يخلو الشاعر– مهما كان قدره– من حاسة فريدة قد لا توجد في غيره، مهمتها عنده استشعار مواطن الجمال وبواطن الأمور)[22] هذا ما قاله عن الغزل عند الشاعر السوداني وقد دلل على قوله هذا بعدد من النماذج الغزلية. وفي قوله " أن يشغل الغزل حيزاً كبيراً في ضمير

---

(20) محمد عبدالرحيم، نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع, شركة الطبع والنشر الخرطوم، ج1، ص 820.

(21) عبدالحميد محمد أحمد، الشعر والمجتمع في السودان قراءة في الشعر السوداني الحديث والمعاصر دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 1407هـ ،1987م، الخرطوم السودان ص54

(22) عبدالحميد محمد أحمد، الشعر والمجتمع في السودان ، ص 79.

الشاعر السوداني دون يعطيه حقه في النظم... " أقول : إن كثير من الأغراض الشعرية لم تجد حظها عند الشعراء السودانيين ، وإن وُجِدت يكون فيها بعض النواقص، فنرى الناقد إحسان عباس مثلاً يقول:

(كان الاتجاه الجديد ثورة على الرومانطيقية ثورة استمدت أسبابها من طبيعة التقدم العلمي وخاصة ذلك التقدم البيولوجي الذي تمثل في نظرية التطور....).[23]

ولذلك نجد الحرب بين الرومانطيقية القديمة والكلاسيكية المستمدة جاءت باردة في السودان. لأن ثقافتنا كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصر فلم تحدث الثورة في التجديد بصورة موسعة إلا في العصر الحديث، عندما بدأ صدى البعثات التي أُوفدت إلى الخارج يصرخ في آذانهم ، ولم يكن متاحاً لمن سبقوهم أن يعرفوا ما يحدث من ثورات في العالم الخارجي جرَّاء التطور العلمي الذي حدث والذي تتنافى مبادئه مع مبادئ الخيال الرطب الذي كان فيه الرومانطيقيون. ومنه أيضاً تحدث الناقد إحسان عباس عن الرمزية قائلاً : (الرمزية رفعت من درجة الذاتية فقد توغلت داخل حقل الفن والخيال وقصروا كشوفهم على نواحي الفكر)[24].

بَيدَ أننا في السودان لم تصل عندنا الرمزية إلى هذا البعد والعمق والتشدد لأسباب أهمها: قلة المساكن التي يمكن أن تصب فيها الرمزية، وهموم الناس كان الشعر التقليدي كفيلاً بالتعبير عنها، لأن الشاعر السوداني أكثر الغوص في الجانب الاجتماعي أكثر من الجانب الروحي – كما رأينا ذلك عند الناقد عبدالحميد محمد أحمد– يقول إحسان عباس:(الانتفاضات التي حدثت في التجديد كان بعضها قصير الأجل: (قد تمثل بعض المدارس الشعرية فنجد بعضها عودة صريحة للكلاسيكية وبعضها يتناول بعض الرومانطيقيين...).[25]

وإذا قارنا هذا القول مع ما حدث في حركات التجديد في السودان نجدها قد أصابت بعض النجاح ، بل أحياناً أصبحت مدارس معروفة، وعلى سبيل المثال: المدرسة التي قادها الشاعر تاج السر الحسن ومن معه من الشعراء وكيف أنهم لم يحاولوا تحطيم الأساس الذي بنيت عليه مدرستهم. فنجد مثلاً روح الرمزية ظلَّت ثابتة عند أبي ريشة والتغير جاء في ميدانها إذ أغلب قصائده جاءت في الشكوى مثل قصيدة(العقاب الهرم) وغيرها.

أما الناقد عزالدين الأمين فتحدث عن ذات القضية بيد أنه نظر نظرة خاصة للأدب: (والأدب قوامه المبنى والمعنى كما يقول الأدباء، أما مبناه فيعتمد في تبيين قيمته على الذوق قبل كل شيء ولذلك فإننا مثلاً

---

(23) إحسان عباس، فن الشعر، دار الشروق، ط الرابعة، عمان، الأردن، ص49

(24) إحسان عباس ، فن الشعر– ص64

(25) نفسه المرجع – ص.72.

نجد الاختلاف اليوم واضحاً حول شكل الشعر الحديث وليس من بأس عندي في مثل هذا الاختلاف مع آرائي الخاصة فيه لأنه أيضاً حقيقة الاختلاف بين أذواق الناس.[26]

ونقول: قبل أن يؤثر الشاعر في الساحة الشعرية يجب أن يكون ذلك الشعر هادفاً ، وأن يكون الشاعر عميقاً في طرحه وفي تصاويره .

ومن خلال تتبعنا للحركة النقدية في السودان نستطيع أن نقول: إن هناك جهوداً بُذلت لتغيير هذه النظرة البدائية، وتلك الممارسات الذاتية في النقد. وبحلول منتصف القرن الماضي بدأت تظهر ملامح النقد الأدبي السليمة العلمية المنهجية، وجدناها عند الناقد عز الدين الأمين، حين تطرق لذات القضية لم يغالي ولم يتعصّب ، بل كان علمياً محضاً: (وإني أجلكم كثيراً أن تكونوا ممن يعتقد أن النقد يولد خصومة أو كسلاً في نفوس الأشخاص، بل وهو رائد لكل الأخلاق لا مسبب المِراء).[27]

هكذا كان حال النقد، بل لم يكن نقداً إنما آراء ذاتية مبنية على الذوق (لأن الانتقاد يقصد به ذكر العيوب والمحاسن على السواء)[28] فظهرت الفكرة النقدية الحقيقية بصورة واضحة جلية، وتوضحت مهمة الناقد ، إذ ليس هناك أهواء أو مؤثرات خارجية، أو ميول عاطفية أو أفعالٌ شخصية، بل يجب التعامل مع النص أو الأثر الأدبي وفق الأسس والمعايير النقدية المعروفة بإظهار محاسنه وعيوبه على السواء. دون تجريح أو مجاملة؛ لأن الناقد هو رمانة الميزان في مساحات الأدب المختلفة وخصوصاً الشعرية فيجب أن تتوفر شروط معينة في الناقد حتى يستطيع أن يقوم بدوره في انتشار الشعر وتطويره كما أسلفنا ، ولاسيما الناقد السوداني .

يقول عزالدين الأمين: (الناقد السوداني يجب عليه إثبات شخصيته وتزويدها بأحدث الآراء والنظريات لأن الفرق بين القارئ والكاتب ليس كبيراً)[29] عليه ، فإن المسألة ليست بالهيّنة لكنها فرض يجب الوصول إليه .

---

(26) عز الدين الأمين، مسائل في النقد وأصول النقد وتاريخه، شخصيات ونماذج نقدية، مكتبة وهبة، 14 ش الجمهورية القاهرة، ص10.

(27) عز الدين الأمين، نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، مطبعة جامعة الخرطوم، ط أولى1999م،ص60،59.

(28) نفسه المرجع، ص60.

(29) عزالدين الأمين، نقد الشعر في السودان، ص، 74

الطابع الذاتي... أما هذا القسم من الدراسة فنخصه للجانب الآخر من صور نقد الشعر السوداني ، والذي وجدناه قد حمل الطابع الذاتي في توجيه نقداته تجاه الآثار التي انتقدها ، مضعفاً بذلك دلالة التطبيق العلمي لنقد الشعر بصورة أسوأ عما عرضناه في القسم الأول من هذه الدراسة .

ومن أمثلة النقد الذاتي ما صاغه الناقد ابن راجا على صفحات جريدة الحضارة عام 1927م حيث نقد الشاعر حسيب وعاب عليه بعض أبياته وقال عنها إنها مسروقة والتي منها:

(همُ مزقوا عرضي لغيرِ جريرةٍ * وقضوا عليَّ بأنْ يطول سهادي) [30]

قال إنه قول الزناتي:(همُ ثلموا عرضي لغير جريرةٍ * سوى أنهم مني وإني منهمُ)[31] وأما البيت الثاني:

**يســـعيانِ في خفضـــي وأطلبُ رَفعهمْ * شَـــتـــانَ بَـيْـنَ مُـرادهـمُ ومُـردايِ**[32]

فقال عنه إنه قول الزهاوي:

**رمـتُ الـحـيـاةَ لـهـمُ ورامـو مـقـتـلـي * شَـتَـــانَ بين مرادهمُ ومـــــرادي**[33]

فكان نقده لهذه الأبيات في غير استقراء، بينما يكون النقد السليم للأعمال الأدبية أساسه الاستقراء الكامل، أما الاســـتقراء الجزئي فلا تُبنى عليه إلا الأحكام الجزئية. ثم الناقد محمد محمد علي الذي تطرق للموضوعات الجديدة التي تناولها الشعراء السودانيون في فترة التبرم والسخط والضيق بالحياة ومنهم الشاعر محمد سعيد العباسي والذي كتب مخاطباً الدهر قائلاً :

**(زد عتواً أَزْدَكَ مِنْ حُســـنِ صـــبري * واذِقْـنـي مِـنْ كـأسِ الـعَـذَابِ الأمِـرّ**

**لَسْـــتَ يا دَهرُ واجداً في شـــبا عزمي * فُـــلُـــولاً ولا قـــلامـــة ظُـــفُـــرِ**

**ولا تُـحـاوِلْ مِـنِـي مُـراماً بَـعِـيـداً * وأرضِ مـا شـــئـتَ بـالمَـذْلَـةَ غَيري**

**مـا مقـامي حيـث الســـحـاب قليـل * وبـقـائـي بـدارِ هـونٍ وقـهـرٍ**[34]

فما وجدنا من الناقد إلا الجانب الذاتي الذي اختص بالمضمون فقط . وقد سلك الناقد هذا المسلك في كل النماذج التي أوردها، يقول: (تغنوا في هذا الشـــعر بحب وطنهم والهيام به وجهروا بأنهم جنوده الذين

---

(30) جريدة الحضارة، 8 يونيو، 1927مالعدد 570 .

(31) المرجع نفسه، العدد 570

(32) نفسه، العدد 570

(33) جريدة الحضارة ،العدد 570

(34) ديوان العباسي مصر، ط ثانية ، 1961م ، ص 56.

يبذلون دماءهم رخيصــة في حياته.....).[35] واسـتدل على حكمه بأبيات لخليل فرح الذي ناجى فيها بلاده وهو على سفر:

**وَقَـفـاً عَـلـيَـكَ وأن أبْـدِتَ فُـؤادِي * سِـــيّـانَ قُرْبي فِي الـهَوَى وَبعَـادِي**

**لـك في الطبيعـة فِي الخَمـائِـلِ رَوعَـةٌ * وَعَليـكِ مِنْ سَـــحِـبِ الجَلالِ هَوادِي**

**إيّــهٍ فَـدَيَّـتـك يَـا بِـلادِي ألـفِـيّ * مَنْ حَـاضِـــرِ بَينَ القُلوبِ وَبَـادِي**

**فَـعَـلـى كـلا الـحَـالَـيـنِ نَـحْـنُ وَدَائِـعٌ * كَودَائِعٍ لَـك في السَـــحَـابَ الغَادِي**[36]

ومنه أيضاً ما صاغه حمزة الملك طمبل ووجّه فيه سهام نقده لأبيات الشاعر أحمد المرضي التي مدح فيها الزبير باشا :

**(وتـلـوح لـي بـيـن الـمـرابـع أبـرق * لمعـت كبـارق شـــعرهـا المتبســم**

**فشـــددتُ رحلي واتجهـت ميممـاً * جرعـاءهـا في جنح لـــــيـل مظلم**

**أخـذت تصـــوب نـاقتي كســحـابـة * أو أنها طـــــارت بريح القشـــــمم**

**طـوراً تـغـور وتـارة فـي هضـــبـة * حتى أنخـت على الجنـاب المكرم)**

يقول طمبل في نقده: (ونحن لا نعرف أين كان الشـيخ أحمد المرضـي عندما نظم هذه القصـيدة وكلنا نعرف أن وطنه الخرطوم وأن الزبير باشـا كان يسـكن الجيلي والمسـافة بينها سـاعة بالقطار ولا نعرف لماذا جشـم الناقة متاعب الأسـفار مفضـلاً ركوبها على ركوب القطار وليس بين الدار والدار إلاّ سـاعة من نهار ...)[37].

ويقول أيضا في نقده لقصيدة أحمد محمد صالح في مدح السيد عبد الرحمن المهدي التي وصف فيها مسكن محبوبته (زينب )، وبكى فيها ربعها العافي:

(وأول ما نعيبه عليه في هذه القصـيدة تقليده لنظامي العربي . القصـيدة مكونة من تسـعة وعشـرين بيتاً منها أحد عشـر بيتاً جعل مقدمتها زينب وربعها العافي المقفر، فمن هي زينب هذه وأين تقيم ، وفي أي زاوية

(35) محمد محمد علي ، الشعر السوداني في المعارك السياسية ،1821–1924، دار البلد الخرطوم 1999 ص31 .

(36) جريدة الحضارة ،8 يونيو 1927، ص333.

(37) حمزة الملك طمبل، الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه، ص28

من زوايا السودان يقع ربعها العافي المقفر لنحج أليه نحن أيضاً )[38].ومنه ما وجهه لقصيدة أحمد المرضي التي مدح فيها أحد نظار كلية غردون:

**(شرفتها فتراقصت أعطافها * فكأنها سمعت غناء المزهر**

مع أن هذا البيت فارغ فهو يؤدي إلى معنى سخيف لم يحب حسابه الشاعر، لان مصلحة المعارف إدارة حكومية لا أعطاف لها ... نفترض أنها تراقصت لما شرفها الممدوح ، لكن في منظر تراقصها ما يدعونا للسخرية والضحك لا إلى الإجلال والاحترام)[39].

نلحظ في كل نقد طمبل التطبيقي السخرية والأسلوب التهكمي، والتركيز عليهما ، مهملاً جوانب كثيرة من مشارب النقد التطبيقي ، كاللغة والموسيقا الشعرية والبلاغة وغيرها . أضف إلى ذلك أننا لا نجد حرجاً في طغيان المذهب الرومانتيكي على الشعر السوداني وقتذاك ؛ إذ أن موارد التثقيف حينها كانت مصبوغة بالصبغة الرومانتيكية الخالصة ، ولاسيما عندما دعت إليها الجماعات الشعرية الرافضة للتقليد في مصر وفي الوطن العربي ، عطفاً على أن المزاج العام في السودان كان تحت وطأة التغيرات التي اجتاحت المجتمع السوداني وهي التي: (هيأت لظهور هذا التيار وتغلبه على كل ما عداه )[40].

ومنه ما وجهه الناقد بلة عبدالله مدني لأبيات عشري الصديق التي وصف فيها الصراع الذي يعيشه مع نفسه المتألمة:

**(أتعبت جسمي الهزيل وراحت * تنتحي من مواطئ الجمر فرشا**

**قلت أرشُوكِ أية نفس علي * أنقذ الجسم من هزال تفشى**

**فأبت بل تذمرت ثم صاحت * لست من عنصر النفوس فأُرشى )[41]**

(... حين يحتد هذا الصراع لم يجد غير محاولة أن يرشوها لتنثني عن عذابها له ، ولكنها ترفض في قوة وإصرار ... كلمة فأُرشى تجعل المعنى غير مستقيم ولعله يقصد ليس من عنصر النفوس التي ترشى )[42].

ليست استقامة المعنى في كلمة " أُرشى " فحسب، بل في الفكرة برمتها، حيث اختار الشاعر للتخلص من تعذيب نفسه له سبيل الرشوة ، وهذا غريب غير مطروق ؛ إذ كيف سينجو بما ترفضه الروح ولا تستعذبه

---

(38) نفسه، ص 88.

(39) ن، ص 83.

(40) محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، بيروت دار الثقافة 1972، ص 180

(41) مجلة الفجر، المجلد الأول، عدد 1يونيو، 1934،ص 25

(42) بلة عبدالله مدني، تطور الشعر العربي السودان، " بتصرف" ص 216

الآذان. حتى إن كان أراد المبالغة فهي مستحيلة قبيحة . ومن النماذج الجيدة في هذا السياق ما صاغة الشاعر محمد أحمد المحجوب مشتكياً لواعجه النفسية وصراعه معها :

**(ويح قلبي وهو فرد * إذ يرى الجيش العرمرم**

**فيك ياحلو التثني * حينما تخطو وتقدم**

**حيثما تنبض فناً * في حلال وتحشم**

**في سمو حين تسمو * بين عيني وتعظم**

**حين ما تقتحم قدس الـ * قلب والحصن المحرم)**[43].

ومن ألم الذات والروح إلى ألم الوطن والحسرة على التراب . نراه أبدع قائلاً:

**(ياضيعة الوطن الذي أنصاره * قوماً يرون النصر في الخذلان**

**قوم يرون حياتهم في ذلهم * ويرون كل الخير في الإذعان**

**يتفاخرون بقربهم من حاكم * وبدسهم للفرد والأوطان**

**هذا زمانك يامهازل فامرحي * قد عُدّ كلب الصيد في الفرسان** [44]

ومنه ما صاغه الشاعر يوسف مصطفى التني:

**(وطني يعيث به العدو ولاترى * من دافع عن حوضه ورحابه**

**فإذا انبرى ليذود عن سودانه * البارع المقدام من كتّابه**

**لم يعدم الشر الدخيل جماعة * لترتل الأمداح في محرابه )**[45].

التمرد على الواقع واضح بيّن في هذين النموذجين، حيث انعكس بصورة واضحة الأثر في نفوسهم وطغى على أشعارهم، فكان الصدق والسمو، وكانت الإجادة ؛ لذا كانت ثورتهم على كل شيء تحدوها عاطفة جارفة ، وعدم رضا بالواقع ، والقلق من تفاصيل عالمهم ، وما يجمع به من أحداث[46].

هذا وقد عرض الكاتب اتجاهاً آخراً في الشعر السوداني الحديث، كان هذا الاتجاه ظاهراً قوياً في شعر حقبة السبعينيات من القرن الماضي، وهو: التسامح الديني ، الذي عاشته الساحة السودانية وقتذاك . يقول:

---

(43) مجلة الفجر، المجلد الثالث، عدد8، 16 يونيو1937، ص244

(44) محمد أحمد المحجوب، قصة قلب، دار الثقافة بيروت، ص14

(45) يوسف مصطفى التني، السرائر، القاهرة 1955، ص 20

(46) مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي في السودان، ص 210.

(وقد كان ذلك نتيجة لثورتهم على كل المظاهر السيئة التي يعاني منها مجتمعهم ومن بينها التعصب الديني ...)[47].ومنه أبيات للمحجوب:

(نبني بالائتلاف * آمالنا البعيدة
لا نعرف الخلاف * في الجنس والعقيدة
فالدين للإله * والمجد للوطن [48]

ومنه أبيات التجاني يوسف بشير :

(آمنت بالحسن برداً * وبالصبابة نارا
وبالكنيسة عقدا * منضداً من عذارى
وبالمسيح ومن طاف * حوله واستجارا
إيمان من يعبد الحسن * في عيون النصارى [49]

فالتجاني هنا تعدى حدود الجغرافيا في العشق والهوى بغض الطرف عن ديانة المعشوق وجنسيته ، تلك هي روح التجاني التي جعلت منه رقماً يصعب الوصول إليه في عبقرية الشعر، وعمق التجديد . يقول الناقد مصطفى هدارة: (أن الذي قاد التجاني إلى ذلك شغفه بالجمال حيثما كان )[50].

أما الناقد عبدالمجيد عابدين فقد أشار إلى أن التجاني كانت له علاقة بفتاة نصرانية(5) ذلك الذي ساقه ليقول بهذا الكلام . يقول التجاني :

(وَجَنَ بك الهوى فَهُنا غَرير * عَلقت بِهِ ومن هنا حبيب
وتِلك وفي مَعاصِمها سِوار * وذاك في ترائبه صليب
يَرف عليهِ من بظَر ونعمى * معالم كُلها أَرَج وطيب
تفرعني الهوى فلكل عين * تَمُر عَلَيَّ في الدنيا نصيب )[51]

(47) بلة عبدالله مدني، تطور الشعر العربي في السودان، ص 270
(48) يوسف مصطفى التني، السرائر، ص 30
(49) التجاني يوسف بشير، إشراقة، ص 28
(50) مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، ص 275
(51) عبد المجيد عابدين، التجاني شاعر الجمال، مصر مطبعة السبكي، 1951 ص 275

في قوله " معصـــمها ســـوار " كناية عن الفتاة المســـلمة ، وقوله " ترائبه صـــليب " كناية عن الفتاة النصـــرانية، هذا يؤكد ما ذهبنا إليه أن التجاني شـاعر الجمال أينما وحيثما كان . وهذه الروح البريئة دائماً ما تتعب صـــاحبها، تجعله حبيس الذكريات، – ولا ســـيما الطفولة – باحثاً عن الراحة النفســـية والســـلام . يقول شاكياً معاناته في " الخلوة "

**(هبَّ مـــن نومـــه يدغـــدغ عينـــيه * مشـــيحاً بوجهـه في الصـــباح**

**ســـاخطاً يلعن الســـماء ومن في الأرض * مـــــن عـــــالم ومن أشـــباح**

**حنقت نفســـه وضـــــاقت به الحيلة * وأهتـــــاجـه بغيض الـــــرواح**

**طوَّفـت في خيـالـه ذكريـات الروع * وأعـــــتـاده مطيف الجمـــــاح)[52].**

ومنه ما صاغه المحجوب هارباً بطفولته وذكرياته من عالم العناء المادي إلى عوالم أخرى :

**(تارة يبكي وطوراً يلعب**

**أ ما تراه لا يبالي**

**يتمنى ، يرتجي يتدلل**

**يكتم الغيظ ، يظهر الحب**

**يطلب النجم ويبكي إن فشل)[53]**

كذلك سار على نهجهم الشاعر محمد أحمد عمر :

**(أتـذكر عمراً قضـــينـا ســـويـا * وعـهـــــداً أجـدده بـالـــــذكر**

**أتـذكر عـهـداً رعتـه القلـــــوب * جميـل الليـــــالي لـذاك الخبـــــر**

**أتـذكـر قـلـبـاً رقـيـق الشـــغـاف * وغصـــن شـــبـاب ذوى وأنصـــهـر**

**أتـذكر عهـداً تقضـــى حبيـــبـاً * ودهـــــراً تولـــــى ولم ينـــــدثر**

**فـتـلـك الأيـام تـزيـن الـفـــــؤاد * وتـحـيـي الـنـفـوس وتـزهـي الـبصـــر**

**وتـلـك الأيـام عـزاء الـجـريـح * وتلـك الأيـــــام دواء الحســـــر**

**ألاّ فـاذكر لـيـــــالـي وصـــالـي * ذكرتك شـــجـــــواً قبيل الســـحر )[54].**

---

(52) التجاني يوسف بشير، إشراقة، ص 73

(53) مجلة الفجر، المجلد الأول، العدد 16، 1935م، ص 718

(54) مجلة الفجر، عدد 24، ص1141

وعلى الرغم من أن تكراره لكلمة " أتذكر" التي ذهبت بثلثي جمال الأبيات إلاّ أن صدق العاطفة طغى فكساها نضرة . إلى جانب هذا فقد تطرق نقاد سودانيون كثر لقضية أخرى ولملمح آخر في الشعر السوداني الحديث، هو ملمح : القصص الشعري ، والقصص الشعري أسلوب قديم في الشعر العربي، توارثه الشعراء جيلاً بعد جيل ، وكانت لكل جيل بصمته وخصائصه الفنية فيه . أما في السودان فقد برز هذا الاتجاه في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي. من نماذجه ما صاغه الشاعر خلف الله بابكر الملقب بـ " شيخ الغرام " يروي قصة غادة جميلة مغرورة بجمالها وشيخ كهل وقع في غرامها:

(خَطَرَت ببستانِ الغرامِ * وأقسَمت ألاّ تَهابه

وجنت كما شاء الهوى * ومضت كما تمضي السحابة

وغدت تتيه بحبها * والحب لم يحسب حسابه )[55]

نظر الشيخ هذا الجمال فلم يستطع إلاّ أن يداعبه :

(لمح الثياب بجسمها * من حيث لم تلمح ثيابه

ورأى نضارة وجهها * فأسالت الرؤيا لعابه

يهذي بقارعة الطريق * ولم يخف أهل الرقابة

ويلح إلحاح الشيوخ * لقُبلة تشفي عذابه

ذهب الغرام برشده * واستفحلت فيه الصبابة)[56]

فعاتبته الفتاة بعد أن تملكها الحياء :

يا أيها الفاني وما * بيني وبينك من قرابة

هذي (وفود الموت ) في * فوديك مسدلة حجابه

والقبر قد ناداك من * هذي الدنا فطرقت بابه

أضحى برأسك عابثاً * كرُّ السنين وقد أشابه

انا ماخلقت لأجل من * عاشوا أيام الصحابة

يا أيها الشيخ أرعوي * واربأ بنفسك أن تعابه)[57]

---

(55) مجلة الفجر، عدد 8، 16 سبتمبر 1934، ص 344.

(56) مجلة الفجر، عدد 8 ، 16 سبتمبر 1934 ، ص 345.

(57) المرجع نفسه، ص 345.

ويرد الشيخ أنه عابد الجمال وعاشقه :

**(أنا ذلك الشيخ الذي * عشق الجمال ولم يهابه**
**ربيت في حضن الهوى * ورضعت من ثدي الصبابة**
**وسبحت في جو الغرام * ولم أخف يوماً ضبابه**
**أما رأسي لو علمت بأموره * وبمن أصابه**
**ما كنت يا شقراء * إلاّ ذلك المرخي نقابه**
**أو ذلك الداني إليّ * لعلَّني أحسو رضابه**
**رأسي فديتك مسه * حب الحسان وقد أشابه)**[58].

وبعيداً عن المُثل العليا ورسالة الشعر الأخلاقية التي هي مذهبنا النقدي: فالأبيات فيها سرد لطيف وتسلسل أحداث جميل ، كما أن العبارات التي استخدمها الشاعر والمفردات جاءت موفقة في خدمة المعنى الذي طلبه ، من مثل : (الحب لم يحسب حسابه – أسالت الرؤيا لعابه – الشيخ كم جهل الدعابة – ويلح إلحاح الشيوخ – وغيرها ) هذا وقد شهدت التجربة الشعرية السودانية بعد ذلك تحولاً عظيماً، هذا التحول كان مَرَدُّهُ إلى أنَّ المجتمع السوداني والساحة الأدبية السودانية شهدا تقدماً في ضروب الحياة المختلفة ، تقدماً جعل الشعراء يهجرون المذهب الرومانتيكي الذي أصبح عندهم(تقليداً مملولاً يغلب عليه التأنق في الشكل والصور الخيالية الغربية ويبعد في مضمونه عن المشكلات الحقيقية وتصوير الطبقات بكل حياتها ومشاعرها).[59]

وقد انتبه عددٌ من النقاد السودانيين إلى هذا التحول، وبدأ نقدهم يتحلل من قيود الانطباعية والذاتية إلا أن هذا التحلل لم يكن تحللاً كاملاً، ولم يزل تلمح فيه سيمياء التنظير والانطباع . ومنهم الناقد عبدالهادي الصديق ، انتبه للتحول الذي ظهر في أبيات الشاعر عبد الله الطيب. فقال:

(لقد شَبّ عبدالله الطيب كشاعر عن قاعدة دينية عريقة ظلت ترعى أصول الثقافة العربية الإسلامية دهراً طويلاً ولقد تلقى الشاعر ثقافته الشعرية من عيون هذا التراث، إلا أنه قد تسنى لها الوقوف بالتيار الأجنبي للثقافة الغربية والذي بدأ يدخل تأثيره في الثقافة السودانية كما يمثل ذلك خريجو كلية غردون. وإنما اخترت تجربة الدكتور عبدالله الطيب في كتاب واحد من كتبه لأن الظروف قد أتاحت لي المرور من نافذة القطار بكل تلك الأصول فهو الشاعر الذي ألفناه عن طريق حفاظه على أصول الثقافة العربية في شعره..

---

(58) مجلة الفجر، عدد 8 ، ص 345.

(59) الدكتور محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان, دار الثقافة بيروت، لبنان، ص288.

وهو الذي اكتسب بعداً ثالثاً مع تخرجه في كلية غردون ثم سفره للدراسة في بلاد الفرنجة فامتزجت فيه كل تلك الثقافات التي غزت الثقافة السودانية ولقد وصل هذا الصراع بين الأصول المزدوجة قمته قبل مرحلة أصداء النيل حتى جاء في ذلك الديوان اختيار الشاعر للشكل الذي يكتب به).[60]

وعرض نماذج لما ذهب إليه . منها

**(فلَوّلا اصْطِحابِي عُصْبَةً باطَليلةَ * لَقْد قَادَ نَفْسِي لِلصلاحِ أَمِيرَها**

**ولَمْ أتخذُ مِنْ نَبعة السُوء خُلةً * يَمْزِقُني جُنْحُ الظَلاَم سَعِيرُها)**[61]

حتى يقول راجعاً للأصل الطيب:

**(تَمَنيتُ أَنَي فِي مَرَابع إِخْوَتي * ودَوَمةٌ ذاتُ السَيْل دَوىَّ خَرِيرهَا**

**وَتْمَزجُ أنوّاح السَواقي وتَسْقِني * لَدىَ النيل غَرَّاء الثَنَايَا بُدوّرُها)**[62]

فكان نقده التطبيقي ذاتياً حيث كان في مجمله شرحاً لهذه الأبيات: علق على الحالة الشعورية التي جعلت من الشاعر فريسة سهل اصطيادها.

ثم عرض أنموذجا آخر وهو : الشاعر محمد المهدي المجذوب ، متناولاً قصيدته : " غمائم الطلح " :

**(وحُفْرةٌ بُدخانِ الطَّلَح فَإغمَةٍ * تُنْدي الرَّوادفَ تَلْوِيناً وتَعْطِيرا**

**لَمحتُ فِيَّه ومَا أمْعَنتُ عَارِيةً * تَخْفَي وَتَظْهرُ مِثْل النَجمِ مَذْعُورا**

**مَدّتْ بَنَاناً بهِ الحنَّاءُ يَانَعَةٌ * ترُدُ ثَوَّباً إلى النَهْدِينِ مَحْسُورا**

**قَدْ لفَّها العِطر لفَّ الغَيّم مُنْتشِراً * بَدْرَ الدُجى وَرَوىَ عَنْ نُورِها نُورا**

**يزيّدُ صفرتها لَمْعاً وَجدَتها * صقْلاً ونَاهَدِها المَشْدُودُ تَدْوِيرا**

**أرْخَي الدُخَانُ لَها سِتْراً فَبعَّدها * كَدْرَة فِي ضَمِيرِ البحر مَسْجُورا)**[63] )

فكان نقده: وهذه القصيدة تناولت لمحة خاصة في حياة المرأة السودانية، وأن المجذوب أول من ارتاد هذا الأفق من الواقعية.

ومنه كذلك نقده لأبيات الشاعر محيي الدين فارس:

**(لَمْ أكرَهَ الأبيضَ لكَنَني كَرِهتُ مِنْه الصَفْحَةَ المُعتَمَة**

---

(60) عبدالهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، ص142،143.

(61) عبد الله الطيب، أصداء النيل، ص45.

(62) عبد الله الطيب ،أصداء النيل، ص143.

(63) عبدالهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، ص150

**فَلونُه كَلونِ قَلْبي وَفي كَفيَّه كَفِّي غنوة ناعمة**
**ومَنْ أقامَ الليل فِي أرْضِنَا مُعْصباً بِكفِّهِ أنجَمهُ)[64]**

ونقول: كل ما ذكره الناقد في نقده التطبيقي في هذه الأبيات لم يختلف عن النماذج السابقة، نقد ذاتي سياقي محض. فإذا نظرنا للبيت الأخير من هذه الأبيات مثلاً لوجدنا صورة إيحائية عميقة، حيث استخدم الشاعر مفردات ذات دلالة عميقة ، خدمت المعنى تماماً، وفي تعبير . "معصباً بكفه أنجمه" تجد صورة ناطقة عبرت عن واقع الظلم ومرارة معركة الاستعباد والتفرقة العنصرية التي عاشتها قارة أفريقيا. كما توافرت في هذه الأبيات أهم أسس القصيدة الجديدة: " الهمس بالشعر – الابتعاد عن الناحية الخطابية – الإيحاء – التعبير بالصورة – التصوير القصصي – الابتعاد عن التقريرية – تفاعل الشعور والعقل – الإنسانية – التحرر من الانغلاق البيتي

ومنه كذلك ما عرضه الناقد صلاح الدين المليك من نقد لأبيات الشاعر الحسين الحسن، منها :

**(حَبيبة عُمري تَفَشَّى الخَبَر * وَذاعَ وَعَمَّ القَرَى والحَضَرْ**
**وكَنْتُ أَقَمْتُ عَليَّهِ الحُصُونَ * وخَبأتَهُ مِنْ فُضُوّل البَشَرْ**
**صَنْعَتُ لَهَ مِنْ فُؤادي المهادَ * وَدَثرتهُ كَبدي المُنْفطِرْ**
**وَمِنْ نُوّر عَيَّني نَسَجْتُ الدِثَارَ * وَوَشَحتُه بنفيس الدُرُرْ**
**وَمِنْ حَولِهِ كَمْ تشبكت الضُلُوعْ * فَنَامَ غِريراً شَدِيدَ الخَفَرْ**
**وَكنْتُ أعلمْ أن العُيونْ * تقُولَ الكَثيرْ المُثيرْ الخَطِرَ**
**فَعلمتُها كَيَّف تَخْفِي الحَنينْ * تُداريه خْلَف سِتارِ الحَذَرْ**
**فَمَا هَمَسْتَه لأذِنِ النَسِيْم ولا * وَشْوَشْتَهُ لِضَوءِ القَمَرْ**

ولكن برغمي تفشي الخبر)[65] قال: (أما موضوع القصيدة والمفهوم العام لها فهو الاعتذار ولكن كيف اعتذر وأظهر الندم وطغت عليه في اعتذاره الحسرة المضنية وقد أشاع في القصيدة روح الاحتشام والعفة)[66].

وبعد ذلك قسم الكاتب الأبيات إلى مناظر وَهَمَّ بالتعليق والتحليل على كل منظر على حدا. فالمنظر الأول حوى الأبيات التي مطلعها حبيبة عمري تفشى، إلى قوله ومن حوله كم شبكت الضلوع) وقال: (يعلم

(64) نفسه ص158

(65) صلاح الدين المليك، صور من الأدب العربي، الدار السودانية ط 1، 1390هـ، 1912م،ص 100.

(66) المرجع نفسه، ص101

الشـــاعر الفتاة بحقيقة وقف عليها وهي انتشـــار خبر عنها وذيوع ذلك الخبر في كل مكان...، وهو خبر العاطفة وحقيقة الحب الذي نما في قلبه وأورق وأينع وأزهر ولم يكن الشـاعر يريد له الذيوع والانتشـار خوفاً على سيرة الفتاة وحفاظاً على قيم يحترمها لذلك اعتبر عاطفته شيئاً مقدساً ومحرماً سامياً.)[67] فلا هو بين مواضـع الإجادة ، ولا الضـعف ، شـرح نفسـية الشـاعر متنقلاً معه من منظر إلى منظر ومن إحساس إلى إحساس.

كذلك أبيات الشاعر الصافي جعفر الصافي من قصيدة : " أم الشهيد " لم تجد من النقد التطبيقي إلا ما هو ذاتي ، فكان لا يختلف عن الذي ذكر :

**(أخي أن ناحت الثكلى لترثي ابنها الألمع**
**وخطت بالأنين المر في تذكاره مقطع**
**ورددت الرياح الهوج قصة ذلك المصرع**
**وطاف الصمت بعد الريح حول ديارنا البلقع**
**شياه عند "حارتنا" على أعشابها ترتع**
**تمر بساحة الأحرار لا تدري ولا تسمع**
**وحول الحي أشياخ تراهم سجداً ركع**
**ودوى بعد صمت الموت في جنباتنا مدفع)**[68] )

نقول: إن الشـاعر ملتزم بتعاليم شـعر التفعيلة؛ فقد التزم بالقافية، وكان هنالك جرس موسـيقا .اسـتخدم الشاعر ألفاظاً أقرب إلى اللهجة العامية منها إلى اللغة العربية الفصحى مثلاً قوله (عند حارتنا) وأيضاً هنالك غموض في بعض المعاني مثل قوله: (شياه لا تدري ولا تسمع) تدري ماذا؟ وتسمع ماذا؟ أو ليس الشياه ليس لها عقل!. وكذلك قوله: (وحول الحي أشـياخ تراهم ركعاً سـجداً) نحسـب أن عبارة (حول الحي) لم تلبس المعنى الثوب الذي يناسـبه فقد يطرأ سـؤال: لماذا يصـلي الشـيوخ حول الحي؟ وهل هناك من يصـلى حول الحي؟.

أخيرا نقول: إن هناك الكثير من النماذج والنقدات لكن المقام لا يسـع ذكرها ، فآثرنا التنوع حتى نكون قد طفنا على حقب مختلفة في مسيرة النقد التطبيقي السـوداني ، والشـعر السـوداني الحديث . ولابد من ذكر حقيقية مهمة: (العرب أفضـل الأمم وحكمتها أشـرف الحكم . وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور وأن كل منظوم أحسـن من كل منثور من جنسـه في معترف العادة ... وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسـماع وتحرج عن الطباع ولم تسـتقر منه إلا المفرطة في اللفظ، فإذا أخذه سـلك الوزن، وعقد القافية تألفت أشـتاته

---

(67)المرجع نفسه ص102

(68)الصافي جعفر الصافي، عرائس المعاني، أنفاس العشية ديوان شعر، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ص19

وازدوجت فرائده وبناؤه، واتخذ اللابس جمالاً والمدخر مالاً فساد قرطة الآذان وقلائد الأعناق وأماني النفوس، وأكاليل الرؤوس يقلب بالألسن ويخبأ في القلوب مصوناً باللب ممنوعاً من السرقة والغضب).[69] عليه: لابد لنا من النقد التطبيقي العلمي المنهجي المثالي، وأن يكون النقد التفسيري مُوجّهاً، على ألاّ يطغى على النقد التطبيقي؛ ذلك أننا: (حين نملك زمام الحقيقة نستطيع أن نعبر عنها بوضوح، وأننا حين نجد الحقيقة غامضة في نفوسنا نلجأ إلى المجازات ، وأدهى من ذلك أن لا تكون لدى الناقد حقيقة يريد أن ينقلها إلى الآخرين فيهم وراء عبارات شعرية سابغة الذيول يجرجرها لإثارة الغبار).[70]

(69)ابن رشيق القيرواني, العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، 1934م، ص 59.

(70)إحسان عباس, بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ،ط4، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1978م، ص5

## الخاتمة ...

إن الأدب السوداني في جملته لم يخضع لما يستوفيه من الدراسات النقدية التي تسبُر أغوار إبداعه، وتبرز جمالياته في حلقات نقدية متصلة ترسم ملامح تأريخه، وتحدد توجهات خطاه، وتميز الغث من السمين. لا نجد سوى أشتات من الدراسات التي طرحها الأكاديميون هنا وهناك، ما بين الندوات الأدبية، ومؤلفات محدودة، ووسائل الإعلام . ذلك على الرغم من ازدحام جامعاتنا السودانية بأساتذة أفذاذ من حملة لواء الأدب والنقد، كان يجدر بهم – وبنا – أن يشدو العزم لملء مكتباتنا بعشرات المؤلفات النقدية في الأدب السوداني، بل المئات.

عليه: لا مناص من النقد التطبيقي؛ فهو السبيل الأوحد في ازدهار الشعر؛ ففي حقبة العشرينيات حتى منتصف السبعينيات – عُرض تحت عنوان الطابع التنظيري – من القرن الماضي، أحدث النقدُ حراكاً أدبياً كثيفاً في الساحة السودانية، على العكس مما هو حادث الآن، فقد انحسر النقد السوداني (التطبيقي ، والتنظيري ) انحساراً مخيفاً، وانزوى الناقد السوداني انزواءً لافتاً، أدى إلى نتائج عديدة. منها: لجوء المتلقي في تغذية عاطفته ووجدانه إلى أسطر ومفردات ودواوين الشعراء العرب" مصر، سوريا، لبنان" _ مع ذيوع الشعر العامي وانتشاره.

**المراجع :**


1. ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، 1934م.
2. الأمين علي مدني – أعراس ومآتم، ط ثانية، الطابع السوداني، الخرطوم 1974.
3. إحسان عباس – بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، ط4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1978م.
4. إحسان عباس – فن الشعر – دار الشروق، ط الرابعة، عمان، الأردن.
5. بلة عبدالله مدني – تطور الشعر العربي في السودان ، الخرطوم شركة مطابع السودان 2010.
6. التيجاني يوسف بشير – إشراقة، دار الثقافة بيروت، ط السابعة، 1980 .
7. جريدة الحضارة، 8 يونيو، 1927م، العدد 570
8. حمزة الملك طمبل _ الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه، مصر، 1928م.
9. ديوان العباسي، مصر، طبعة ثانية، 1961م.
10. صلاح الدين المليك – صورمن الأدب العربي، الدار السودانية ط 1، 1390هـ، 1912م.
11. الصافي جعفر الصافي – عرائس المعاني، أنفاس العشية ديوان شعر، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ص19.
12. عبدالله الطيب – أصداء النيل.
13. عبدالله الطيب – المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج 4، دار الفكر، بيروت.
14. عبدالهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار البلد، الطبعة الثالثة أكوبر 1989م.
15. عبد الحميد محمد أحمد – الشعر والمجتمع في السودان قراءة في الشعر السوداني الحديث والمعاصر، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى 1407هـ،1987م، الخرطوم السودان.
16. عبدالمجيد عابدين – التجاني شاعر الجمال، مطبعة السبكي، مصر 1951.
17. عزالدين الأمين – مسائل في النقد، أصول النقد وتاريخه، شخصيات ونماذج نقدية، مكتبة وهبة، الجمهورية القاهرة.

18. عزالدين الأمين – نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، مطبعة جامعة الخرطوم، الطبعة الثانية، 1999م.
19. علي المك _ مختارات من الأدب السوداني، ط أولى، دار التأليف والنشر جامعة الخرطوم، 1975.
20. محمد عشري الصديق – أراء وخواطر، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية الخرطوم، 1969
21. مجلة الفجر، المجلد الأول، عدد 1 يونيو، 1934.
22. مجلة الفجر، المجلد الثالث، عدد 8، 16 يونيو 1937.
23. مجلة الفجر، عدد 8، 16 سبتمبر 1934.
24. محمد أحمد المحجوب – نحو الغد، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، طبعة أولى 1970م.
25. محمد عبدالرحيم – نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع، شركة الطبع والنشر، الخرطوم.
26. محمد أحمد المحجوب – قصة قلب، دار الثقافة بيروت .
27. محمد مصطفى هدارة – تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1972م.
28. محمد إبراهيم الشوش – الشعر الحديث في السودان ، ط ثانية، قسم التأليف والترجمة جامعة الخرطوم 1971.
29. يوسف مصطفى التني – السرائر ، القاهرة 1955.

# المكتبة الجامعية ودورها في الإثراء الأكاديمي

د. أسعد عوض الله بين صالح التوم – أستاذ مساعد /كلية النصر التقنية منسق شؤون المكتبة.

**المستخلص:**

هدفت الدراســـة للتعرف على دور المكتبة الجامعية في الإثراء الأكاديمي، وتعرف على مفهوم وأهداف ووظيفة المكتبة الجامعية، والتعرف على مفهوم وأنواع الإثراء الأكاديمي، وتعرف نوعية خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة الجامعية. وأخذت عينة الدراســـة من عينة عشـــوائية من طلاب البكالوريوس وطلاب الدراســات العليا وأعضــاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعة الخرطوم وكلية النصــر التقنية وعددهم (150) فرداً، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي واستخدمت الاستبانة والمقابلة كأدوات أساسية في هذه الدراسة؛ وتمت المعالجة الإحصائية باستخدام برنامج التحليل الإحصائي (الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية)(SPSS)؛ وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها، تزويد المكتبة الجامعية طلاب البكالوريوس وطلاب الدراسات العليا والباحثين وأعضــاء هيئة التدريس بمصــادر المعلومات المختلفة، وكما تســاعد المكتبة الجامعية في الإثراء التعليمي والبرامج الأكاديمية، وتقوم المكتبة الجامعية بمساندة برامج التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع؛ وتوجد عدة مشـــكلات تواجه المكتبة الجامعية منها: عدم توافر اختصـــاصـــي المكتبات والمعلومات، وقلة الميزانيات والمعينات والتجهيزات اللازمة، وعدم توافر شبكة اتصالات حديثة، وضعف التنسيق والتعاون ما بين الوحدات المختلفة بالمكتبة الجامعية؛ وقد أوصـــت الدراســـة بالعمل على تقديم الخدمات المكتبية كالبث الانتقائي، والإحاطة الجارية والببليوجرافيا والتكشيف والاستخلاص، والعمل على إعداد وتأهيل اختصاصي المكتبات والمعلومات بالصورة المطلوبة، وإقامة الكورسات المستمرة والدورات التدريبية في مجال المكتبات، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة.

**Abstract**

The study aims to identify the University Library role in Academic richment. The study population consisted of (150) person, consisted Students of bachelor, post graduate and Staff members, in Faculty of Education University of Khartoum, And Elnasr Technical College, The study adopted the descriptive method.The research namely used questionnaire and interview to collect the data. The study used statistical treatments in program analysis (SPSS) Statistical Package for the

Humanities. The results of the study : The study indicated that using the university library fed and led to Students, post graduate, Researcher, Staff members, and other reach user to Information Resources As well as the use of University Library led to Education richment and support academic program. University Library employment has a positive impact in teaching programs, scientific research and society servers. revealed existence of some obstacles such as the lack of Information services in university library; lack of available specialists in the field of librarian and Information, shortage in the budgets , the necessary aids, modern communication network, and lack of concert, corporative between different university library Unites. recommendations, including use of the selective dissemination and current of Information services, bibliography, cataloging and abstracting services, develop and training session's specialists in the field of librarian and Information, there must be a regular workshops and training sessions in Modern Information technology.

**المقدمة:**

تفرض تحديات العصر الحديث على دول العالم ضرورة مجاراة التطور العلمي والتكنولوجي، كما أنها تضع على الدول النامية عبئاً مضاعفاً، حيث تحتم عليها مواكبة ذلك التطور، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال جيل واعى ومثقف ومتعلم ومتسلح بالعلوم والمعارف الحديثة. وتمثل المكتبة الجامعية ركيزة أساسية للتعليم والبحث وتنمية المجتمع وخير سند للنظام الجامعي وتنبثق أهدافها منه وتمد مجتمع الجامعة بكل مصادر المعرفة من خلال اقتنائها أو عن طريق المشاركة فيها، وتولى الدول المتقدمة عناية خاصة بالمكتبات الجامعية ، حيث يقاس مستوى الجامعة وتطورها من خلال مكتباتها وخدماتها التي تقدمها.[1]

---

(1) ريا الفكي محمد أحمد، ونجاة أحمد محمد العوض. خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية ودورها في بناء وتنمية مجتمع المعرفة. أعمال المؤتمر (23) للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات(اعلم) بالتعاون مع وزارة الثقافة والفنون والتراث القطرية. تحت شعار (الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء المجتمعات المعرفية العربية) الدوحة قطر 18-20 نوفمبر 2012م، ص749.

والمكتبة الجامعية هي التي تنشـــئها وتديرها الجامعة لتقديم الخدمات المكتبية للطلاب وأعضـــاء هيئة التدريس والباحثين لتوفير ما يلزم من معلومات تفيد في البحث والدراســـة. وتعرف المكتبة الجامعية بأنها مؤسسـة علمية وثقافية تهدف إلى جمع وتنظيم واسـترجاع وبث مصـادر المعلومات بكل أشـكالها ثم تسـهيل وصـول الباحثين والمسـتفيدين إلى هذه المصـادر بأسـرع وقت وأقل جهد وأكبر دقة ممكنة. وتهدف الدراسـة للتعرف على مدى تحقق المكتبة الجامعية أهداف المؤســســـة الأم، ومعرفة مفهوم المكتبة الجامعية وأهدافها ووظيفتها، وكذلك التعرف على مدي مســـاهمة المكتبة الجامعية في عملية الإثراء الأكاديمي، وكذلك التعرف على أهم التحديات والمعوقات التي تواجه المكتبة الجامعية في تقديم خدمات المعلومات. وتقدم الدراســـة الجامعية مدي واسعاً من الموضوعات العلمية وأنماطاً من النشاط المصاحب فالطلاب مثلاً يتعلمون أساليب متقدمة في القراءة وكتابة المقالات والنصوص والإعداد للامتحانات والتعامل مع مصادر المعلومات المختلفة.

يري الباحث تأتى أهمية الدراسـة من خلال كونها محاولة للإسـهام في تطوير أنشـطة وخدمات المكتبة الجامعية، والوقوف على واقع خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية، وتسليط الضوء على مدى مساهمة المكتبة الجامعية في عملية الإثراء الأكاديمي. عليه تنبع أهمية المكتبة الجامعية من أنها تقوم بخدمات أخرى مهمة في العملية التعليمية والتربوية، وتســهم إيجاباً في التحصــيل الدراســي أو الأكاديمي لدى الطلاب؛ ألا وهو عملية الإثراء الأكاديمي والذى نحن بصــدد التطرق إليه في هذه الدراســة العلمية الهامة والحيوية. ولكى تحقق مؤسسات التعليم العالي دورها ورسالتها ووظيفتها فإن عليها القيام بدورها الأساسي في نقل المعرفة من خلال التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع. وبالتحديد فان الجامعات تقع مسؤوليتها في إعداد القوى العاملة تلبية لمطلوبات خطط التنمية، وبالتالي يمكن أن تقوم مؤســســات التعليم العالي من خلال الكليات والمدارس والمعاهد العليا والجامعات بدورها بشـــكل أفضـــل من خلال التطبيق العلمي والتوظيف الأمثل للمعارف والمعلومات؛ وذلك بتسخيرها في خدمة المجتمع لتحقيق أهدافه التنموية.[2]

**مشكلة الدراسة:**

تعد المكتبة الجامعية الشريان الرئيسي والقلب النابض والعمود الفقري لمؤسسات التعليم العالي، كما أنها تلعب دوراً كبيراً ومتعاظماً في عملية البحث العلمي إذ تقف في قمة الهرم بالنسبة للبحث العلمي خاصة، وتقدم خدماتها للطلاب والباحثين وأعضـــاء هيئة التدريس، وتســـتمد وجودها وأهدافها من الجامعة ذاتها، و بالتالي فإن أهدافها هي أهداف الجامعة ورسالتها هي جزء لا يتجزأ من الجامعة التي تتركز في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع. وفي ظل تزايد الطلب على التعليم الجامعي ودوره في تنمية وتطور المجتمع وكذلك

[2] عصام برير آدم. التخطيط التربوي والتنمية البشرية.ط1. العين. الأمارات العربية: دار الكتاب الجامعى؛2006م، ص201.

ما يشهده العصر الحديث من انفجار معرفي ومعلوماتي، تغيرت أهداف المكتبة الجامعية ومهامها ووظائفها وتغيرت مهام القائمين على أمر هذه المكتبات وأيضاً تغيرت تسمياتها، وتسميات القائمين عليها، فنجد المكتبات الرقمية، المكتبات الإلكترونية، المكتبات الافتراضية، والمحوسبة. كل هذه التغيرات فرضت على المكتبات الجامعية تحديات عديدة من أجل الحفاظ على دورها في خدمة البحث العلمي؛ ويبرز التحدي كيف يمكن أن تسهم المكتبة الجامعية في تقديم خدمات المعلومات بصورة فاعلة للطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس وغيرهم من المستفيدين، في إعداد بحوثهم العلمية بمختلف التخصصات، باعتبارهم الأكثر تردداً على المكتبات الجامعية، والأكثر حاجة لها ومن التحديات أيضا الانفجار المعرفي وتزايد الطلب على التعليم الجامعي والزيادة الهائلة في حجم المعلومات، وضعف طرائق التدريس التقليدية وبالتالي ضعف التحصيل الأكاديمي الذى ينعكس سلباً على مخرجات التعليم، ويتضح هنا دور المكتبة الجامعية التي يمكن أن تسهم في هذا المجال، عليه تبلورت مشكلة الدراسة من خلال التساؤل الرئيسي التالي:-

**- ما دور المكتبة الجامعية في الإثراء الأكاديمي؟**

**وتتفرع منه الأسئلة الفرعية الأتية:**

1. إلى أي مدى تحقق المكتبة الجامعية أهداف المؤسسة الأم؟
2. ما مفهوم المكتبة الجامعية وأهدافها ووظيفتها؟
3. ما مدى مساهمة المكتبة الجامعية في عملية الإثراء الأكاديمي؟
4. ما أهم التحديات والمعوقات التي تواجه المكتبة الجامعية في تقديم خدمات المعلومات؟

**فروض الدراسة:** قدمت الدراسة الفرضيات التالية:

1. هنالك تحقق لأهداف المكتبة الجامعية.
2. توجد عدة وظائف للمكتبة الجامعية.
3. للمكتبة الجامعية دور فاعل في عملية الإثراء الأكاديمي.
4. هنالك عده تحديات تواجه المكتبة الجامعية في تقديم خدمات المعلومات.

**حدود الدراسة:** تشمل حدود الدراسة الآتي:

أ. الحدود الموضوعية: وهى موضوع المكتبة الجامعية ودورها في الإثراء الأكاديمي.

ب. الحدود المكانية: في كلية التربية بجامعة الخرطوم، وكلية النصر التقنية، بمحلية أم درمان ولاية الخرطوم.

ج. الحدود الزمانية: خلال العام الدراسي 2019/ 2020م، وما حدث فيها من تطورات في هذا المجال.

**مصطلحات الدراسة:**

المكتبة الجامعية: هي عبارة عن مكتبة أو مجموعة أو نظام من المكتبات تنشـــئه وتدعمه الجامعة لمقابلة الاحتياجات المعلوماتية للطلاب وهيئة التدريس، كما تساند برامج التدريس والأبحاث والخدمات.[3]

الإثراء الأكاديمي: الأثراء الأكاديمي هو أسلوب ومنهج لكساب الطلاب أساليب معرفية موجبة.[4]

**الدراسات السابقة:**

1. دراســـة راكس(1995م)[5] بعنوان: أثر الإنترنت كأداة لتزويد قاعدة المعلومات والبيانات في المناخ التعليمي، وهدفت الدراســـة إلى معرفة أثر الإنترنت بوصـــفه أداة لتزويد قاعدة المعلومات والبيانات في البيئة التعليمية والمناخ التعليمي، واستخدم الباحث المنهج الوصـفي. من أهم نتائجها، يمثل الإنترنت مصـدراً مهماً للمعلومات التعليمية داخل حجرة الدراســة، كما يؤدى الإنترنت دوراً أســاســياً ومهماً في دعم العملية التعليمية للمعلم والمتعلم، ويسعى الإنترنت إلى تحقيق مبدأ التعلم المستمر لمدى الحياة، وكذلك يوفر الإنترنت حاجات المتعلمين في ميادين العلم والمعرفة المتعددة والحديثة لمتطلبات الدراسة المتعددة التي تسهم في حل مشكلات التعليم.

2.دراسة أبوبكر الهوش(2003م)[6] حيث أورد الباحث؛ عدة دراسات بالنسبة للوطن العربي، على أن الجامعات العربية بدأت تولى اهتماماً بقضايا تدريب المستفيدين وتأهليهم ودرجة إفادة المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات منها على سبيل المثال: الدراسة التي أجريت على طلاب جامعة الخرطوم، التي بينت أن حوالى (65%) من الطلاب غالباً ما يترددون على مكتبة الجامعة بهدف مذاكرة دروسهم؛ وأيضاً الدراسة التي أُجريت على طلاب جامعة بغداد والتي تبين منها أن حوالى(70%) من الطلاب لا يترددون على مكتبة الجامعة، وأن حوالى (47%) منهم يجدون صـــعوبة في التعامل مع مواد المكتبة وخدماتها؛ وكذلك الدراســـة الميدانية حول خدمات المكتبة المركزية بجامعة الملك عبدالعزيز لاستطلاع آراء الطلاب حول الخدمات التي تقدمها المكتبة المركزية والمشكلات التي تواجههم للاستفادة منها، وقد شارك فيها(185) طالباً قرر(60%)

---

(3) أحمد الشامي، وسيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض، دار المريخ، 1988م، ص1164

(4) محمد حمدان. معجم مصـــطلحات التربية والتعليم: عربي/ إنجليزي. عمان: دار كنوز المعرفة للنشـــر والتوزيع، ط1، 2006م، ص94.

(5).Rakes. g .Using the internet as atoll in resource-based learning Environment. Educational Technology,1995.

(6) أبوبكر محمود الهوش. التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات: نحو اســتراتيجية عربية لمســتقبل مجتمع المعلومات.ط2. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003م.

منهم أنهم يلجأون إلى أسلوب استعراض الرفوف للوصول إلى المادة المطلوبة في المكتبة، كما أشار (47%) من الطلاب أنهم يستعينون بموظف المكتبة، بينما أشار (28%) إلى أنهم يستخدمون بطاقات الفهارس، وقد أوصت الدراسة بضرورة توفير الخدمات الضرورية التي تمكن الطلاب من الاستفادة من المجموعات المكتبية.

3. دراسة عبد الغنى إبراهيم(2004م)[7] :بعنوان: أساليب اكتشاف الموهوبين والمبدعين ورعايتهم. وهدفت الدراسة إلى تسليط الضوء إلى برامج رعاية الطلاب الموهوبين والمبدعين من خلال برامج الإثراء أو(الإغناء التعليمي) والتسريع التعليمي وتفريد التعليم؛ وكذلك تعيين مجالات التفوق والإبداع والتعرف على برامج وأساليب اكتشاف الموهوبين والمبدعين ورعايتهم. واتبعت الدراسة المنهج المسحي. وتوصلت الدراسة لعدة نتائج أهما، ضرورة الاهتمام ببرامج رعاية الطلاب الموهوبين والمبدعين؛ مستعيناً بعده برامج من أهمها برامج الإثراء أو الإغناء التعليمي من خلال تقديم برامج إضافية للمتفوقين، إلى جانب المناهج العادية التي تهدف إلى التعمق في المواد الدراسية وذلك بزيادة المعرفة بالمادة المتصلة جوهرياً؛ وأيضاَ التوسع في المواد الدراسية أي توسيع دائرة معرفة الطالب بمواد أخرى لها علاقة جانبية بموضوعات المنهج؛ وتدريب المبدعين والمبتكرين على أساليب التقنية الحديثة لإحداث التقدم المنشود وقيادة التطور على أسس علمية وموضوعية وأهمية تكامل واشتمال المنهج الإضافي على أن يتضمن المواد المكتوبة والوسائل التعليمية المساعدة من أفلام وأشرطة وكتب ومواد تعليمية، والتركيز على المهارات وتوفير بيئة تعليمية مناسبة، والاستعانة بفريق متخصص من التربويين والمختصين لتربية ورعاية المبدعين والمتفوقين.

4. دراسة قاسم عثمان نور (2007م)[8]، بعنوان: دور المكتبات الجامعية المساند في برامج التعليم عن بعد وهدفت الدراسة للتعرف على دور المكتبات الجامعية وخدماتها في التعليم عن بعد، ومعرفة مراحل تطور المكتبات الجامعية ومقتنياتها وتجهيزاتها، والتعرف علي المكتبات الرقمية الافتراضية وتطورها ومميزاتها؛ ومعرفة مدى الاستفادة من الإنترنت وخدمات النشر الإلكتروني في التعليم عن بعد، والتعرف على أهم المشكلات التي تواجه الجامعات والمؤسسات التعليمية في إقامة المكتبات الرقمية، من أهم نتائج الدراسة؛ إن الملتحقين ببرامج التعليم عن بعد أكثر حوجه إلى الخدمات التي تقدمها المكتبات الجامعية مثل المراجع الأساسية والإضافية للمواد التي يدرسونها، وأوصت الدراسة على كل جامعة أو مؤسسة تعمل في برامج

---

(7) عبد الغنى إبراهيم محمد. أساليب اكتشاف الموهوبين والمبدعين ورعايتهم. مجلة دراسات تربوية بخت الرضا. المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، السنة(5)، العدد(10) ربيع الثاني 1425هـ-يونيو 2004م.

(8) قاسم عثمان نور. دراسة بعنوان: دور المكتبات الجامعية المساند في برامج التعليم عن بعد، مجلة دراسات في المكتبات والمعلومات بالسودان، الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2007م.

التعليم عن بعد إقامة مكتبة مركزية تضم المكتبة التقليدية والإلكترونية، وضرورة توظيف الفنيين والاختصاصين والخبراء والمختصين في مجال المعلومات والمكتبات، وتوفير الأجهزة والمعدات، ومساعدة المستفيدين في الحصول على المواد والمراجع المطلوبة، وتوفير خدمات التصوير والتجليد والهاتف والفاكس والبريد للرد على استفسارات وطلبات المستفيدين.

5. دراسة عبدالباقي يونس(2008م)[9]: بعنوان المستفيدون من خدمات البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية بمركز التوثيق والمعلومات بالخرطوم، وهدفت الدراسة إلي الوقوف علي فئات المستفيدين من خدمة البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية بمركز التوثيق والمعلومات بالخرطوم، واحتياجاتهم إلي المعلومات ودافعهم للبحث فيها والوسائل التي يستخدمونها في الحصول علي المعلومات، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي(دراسة الحالة)، والاستبانة والمقابلة والملاحظة كأدوات لجمع البيانات، من أهم نتائج الدراسة؛ إن فئات المستفيدين هم الباحثين العلميين والمهنيين والطلاب، كما أنهم متخصصون في العلوم البحتة والتطبيقية، أما دوافعهم للحصول علي المعلومات، فقد كانت هي إعداد البحوث العلمية ومتابعة التطورات الحديثة، وقد كانت استمارة الطلب ومساعدة أخصائي المعلومات، من أبرز الوسائل المستخدمة في الوصول إلى المعلومات، وقد أوصت الدراسة بتوفير قواعد بيانات في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، فضلاً عن تدريب المستفيدين.

6.دراسة إلهام عيسى(2012م)[10]:تناولت تقويم المناهج الإثرائية بمدارس الموهبة والتميز بالمرحلة الثانوية(ولاية الخرطوم). وهدفت الدراسة للتعرف على واقع المناهج الإثرائية بمدارس الموهبة والتميز بالمرحلة الثانوية(ولاية الخرطوم)، يتكون مجتمع الدراسة من معلمي ومعلمات المرحلة الثانوية بمدارس الموهبة والتميز، وتتمثل عينة الدراسة من عدد(52) معلماً ومعلمةً بمدارس الموهبة والتميز بولاية الخرطوم. اتبعت الباحثة المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات؛ من أهم نتائج الدراسة، اتفاق أهداف المناهج الإثرائية بمدارس الموهبة والتميز مع أهداف المرحلة الثانوية وأهداف المواد الدراسية واحتوائها على قدرٍ كافٍ من مستويات الأهداف المختلفة(معرفية، ووجدانية، ونفس حركية)، ومحتوى المناهج الإثرائية يسمح باستخدام أكثر من طريقة تدريس ويتصف بالشمول، واستخدام طرق التدريس والوسائل التعليمية في المناهج الإثرائية

---

(9) عبدالباقي يونس إسماعيل. المستفيدون من خدمات البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية بمركز التوثيق والمعلومات بالخرطوم. مجلة أبحاث ودراسات التدريب والمعلومات ، وزارة الداخلية، رئاسة قوات الشرطة السودانية، العدد(2) يوليو 2008م.

(10) الهام عيسى عثمان. تقويم المناهج الإثرائية بمدارس الموهبة والتميز بالمرحلة الثانوية "ولاية الخرطوم" جامعة الخرطوم. كلية التربية، رسالة ماجستير، 2012م.

تراعى الفروق الفردية لدى الطلاب، وقد أوصت الدراسة؛ على أن تشتمل طرق تدريس المناهج الإثرائية بحداثة المعلومات ومواكبتها للمجالات العالمية في رعاية الموهوبين، والعمل على حل المشكلات التي تواجه تنفيذ المنهج الإثرائي.

7. دراسة ريا الفكي؛ ونجاة أحمد(2012م)[11]: بعنوان: خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية ودورها في بناء وتنمية مجتمع المعرفة. هدفت الدراسة إلى التعرف على نوعية الخدمات التي تقدمها المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم والتعرف على أوجه الضعف والقصور فيها إن وجدت؛ كما هدفت إلى إبراز التغيرات التي حدثت في خدمات المعلومات نتيجة لاستخدام التقنيات، وتطرقت الدراسة لخدمات المعلومات بشقيها التقليدية وغير التقليدية، وتناولت الدراسة بالتحليل؛ خدمات المعلومات المقدمة من قبل مجتمع الدراسة، واستخدمت الدراسة المنهج الوثائقي للجانب النظري، والمنهج الوصفي بالتركيز على الدراسات المسحية للتعرف على الخدمة المكتبية المقدمة من المكتبات الجامعية، واستعانت بالتحليل الإحصائي لتحليل البيانات؛ من أهم نتائج الدراسة؛ على الرغم من الاهتمام الواضح بتقديم خدمات المعلومات من خلال أقسام خدمات المعلومات والاعتماد على الإحصاءات والمعايير إلا أن هنالك ضعف واضح في طرق تقديم خدمات المعلومات التقليدية مع عدم التركيز على خدمات مهمة مثل التسويق والتعاون بين المكتبات، أما بالنسبة إلى خدمات المعلومات المتقدمة فإن هناك تدنى واضح في تقديمها، وقدمت التوصيات التالية ؛ضرورة الاهتمام بعملية التخطيط لخدمات المعلومات، وذلك من خلال لجان عليا تقوم بعملية التخطيط على مستوى المكتبات الجامعية بالسودان، والاهتمام بتقنيات المعلومات من أجل تقديم خدمات المعلومات المتقدمة.

**التعليق على الدراسات السابقة:**

من خلال استعراض الدراسات السابقة يتبين أن تلك الدراسات قد تطرقت لموضوعات متعددة، بحيث تناولت العديد منها دور خدمات المكتبات ومراكز المعلومات في إثراء العملية التربوية والأكاديمية ومساندة البرامج التعليمية؛ وقد هدفت دراسة راكس(1995م) لمعرفة أثر الإنترنت كأداة لتزويد قاعدة المعلومات والبيانات في المناخ التعليمي، كما هدفت دراسة الهام (2012م) للتعرف على واقع المناهج الإثرائية للموهبين والمتميزين ، كذلك هدفت دراسة ريا؛ ونجاة (2012م) للتعرف على نوعية الخدمات التي تقدمها المكتبات الجامعية بولاية الخرطوم والتعرف على أوجه الضعف والقصور فيها إن وجدت؛ كما هدفت إلى إبراز

---

[11] ريا الفكي محمد، ونجاة أحمد محمد. خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية ودورها في بناء وتنمية مجتمع المعرفة. أعمال المؤتمر(23) للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات(اعلم) بالتعاون مع وزارة الثقافة والفنون والتراث القطرية. تحت شعار( الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء المجتمعات المعرفية العربية) الدوحة قطر 18–20 نوفمبر 2012م.

التغيرات التي حدثت في خدمات المعلومات نتيجة لاستخدام التقنيات. واتفقت دراسة كل من راكس(1995م) عبد الغنى(2004م)، والهام (2012م) ودراسة ريا، ونجاة (2012م) والدراسة الحالية، في استخدام المنهج الوصفي. وتوصلت الدراسات السابقة لعدة نتائج من أهمها: اتفاق أهداف المناهج الإثرائية للموهبين مع أهداف المرحلة والمواد الدراسية واحتوائها على قدر كاف من مستويات الأهداف المختلفة (معرفية، وجدانية ونفس حركية)، ومحتوى المناهج الإثرائية يسمح باستخدام أكثر من طريقة تدريس ويتصف بالشمول، كما أن استخدام طرق التدريس والوسائل التعليمية في المناهج الإثرائية يراعى الفروق الفردية لدى الطلاب، الاستعانة بعده برامج من أهمها برامج الإثراء أو الإغناء التعليمي من خلال تقديم برامج إضافية للمتفوقين، وإثراء المناهج من خلال التعمق في المواد الدراسية وذلك بزيادة المعرفة المتصلة بالمواد جوهرياً، وزيادة الاهتمام بالأنشطة الإثرائية في أثناء التدريس، وكذلك التوسع في المواد الدراسية أي توسيع دائرة معرفة الطالب بمواد أخرى لها علاقة جانبية بموضوعات المنهج، وضرورة تدريب المعلمين على إعداد المواد الإثرائية، وأهمية تعديل المناهج

إلى منهج إثرائي متطور. وتتميز الدراسة الحالية عن الدراسات الأخرى إذ أنها تعد المكتبة الجامعية الشريان الرئيسي والقلب النابض والعمود الفقري لمؤسسات التعليم العالي، كما أنها تلعب دوراً كبيراً ومتعاظماً في إثراء العملية البحث العلمي ومساندة البرامج الأكاديمية ، وتقدم خدماتها للطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس.

**الإطار النظري: المكتبة الجامعية المفهوم الأهداف والأهمية، والوظائف:**

**تمهيد:**

تعد المكتبة الجامعية من بين المرافق الحضارية التي من شأنها أن تلعب دوراً بارزاً في التحسين من المستوى الجامعي من جهة وتطوير البحث العلمي من جهة أخرى، وذلك تبعاً للتطورات التي عرفتها في وظائفها وأعمالها عبر مرور الزمن، فبعد أن كانت بدايتها مجرد مكان لحفظ الإنتاج الفكري، ووضعه وفي متناول الباحثين، أصبح عليها الآن التعايش مع متغيرات العصر، وصارت خلية نشطة، حية، متجددة، ومركزاً ضرورياً في عمليات حفظ المعلومات، وتنظيمها وتحليلها، ونشرها، على المستوى الجامعي.

**مفهوم المكتبة الجامعية:** هي مؤسسة علمية ثقافية تربوية اجتماعية؛ تهدف إلى جمع مصادر المعلومات وتنميتها بالطرق المختلفة(الشراء والإهداء والتبادل والإيداع ) وتنظيمها وفهرستها وتصنيفها وترتيبها على الرفوف، واسترجاعها بأقصر وقت ممكن، وتقديمها إلى مجتمع المستفيدين(قراء وباحثين) على اختلافهم من خلال مجموعة من الخدمات التقليدية، كخدمات الإعارة والمراجع والدوريات والتصوير والخدمات الحديثة كخدمات الإحاطة الجارية، والبث الانتقائي للمعلومات والخدمات الأخرى المحسوبة وذلك عن طريق كفاءات

بشـــرية مؤهله علمياً وفنياً وتقنياً في مجال علم المكتبات والمعلومات. وتعد مكتبة الجامعة مكتبة طلابية ومكتبة بحثية في ذات الوقت، فهي مكتبة طلابية لأنها تقدم الكتب والمراجع والمطبوعات والوثائق التي تخدم البرنامج الدراسـي وتشـجع عادة القراءة واسـتخدام المكتبة، كما أن مكتبة الجامعة مكتبة بحث أيضـاً إذ تقدم مجموعات مفرطة في التخصـص، كما تقدم المطبوعات التي تخدم الدراسـات العليا والبرامج البحثية والمهنية المتقدمة.[12]

كما عرف المعجم الموسـوعي لمصـطلحات المكتبات والمعلومات المكتبة الجامعية؛ بأنها عبارة عن مكتبة (أ) مجموعة أو نظام من المكتبات تنشـئه وتدعمه الجامعة لمقابلة الاحتياجات المعلوماتية للطلاب وهيئة التدريس، كما تساند برامج التدريس والأبحاث والخدمات.[13]

**أهداف المكتبة الجامعية:** تسـتمد المكتبة الجامعية وجودها وأهدافها من الجامعة ذاتها، وبالتالي فإن أهدافها هي أهداف الجامعة ورسـالة المكتبة هي جزء لا يتجزأ من رسـالة الجامعة، التي تختص في التعليم والبحث وخدمة المجتمع ولكي نحدد أهداف المكتبة الجامعية، لابد لنا أولا، من فهم عميق للدور الريادي الذي تلعبه الجامعة في المجتمع، الذي يمس الناحيتين الثقافية والتعليمية، من أجل خدمة أهداف الأمة القومية والاجتماعية والسياسية.

وأشـارت بروف الرضـية آدم(2001م) إلى إن المكتبات الجامعية من أكثر المؤسـسـات الفكرية التي تأثرت بتقانة المعلومات بحكم البيئة العلمية والحاجة الدائمة لتوفير البيانات، وهنالك رسـالة محددة تقوم بها المكتبة الجامعية على سند المعلومات؛ أذن رسالة المكتبة الجامعية علمية، ثقافية واجتماعية.[14]

***يمكن تلخيص هذا المضمون التربوي فيما يلى:**

1. التدريس:اعداد قوى بشرية متخصصة، مدربة ومثقفة.
2. البحث العلمي: إجراء البحوث العلمية، لمسايرة الركب الحضاري العالمي والإسهام في تقدم البشرية.
3. النشر: أي نشر نتائج البحوث العلمية التي يجريها الباحثون، وأعضاء هيئة التدريس.
4. خدمة المجتمع: ذلك بالتعرف على مشـكلاته واحتياجاته التنموية وإيجاد الحلول المناسـبة لها، وتبسيط نتائج البحث العلمي لتكون قابلة للتطبيق.

**وكذلك يمكن حصر هذه الأهداف في النقاط التالية:**

---

(12) أحمد أنور بدر. المكتبات ومراكز المعلومات النوعية ودورها في مجتمع المعرفة المعاصر. الإسكندرية: دار الثقافة العلمية ، 2009م، ص165.

(13) الشامي، وحسب الله، مرجع سابق، ص 1164.

(14) الرضية آدم محمد. المعلومات وإدارة المكتبات (ورقة عمل) مقدمة الى سمنار اتحاد المكتبات السوداني، 2001م، ص6.

1. النهوض بالحركة العلمية والبحث العلمي إلى ارفع مســـتوى، ومعدل تقدم متزايد لكل الراغبين من ذوي الكفاءة ضمن متطلبات خطة التنمية

2. تهيئة المعرفة وتعميقها وتطويرها وتعليم وتدريب الأفراد وتثقيف المجتمع وربط نشـــاط الجامعة بمتطلبات خطة الجامعة.

3. تلبية حاجيات الأمة بتزويدهم بالمتخصـــصـــين في جميع الميادين والمهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

4. إعداد الكوادر المتخصصين من الفئات التالية :الأساتذة الجامعيين والمفكرين والعلماء والمدرسين والباحثين العلميين .5.إعداد وتهيئة المتخصصين والفنيين في مختلف التخصصات التي تحتاجها عمليات التنمية الشـــاملة في المجتمع 6. إعداد المتخصـــصـــين اللازمين لتطوير الإنتاج والخدمات في مختلف التخصصات وتزويدهم بمستوى عال من المعرفة، والمهارات مع التدريب العلمي والتطبيق المنظم في مواقع العمل المختلفة، بما يتماشى والتقدم العلمي والتكنولوجي السريع للعصر الحديث

7. تنويع الدراســات العليا والبحوث العلمية والاختصــاصــات الفنية والتكنولوجية في ضــوء متطلبات التنمية، وتبعا للاكتشافات المتعاقبة والتقدم المتسارع للعلوم والتكنولوجيا في جميع مرافق الحياة

8. العمل الدائم على تحقيق التطور المتوازن بين العلوم النظرية وبين الجوانب التطبيقية منها

9. العمل أن تكون الجامعة مركز إشعاع خلاق للثقافة، يستقي القيم الاجتماعية والخلقية، ويصون القيم العربية والإسلامية الأصيلة

10. التوكيد على العلم كأداة ثورية في بناء المجتمع

11.تبسيط المعارف والعلوم المتقدمة ونشرها والإسهام بوجه عام في الترقية الثقافية للمجتمع والمساعدة على تطوره نحو مسؤولية عظمى لكل فرد

12. إتاحة فرص متكافئة في التعليم الجامعي لجميع المواطنين

13. العناية بالفكر الإنســاني العالمي المعاصــر، ضــمن الإطار التقدمي ، وتنظيم وتطوير التعاون الجامعي الدولي ، ولاسيما مع الجامعات العربية والصديقة.

**وظائف المكتبة الجامعية:** هنالك عدة وظائف متنوعة للمكتبة الجامعية إدارية وفنية من أهمها ما يلي:[15]

1. اختيار المواد المكتبية المختلفة والحصـــول عليها بمختلف الوســـائل وهذه المواد تشـــمل الكتب والدوريات.

[15] أحمد أنور بدر. المكتبات ومراكز المعلومات النوعية ودورها في مجتمع المعرفة المعاصر. مرجع سابق، ص165-166.

والمخطوطات وغيرها من المواد، وتنظيم وفهرسة تلك المواد وإعداد التسجيلات الببليوجرافية التي تحدد أماكن تلك المواد، و تسـجيل وترقيم تلك المواد لإثبات ملكيتها للجامعة ومكان وجودها ومصـدر الشـراء والاقتناء.

2. إعارة المواد وإتاحة معظمها للقراء والمجتمع الأكاديمي(فيما عدا بعض المراجع والمواد الخاصة).

3. توفير أماكن للقراءة والدراسة الخاصة بالنسبة للباحثين وطلاب الدراسات العليا، وتجليد وصيانة المواد

لضمان استخدامها للأجيال القادمة.

4.إرسـاء قواعد التعاون مع المكتبات والهيئات الأخرى التي تقتنى مجموعات علمية هامة يمكن أن يستفيد منها الباحثون.

وأضافت بروف الرضية(2001م) إن الوظيفة الأساسية للمكتبة الجامعية هي: "تجميع مواد المعرفة من كتب ومجلات ونشرات وصور وشرائح وأفلام و أسطوانات، مضافاً لذلك كل مستجدات تقنيات المعلومات الحديثة؛ ومن ثم تنظيمها وإعدادها إعداداً فنياً يسهل الوصول للوثائق والمعلومات بأسرع وايسر الطرق".[16]

**أهمية المكتبة الجامعية:** للمكتبة الجامعية أهمية كبيرة في التعليم الجامعي، تتمثل فيما يلي:[17]

1. تعريف الطلاب بمصادر البحث وأساليبه وإمكاناته.
2. تعليم الطلاب والباحثين كيفية استخدام المصادر والمراجع.
3. تعريف أعضاء هيئة التدريس بالمطبوعات الحديثة في مجالات دراساتهم وتخصصاتهم.
4. تشجيع البحث العلمي ودعمه بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس
5. تشجيع النشر العلمي من (بحوث ودراسات وكتب، وغيرها).
6. المساهمة في البناء الفكري للمجتمع.
7. حماية التراث والفكر الإنساني والحفاظ عليه وإتاحته للاستعمال.8. تعليم وإعداد كوادر بشرية متخصصة.

**مجتمع المستفيدين من المكتبة الجامعية:**

أصبح تدريب المستفيدين كيفية استخدام المكتبات ومراكز المعلومات ضرورة ملحة يفرضها عصر المعلومات، فالمستفيدون هم الحلقة النهائية من سلسلة انتقال المعلومات وجزء لا يتجزأ منها وهم الغاية

---

(1) الرضية آدم محمد. مرجع سابق، ص6.

(17) أحمد أنور بدر .أساسيات في علم المعلومات والمكتبات. الرياض: دار المريخ للنشر ، 1417هـ–1996م، ص 301.

الرئيسية لكل استثمار بهدف تحسين تخزين مصادر المعلومات ومعالجتها واسترجاعها ؛وهنالك عده شرائح تعتبر من مجتمع المستفيدين من خدمة المكتبة الجامعية نذكر منها:

أ. الطلاب بمختلف مستوياتهم الأكاديمية وتخصصاتهم العلمية.

ب. أعضاء هيئة التدريس في الجامعة

ج. الهيئة الإدارية في الجامعة من موظفين وعاملين في مختلف الدوائر الإدارية.

د. الباحثون في مختلف المجالات والموضوعات.

هـ. أفراد المجتمع المحلي.[18]

**أنواع المكتبات الجامعية:** تجمع المكتبات الأرصـــدة المعلوماتية التي تشـــكل غالباً من الكتب ومنها اشتقت تسميتها، وتنوعت المكتبات بحسب الجمهور الذي تخدمه، وعلى رأسها نجد المكتبات الجامعية التي تخدم المجتمع الجامعي المتنوع بطبيعته، الأمر الذي جعلها في حد ذاتها تتخذ عدة أنـواع، وضعت في هيكل تنظيمي من أهم أنواع المكتبات؛ المكتبات المركزية، ومكتبات الكليات، ومكتبات الأقسام أو المعاهد، ومكتبات المعامل.[19]

**المكتبة الجامعية في خضم الثورة المعلوماتية:** نحن نعيش في عصرنا الحاضر ثورة في حجم وتعقد المعرفة العلمية وهو ما يعرف باســـم "انفجار المعلومات" وأمام هذا الفيض الهائل من المعلومات والمعرفة الإنسـانية العلمية التي تزداد تخصـصـاتها وتعمقها وتعقدها الموضـوعي واعتماد فروعها بعضـها على بعض كذلك إزياد اللغات التي تنشـر بها أصـبح على المكتبة الجامعية أن تقوم بوظيفة جهاز المعلومات المتطور؛ وعرفت المكتبة الجامعية في الســـنوات الأخيرة تحولات عميقة، نتيجة للانفجار المعلوماتي وما تبعه من ابتكارات تكنولوجية، حيث أن المعلومات تتزايد يوماً بعد يوم والتكنولوجيا المرافقة لتسـييرها وبثها واسـترجاعها هي في تطور مسـتمر ، هذان العاملان أحدثا ضـغوطات كبيرة جعلت المكتبات الجامعية تبحث عن أنجح السـبل للتّكيف مع هذه المعطيات الجديدة ولمواجهة التحديات التي فرضـها العصـر. كل هذه العوامل أثرت بدرجات مختلفة على المكتبات الجامعية.[20]

**خدمات المعلومات بالمكتبات الجامعية:**

**أولاً: الخدمات التقليدية:**

**أ/الخدمات المرجعية:** تعد الخدمة المرجعية من أهم الخدمات التي تقدمها المكتبة الجامعية باعتبارها من الخدمات الشـــخصـــية التي تقدم للمســـتفيدين والتي تعاونت في الحصـــول على المعلومات عن طريق

---

أبوبكر أحمد الهوش، مرجع سابق، ص191-192.

[19] أحمد أنور بدر. المكتبات ومراكز المعلومات النوعية ودورها في مجتمع المعرفة المعاصر. مرجع سابق، ص155-159.

[20] نفس المرجع السابق، ص166-167.

مساعدتهم على الاستفادة من مقتنيات المكتبة، ويعتمد ذلك المقدرات التي يمتلكها المكتبي المتخصص وعلى الطريقة التي يؤدى بها هذه الخدمة. ويعرف العمل المرجعي بمفهومه الواسع بأنه يشمل كل ما يمكن أن يقوم به قسم المراجع لمساعدة المستفيد في الحصول على ما يحتاجه للإجابة على استفساره وطلباته.[21]

وتخصص بعض المكتبات قسماً للمراجع تكون مهمته الرد على استفسارات القراء وأسئلتهم المرجعية، وعندما لا يكون هنالك قسم خاص للخدمة المرجعية يقوم بهذا العمل كل موظفي المكتبة، ومع التطورات التي حدثت في مجال خدمات المكتبات تطور قسم المراجع ليتحول إلى قسم خدمات المعلومات.

ويمكن تلخيص خدمات المعلومات عاكساً التطورات التي حدثت في الخدمة المرجعية كما يلى: [22]

1. الخدمة المرجعية والرد على الاستفسارات.
2. خدمات تداول أوعية المعلومات.
3. إعداد القوائم الببليوجرافية والكشافات والمستخلصات.
4. خدمة الترجمة.
5. خدمة الإحاطة الجارية.
6. البث الانتقائي للمعلومات.
7. خدمة التصوير والاستنساخ.
8. النشر
9. تدريب المستفيدين.

**ب/خدمات الإعارة:** خدمة الإعارة تعنى جعل مصـــادر المعلومات في متناول من يحتاجها من أفراد المجتمع بغرض اســـتخدامها داخل المكتبة أو خارجها. وتعد من الخدمات المهمة والمباشـــرة التي تقدمها الجامعية إلى المستفدين والتي تتيح لهم الاستفادة القصوى من المواد التي تحتويها.[23]

**ج/الخدمات الببليوجرافية:** تأخذ الخدمات الببليوجرافية أهمية كبيرة من بين الخدمات المكتبية وذلك لأنها وسيلة مهمة من الوسائل المساعدة للوصول إلى مصادر المعلومات، ويقصد بالخدمة الببليوجرافية؛ تجهيز قوائم ببليوجرافية عن أوعية المعلومات وتنظيمها وفق قواعد معينة، ويمكن أن يتســـع النشـــاط

---

(21) إيمان فاضل السامرائي. الاتجاهات الحديثة في الخدمات المصدرية: خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات ، المجلة العربية للمعلومات، مج 16، ع1، 1995م، ص67.

(22) أحمد أنور بدر. المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات. الرياض: دار المريخ للنشر، 1985م، ص 180–181.

(23) ريا الفكي، ونجاة العوض، مرجع سابق، ص 752.

الببليوجرافى بحيث يشمل حصر إنتاج فكرى في موضوع معين، أو لغة معينة، أو لمؤلف معين، أو مؤسسة معينة، أو لفئة معينة من القراء والباحثين، وينتج عن هذه الخدمة مجموعة من وسائل استرجاع المعلومات مثل الفهرس اليدوي، الفهرس الآلي، الكشافات والمستخلصات، أدلة المواد السمعية والبصرية، الفهرس الموحد الذى يرشد إلى مقتنيات المكتبة الرئيسية.[24]

**د/ الخدمات الإرشادية والتدريبية:** نجد أن كل من الخدمات الإرشادية والتدريبة هدفها النهائي هو تقديم معلومات للباحث أو المستفيد، تساعده على الاستفادة من مقتنيات المكتبة، وتهدف الخدمة الإرشادية إلى معاونة المستفيدين على الوصول للمعلومات التي يطلبونها، وتختلف أشكال وبرامج إرشاد القراء من مكتبة جامعية إلى أخرى، حيث يتوقف ذلك على إمكانيات المكتبة في إعداد أسلوب هذه البرامج وطريقتها بما يتوازى وإمكانية القوى العاملة.[25]

وهناك عده مستويات لتقديم الخدمات الإرشادية فمثلاً قد تكون على شكل لوحات إرشادية أو كتيبات تعريفية، أو قد تكون على شكل برامج تدريبية تستغرق وقتاً طويلاً للقيام بها. وتضع بعض المكتبات مكتباً خاصاً في مدخل المكتبة يتولى تقديم الخدمات الإرشادية وتخصص بعض الموظفين للقيام بهذا الدور، وينشأ البعض الآخر مركز إحالة وإرشاد مهمته توجيه المستفيدين إلى المصادر الخارجية التي لا تتوافر في مكتبة الجامعة ويمكن اعتبار دليل المكتبة نوعاً من أنواع الأدلة الإرشادية.[26]

**هـ/ خدمات التصوير والاستنساخ:** تعد خدمة التصوير والاستنساخ من الخدمات المتميزة والتي تقدمها المكتبة الجامعية لجميع المستفيدين على اختلاف مستوياتهم، حيث أسهمت التطورات التقنية الحديثة في انتشار هذه الخدمة التي قد تكون على الورق أو على شكل مصغرات فيلمي. ويعتبر البعض أن خدمة التصوير خدمة مكملة لخدمة الإعارة وذلك لأن البديل المناسب لبعض المواد التي لا يسمح بإعارتها خارجياً(الكتب المرجعية والدوريات) تصويرها، ويكتسب التصوير أهميته بإعطاء الباحثين الفرصة للإفادة من جميع مقتنيات المكتبة.[27]

**ثانياً: خدمات المعلومات المتقدمة:**

---

(24) سالم محمد سالم. المكتبة الجامعية في المملكة العربية السعودية. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 5، ع 2، 1999م، ص13.

(25) سعد أحمد أسماعيل. خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: مع التركيز على تقويم خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل، مجلة اتحاد الجامعات العربية، 1988م، ص96.

(26) سالم محمد سالم. مرجع سابق، ص16

(27) ريا الفكي، ونجاه العوض، مرجع سابق، ص 754.

أ. الإحاطة الجارية والبث الانتقائي: الإحاطة الجارية من الخدمات التي تمد المستفيدين بالمعلومات الحديثة أو الجارية كل في مجال تخصصه، وتعرف بأنها تعريف المستفيد أو الباحث وإحاطته بالمعلومات الحديثة أو الجارية في مجال مهنته، وهى تتعلق بالمعلومات المنشورة حديثاً ثم اختيار المواد الملائمة لاحتياجات الباحثين أو المتخصصين، ثم إرسال بيانات عنها بمختلف وسائل الاتصال.[28].

وتُعني الإحاطة الجارية باختيار المواد ذات الصلة باحتياجات المستفيدين وإحاطتهم بها بغرض مساعدتهم في مواكبة المستجدات في مجال اهتمامهم، وذلك من خلال النشرات، وقوائم الإضافات الجديدة ، والاتصالات الهاتفية، والتعريف بالبحوث الجارية ، وغير ذلك من الوسائل الأخرى.

وتعرف الإحاطة الجارية بأنها؛ معرفة التطورات الحديثة عن أي فرع من فروع المعرفة خاصة ما يهم منها مستفيدين لهم اهتماماتهم بهذه التطورات، كما إن خدمة الإحاطة الجارية فهي نظام لاستعراض المواد الثقافية المتوفرة حديثا واختيار المواد وثيقة الصلة باحتياجات فرد أو مجموعة وتسجيل هذه المواد لغرض أشعار هؤلاء المستفيدين الذين ترتبط هذه المواد باحتياجاتهم. وتحدد أشكال الإحاطة الجارية في؛ نشرة الإضافات، وتمرير الدوريات أو الوثائق على المستفيدين، تصوير صفحة الوريقات وتمريرها الزيارات والاتصالات الهاتفية.[29]

ويدخل في نطاق الإحاطة الجارية؛ عملية البث الانتقائي للمعلومات: وهو نمط متميز ، حيث يتم تعريف كل مستفيد على حدة بالمواد المتعلقة بموضوع بحث. والبث الانتقائي عملية ؛توجه إلى كل فرد على حدا وغالباً ما يقدم هذا النمط من الخدمات لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد المتخصصة والكليات والشركات والمؤسسات الخاصة التي توجد بها مكتبة أو مركز معلومات، وتهدف إلى تزويد كل مستفيد بصفة دورية أسبوعياً أو كل شهر أو كل فترة بالمعلومات والبيانات التي تدخل ضمن نطاق اهتمامه.

ويتطلب إنجاز هذه الخدمة إجراء مسح شامل للباحثين، وتحديد اهتمامات كل باحث بشكل منفرد، وتصميم استمارة تتضمن معلومات بهذا الخصوص، ومن ثم مقارنة هذه الاستمارة بكل جديد يصل إلى المكتبة.

**عليه يمكن القول بأن متطلبات الإحاطة الجارية تشتمل على العناصر الأتية:**

أ. مراجعة الوثائق أو تصفحها أو سجلات الوثائق في بعض الأحيان

---

[28] أحمد أنور بدر. المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات، مرجع سابق، ص 181-182.

[29] صالح الخريجي. خدمات الإحاطة الجارية: دراسة لأنماط تقديم الخدمات في بعض مكتبات مدينة الرياض. مجلة دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، 1997م، ص209-210.

ب. اختيار المواد أو المحتويات وذلك بمقارنتها باحتياجات الأفراد الذين تمسهم هذه الخدمة

ج. أعلام هؤلاء الأشخاص بالمواد أو معلومات عن المواد والوثائق التي لها صلة باختصاصاتهم.

.وهناك وسائل وطرق عديدة لتمكين المستفيدين من الاستفادة من خدمات الإحاطة الجارية وهي توزيع قوائم المقتنيات الحديثة التي تعرف ببعض المكتبات بقوائم الإحاطة الجارية.

**ب. خدمة التكشيف:** تعد خدمة لتكشيف من الخدمات الأساسية باعتبارها أنها أحد أركان خدمات التحليل الموضوعي، ويعرف التكشيف بانه عملية تحليل المحتوى الموضوعي لأوعية المعلومات والتعبير عن هذا المحتوى بلغة نظام التكشيف. ويعتبر التكشيف من الخدمات المتقدمة التي تتيح للمستفيدين معرفة المحتوى الموضوعي للوثائق وتقلل من الجهد المبذول من قبل الباحثين، كما تساعد على اختصار زمن البحث.[30]

**ج. خدمة الاستخلاص:** تعتبر خدمة الاستخلاص الركن الثاني من عمليات التحليل الموضوعي وهى أحد الروابط الهامة في سلسلة الاتصالات بين مصادر المعلومات والمستفيدين منها؛ حيث تمكن المستفيدين من استرجاع المعلومات. حيث يعرف الاستخلاص بأنه؛ عملية التلخيص العلمي للخصائص أو العناصر الجوهرية في مقالة أو بحث أو تقرير علمي أو إداري أو اختراع أو رسالة جامعية أو أى وعاء من أوعية المعلومات.[31] ويعرف المستخلص على أنه عبارة عن ملخص للمعلومات المتضمنة في مقالة أو نشرة أو غيرها من المطبوعات مصحوبة ببيانات ببليوجرافية .ويعتبر المستخلص ذو أهمية قصوى يعكس موضوع الكتاب أو الوثيقة بلغة دقيقة.[32]

**د. خدمة استرجاع المعلومات:** تقوم المكتبات باقتناء مصادر المعلومات ثم تقوم بمهام التنظيم والحصر لكى تتمكن من استرجاع هذه المصادر، وتتم عملية استرجاع المصادر من خلال طرق متعددة منها اليدوية عن طريق الفهرس البطاقة أو الكشافات المطبوعة أو عن طريق الملفات القابلة للقراءة في شكل الإلكتروني عن طريق تقنيات متعددة منها الميكروفيلم والميكروكارد، إلى أن وصلت التقنية إلى استخدام جهاز الحاسوب، ويستخدم مصطلح استرجاع المعلومات كمصطلح مرادف لبحث الإنتاج الفكري؛ وهو يعنى عملية بحث إحدى مجموعات الوثائق مع استخدام مصطلح الوثائق بأوسع معانيه.

---

[30] ريا الفكي، ونجاه العوض، مرجع سابق، ص 755-756.

[31] يسرية زايد. المستخلصات وأساليب الاستخلاص: الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، مج 1، ع 2، 1999م، ص88

[32] محمد فتحي عبدالهادي. مقدمة في علم المعلومات. القاهرة: مكتبةرغريب، 1984م، ص151.

**هـ. خدمة شبكة المعلومات المحوسبة:** خدمات شبكة المعلومات المحوسبة عبارة عن نمط من أنماط التعاون بين المكتبات نشأ نتيجة لحوجتها للمشاركة في المصادر ولتحقيق العديد من الأهداف منها؛ المشاركة في الاطلاع على المعلومات؛ وتطوير سرعة الوصول إلى المعلومات بسهولة ويسر، وتقليص ازدواجية المعلومات وتعدد المشاركة في قواعد بيانات الأقراص المدمجة واستعمال البريد الإلكتروني وغيرها.

**و. خدمة الأقراص المدمجة:** الأقراص المدمجة تعنى القرص المدمج القابل للقراءة، ويطلق عليه العديد من المسميات منها القرص المكتنز، والقرص المتراص، والقرص المضغوط، والقرص الليزر وهي تتميز بالطاقة التخزينية العالية، والسرعة في استرجاع المعلومات، وتنوع أشكال المعلومات المختزنة على هذه الأقراص وغيرها.[33]

**الإثراء التعليمي، المفهوم، الأهداف، الأنواع، والبرامج:**

**الأثراء في اللغة:** الثراء بمعنى ، ثَراء المال، ثراءً: نما، وثرا القوم، كثروا... ثرى الرجل، أو ثراء الرجل، كثر ماله فهو ثّر وثريٌّ .أثرى، كثُر مالُه، وأُثرى الأرض، كثُر ثراها، وثرى الله القوم كثرهم، وثرى الرجل المال كثره.[34] وجاء في الرازي؛ الثراء بالمد، كثرة المال، قال ابن السكيت: يقال انه لذو ثروةٍ وذو ثراءٍ ...أي انه لذو عدد وكثرةِ مال...وأثرى الرجل كثرت أمواله.[35]

**الأثراء في الاصطلاح:** يقصد بالإثراء إدخال تعديلات وإضافات على المناهج المقررة على الطلاب العاديين حتى تتلاءم مع احتياجات الطلاب الموهوبين والمتفوقين في المجالات المعرفية والانفعالية والإبداعية والحس حركية. وقد تكون التعديلات أو الإضافات على شكل زيادة مواد دراسية لا تعطى للطلاب العاديين أو بزيادة مستوى الصعوبة أو التعمق في مادة أو أكثر من المواد الدراسية.[36]

فالإثراء التعليمي هو أسلوب ومنهج لإكساب الطلاب المتعلمين أساليب معرفية موجبة.[37] كما يُعدّ برنامج الإثراء التعليمي من أكثر البرامج شيوعاً في العالم، وينبثق من مفهوم الحلقات الثلاثة للموهبة لرينزولي، إذ يرى رينزولي أن الموهبة تتكون من تقاطع ثلاث حلقات من السمات الإنسانية وهي: قدرة عقلية فوق المعدل، ودرجة عالية من الالتزام بالمهمة ودرجة عالية من الإبداع. والطلاب الموهوبون هم الذين

---

(33) عبدالله الشائع. الأقراص المدمجة في المكتبات ومراكز المعلومات. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج(3)، ع(1)، 1997م، ص148.

(34) المعجم الوسيط.ج1، ط1. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1990م، ص 99.

(35) الرازي، الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازي. مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان ، 1995م، ص35.

(36) الهام عيسي، مرجع سابق، ص 6.

(37) محمد حمدان. معجم مصطلحات التربية والتعليم: عربي/ إنجليزي. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر، ط1، 2006م، ص94.

يطوّرون منطقة التقاطع بين الحلقات، ويحتاجون للتعرض للعديد من الفرص التعليمية والخدمات التربوية، التي لا تتوافر ضمن برامج التعليم الفردية.

**أما عن أهداف برنامج الإثراء التعليمي الشامل فتتمثل في:**

1. تطوير المواهب والطاقات الكامنة لدي الطلاب، وتحسين الأداء الأكاديمي لجميع الطلاب في كافة مجالات المنهاج العام، وإثراء هذا المنهج من خلال إدخال أنشطة تشغل الطلاب في عملية تعلم ممتع وذي معنى، والتحفيز المستمر للنمو المهني لجميع منسوبي الجامعة
2. تطوير الجامعة لتصبح مجتمعاً متعلماً يتصف بالاحترام المتبادل والاتجاه الإيجابي نحو الآخرين وتقدير الاختلاف، وتطبيق منهجية الديمقراطية في الجامعة بحيث تتاح الفرص المناسبة لاتخاذ القرارات من قبل الطلاب وأولياء الأمور والمعلمين والإداريين.

**حتى يكون الإثراء التعليمي فعالاً لابد أن نراعي ما يلي:** وحتى يكون الإثراء فعالا لابد أن يراعى في تخطيطه وتنفيذه مجموعه من العوامل أهمها: ميول الطلاب واهتماماتهم الدراسية، أساليب التعلم المفضلة لدى الطلاب محتوى المناهج الدراسية الاعتيادية، تأهيل و تدريب المعلمين القائمين على تنفيذ البرامج الإثرائية، الإمكانات المادية للجامعة و مصادر المجتمع المتاحة.

1. ميول الطلاب واهتماماتهم الجامعية، وأساليب التعلم المفضلة لديهم، ومحتوى المناهج المقررة لعامة الطلاب، وطريقة تجميع الطلاب المستهدفين بالإثراء والوقت المخصص للتجميع.
2. تأهيل المعلمين الذين سيقومون بالعمل وتدريبهم، والإمكانات المادية للجامعة أو الكلية ومصادر المجتمع المتاحة، وآفاق البرنامج الإثرائي وتتابع مكوناته وترابطها.
3. إن الحد الفاصل بين برنامج إثرائي حقيقي وبين مجرد إشغال الطلاب بمهمات متشابهة، ولا يبدو في كثير

من الأحيان واضحاً حتى لأولئك العاملين على تنظيم البرامج الإثرائية ولذلك يجب التفريق بين ما يمكن تسميته "برنامج إثرائي و"مشروع إثرائي".

**من النماذج والأمثلة على المشروعات الإثرائية:**

1. النوادي العلمية والأدبية والفنية والجامعية.
2. برامج تبادل الطلاب.
3. الدراسة الفردية ومشروعات البحث.
4. المشاغل التدريبية والندوات.
5. دراسات اللغات الأجنبية.
6. دراسة مقررات لتنمية التفكير و الإبداع.

7. المخيمات الصيفية.

8. نموذج رنزولي، وهو محصلة دمج نموذجين (النموذج الثلاثي الإثرائي) و(الباب الدوار للكشف عن الطلاب الموهوبين).

**أنواع الإثراء التعليمي:** تظهر أهمية ودور المكتبة الجامعية في الإثراء التعليمي من خلال توفير مختلف مصادر ومقتنيات المعلومات من الكتب الدراسية والموسوعات العلمية، والمراجع العلمية والبحوث والدراسات والمجلات والدوريات وغيرها وهناك طرائق وأساليب عديدة يمكن أن تنفذ من خلالها برامج الإثراء التعليمي، وتكمن أهمية أي طريقة في مدى استطاعتها لتلبية الحاجات التربوية للطلاب بمختلف استعداهم ومهاراتهم، عليه هذه البرامج والنشاطات الإثرائية لابد أن يكون لها دوراً فاعلاً في تنمية قدرات الطلاب المتعلمين بغية إثراء خبراتهم ومساعدتهم على إتباع أساليب التفكير العلمي، وكذلك من خلال البرامج الإثرائية لابد من الوصول إلى نواتج تعليمية مقبولة تحقق أهداف البرنامج التعليمي بما يحقق الأهداف المنشودة، هناك عدة صور متنوعة لربط برنامج الإثراء التعليمي بطرق التدريس في المساقات والكليات المختلفة منها ما يأتي:[38]

1. **المطالعة الإضافية:** هي مواد إضافية للمطالعة لتكملة وإثراء كتب الدراسة الأساسية لتعزيز المعرفة التي تم الحصول عليها وذلك لأن كتب محتويات الدراسة لا تشمل كل ما يريد الطالب؛ الحصول عليه أو يجب أن يحصل عليه.

2. **القراءة التثقيفية:** هي نوع من القراء تتم لتحسين أذواق وميول الطالب وتزويده بالمعارف العامة.

3. **تنمية القراءة:** وهى التي تتم من خلال استخدام الكتب وغيرها من مصادر التعلم ووسائل القراءة المختلفة لتنمية مهارات القراءة، بما يتفق مع احتياجات المتعلم.

4. **القراءة الموجهة:** هي نوع من أنواع القراءة التي تتم تحت إرشاد المعلم أو اختصاصي المكتبات والمعلومات بما في ذلك قراءة مراجع معينة أو حل مشاكل أو الإجابة على الأسئلة.

5. **القراءة الموسعة:** وهى تتم عن طريق الاطلاع الواسع من مصادر مختلفة بدلاً من القراءة الكثيفة التي تقتصر على الدراسة التفصيلية لعدد محدود من مواد القراءة وتفيد القراءة الموسعة في إثراء التجارب وتنمية المفاهيم الجديدة، وزيادة القدرة على الفهم، وحث الاهتمامات الفكرية وتكوين اتجاهات ملائمة نحو التعلم.

**القراءة المكثفة:** هي عبارة عن نوع أو صور من صور القراءة التفصيلية أو المكثفة التي تتم بعناية مع إعارة اهتمام خاص للغة والتعبير والكلمات والأفكار.

---

[38] محمد حمدان، مرجع سابق، ص 94-95.

**كما أضاف الزعبى عدة صور وأنواع مختلفة منها:**[39]

**أ/الإثراء الأفقي:** ويعنى تزويد الطلاب بخبرات غنية في عدد من الموضـــوعات التعليمية والأكاديمية، أو في مجالات جديدة في المعرفة لا يغطيها المنهج الدراسي العادي.

**ب/الإثراء العمودي:** ويعنى تزويد الطلاب (المتعلمين) بخبرات إثرائي في عدد من الموضـــوعات الدراسية أو التعليمية، أو تكليف طالب أو مجموعة من الطلاب الموهوبين والمتميزين ذوى الاهتمام المشترك بإيجاد حل مشكلة معينة من خلال البحث المكثف.

**ج/تصـــميم أســـاليب ومحتويات وتقنيات بناء الطلاب:** لتطوير مســـتويات عليا من عمليات التفكير، ومهارات البحث والاستقصاء والمراجعة، بالإضافة إلى المهارات المرتبطة بالتطور الشخصي والاجتماعي.

**برامج الإثراء التعليمي:** تعتمد هذه البرامج على تدعيم المنهج ، أو تقديم برامج إضـافية للموهوبين والمتفوقين إلى جانب المناهج العادية ويكون ذلك بإضـافة بعض أوجه النشـاط للبرنامج الموضـوع بحيث تنمى مواهب الطالب (المتعلم) وقدراته.

**إجراءات الدراسة الميدانية:**

**منهج الدراسـة:** في هذا الدراسـة اتبع البحث المنهج الوصـفي التحليلي وهو المنهج الذى يهدف بصـفه عامة إلى وصـــف ظواهر وأحداث وأشـــياء معينة وجمع الحقائق والمعلومات عنها وتصـــنيف وتحليل وتقديم المعلومات المتعلقة بالظواهر المختلفة لإيجاد العلاقة المتداخلة بينها وإمكانية التنبؤ بما ســتؤول إليه الظاهرة وبالتالي الحلول المختلفة للمشكلات.[40]

**مجتمع الدراسـة:** يتكون مجتمع البحث من طلاب البكالوريوس وطلاب الدراسـات العليا وأعضـاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعة الخرطوم، وكلية النصر التقنية بأم درمان.

**عينة الدراسة:** عينة الدراسة وطريقة اختيارها: استخدم البحث العينة العشوائية الطبقية، واتبع الباحث لاختيار العينة التي تم توزيع الاســـتبانة إليها الخطوات التالية: تكونت عينة الدراســـة من (150) فرداً من طلاب البكالوريوس وطلاب الدراســـات العليا وأعضـــاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعة الخرطوم وكلية النصر التقنية، وقد تم اختيارهم عن طريق العينة العشوائية الطبقية.

---

(39) أحمد محمود الزعبي. التربية الخاصة للمعوقين والموهوبين وسبل رعايتهم وإرشادهم. عمان: دار زهران، 2003م، ص68

(40) لويس كوهين ، ولورانس مانيســـون. مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية. ترجمة/ كوثرحســـين. القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع ،1990م، ص 93.

**أدوات الدراسة:** استخدم البحث في هذه الدراسة الاستبانة والمقابلة كأدوات أساسية لجمع المعلومات. فالاستبانة هي إحدى الأدوات أ والوسائل التي تجمع بها البيانات والمعلومات؛ وهى عبارة عن حوار كتابي في شكل جدول من الأسئلة؛ يوزع على عينة مختارة من مجموعة حقل البحث يتم اختيارها عشوائياً أو انتقائياً ؛ بحيث يضمن الباحث تمثيل العينة لحقل البحث، واستخدم في هذه الدراسة الاستبانة المغلقة كأداة رئيسية من أدوات البحث لجمع المعلومات وتحليلها. وتم اختار الاستبيان المغلق لأنه يتميز بسهولة تبويبه وفرزه وتحليله بالحاسوب؛ كما يوفر على الباحث والمفحوص الزمن والجهد؛ كما أنها أكثر دقة وانضباطاً علمياً ، بينما تعتبر المقابلة الشخصية واحدة من الطرق المسحية في البحوث الاجتماعية؛ وتستخدم لتجميع البيانات والمعلومات.[41]

**1- تصميم الاستبانة:-**

**الغرض من تصميم الاستبانة:** قبل تصميم الاستبانة تم القيام بجولات استطلاعية متفرقة لمجتمع البحث وكما تم الرجوع لعدد من المصادر والدوريات والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة.

اعتمد البحث في تصميم الاستبانة على ضوء الدراسة النظرية والدراسات السابقة ومن ثم تم تحديد الأفكار الرئيسة التي يمكن أن تشتمل عليها الاستبانة والتي تمت صياغتها على شكل محاور موجهة لأفراد العينة الخاصة بالدراسة. وقد تكونت الاستبانة من أربعة محاور، ولقد تم استخدام المقياس الثلاثي وهو(أوافق؛ أوافق لحد ما؛ لا أوافق)،حيث شمل المحور الأول: الأهداف العامة للمكتبة الجامعية: والمحور الثاني: وظيفة المكتبة الجامعية: والمحور الثالث: دور المكتبة الجامعية في الإثراء التعليمي؛ بينما تحدث المحور الرابع: عن أهم المشكلات التي تواجه تقديم خدمات المعلومات بالمكتبة الجامعية

**تحكيم الاستبانة:-** تم توزيع الاستبانة بصورتها الأولية على عدد من الأساتذة المختصين في مجال علم المعلومات والمكتبات؛ لتحكيم الاستبانة ولإبداء آراءهم حولها؛ وقد ابدؤوا آرائهم حول صياغة الفقرات ووضعها ومدى ملاءمتها للأهداف وتحقيقها لأغراض البحث، وبعد الأخذ برأي المحكمين تمت صياغة الاستبانة. بعد التأكد من مدى مناسبة الاستبانة للغرض الذى أعد من أجله ومن خلال رأى المحكمين. كما تم توزيع الاستبانة على مجموعة من المفحوصين وقد بلغ تعدادهم (150) شخصاً.

**الصدق والثبات:** بعد أن أكمل الباحث عملية التحكيم والصدق الظاهري قام بإيجاد الصدق والثبات عن طريق معامل، وبلغ معامل الصدق (0.88)، وبلغ الثبات(0.77) .

**وصف بيانات العينة:**

**جدول رقم(1) يوضح توزيع أفراد العينة تبعاً النوع**

(1) عبدالرحمن أحمد. مناهج البحث العلمى.ط1.الخرطوم: جامعة السودان المفتوحة، 2006م، ص271-275.

| النوع | العدد | النسبة |
|---|---|---|
| ذكر | 77 | %51 |
| انثى | 73 | %49 |
| **المجموع** | **150** | **%100** |

بالرجوع للجدول (1) الذى يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع نجد أن أغلب أفراد عينة الدراسة من الذكور بنسبة(51%) بينما عدد الإناث يبلغ(49%).

**جدول رقم(2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الوضع الوظيفي**

| الوضع الوظيفي | العدد | النسبة |
|---|---|---|
| بكالوريوس | 70 | %47 |
| دراسات عليا | 50 | %33 |
| أعضاء هيئة تدريس | 30 | %20 |
| **المجموع** | **150** | **%100** |

بالنظر للجدول (2) الذى يبين توزيع أفراد العينة تبعاً للوضع الوظيفي نجد أن أغلب أفراد عينة الدراسة من طلاب البكالوريوس بنسبة(47%)،وهم الشريحة الأكبر، في الاستفادة من خدمات المكتبات الجامعية، ثم طلاب الدراسات العليا بنسبة(33%) وأعضاء التدريس بنسبة(20%).

**جدول رقم(3) يوضح توزيع أفراد العينة تبعاً للدرجة العلمية لعضو هيئة التدريس**

| الدرجة الأكاديمية | العدد | النسبة |
|---|---|---|
| مساعد تدريس | 7 | %23 |
| محاضر | 10 | %33 |
| أستاذ مساعد | 9 | %30 |
| أستاذ مشارك | 2 | % 7 |
| بروفسير(أستاذ) | 2 | % 7 |
| **المجموع** | **30** | **%100** |

بالرجوع للجدول (3) الذى يشير لتوزيع أفراد العينة تبعاً للدرجة الأكاديمية لعضو هيئة التدريس نجد أن أغلب أفراد عينة الدراسة من المحاضرين بنسبة(33%) ويليهم أستاذ مساعد (30%) ثم مساعدي التدريس بنسبة(23%) وأستاذ مشارك (7%) وبروفسير بنسبة(7%)،ونشير في هذه الدراسة إلى أنه تم استطلاع رأى

كل من بروف فيصـــل محمد عبدالوهاب ســـعيد، عميد كلية التربية، جامعة الخرطوم الأســـبق، وبروف أمير مصطفي سعد، الأستاذ بجامعة الخرطوم، وعميد كلية النصر التقنية، الذين أكدوا على دور المكتبة الجامعية الكبير في إثراء العملية التعليمية والأكاديمية، وزيادة التحصـــيل الأكاديمي وتنمية الجوانب العملية والمعرفية، كما أشـــاروا إلى أهمية توظيف التقنية الحديثة، من تكنولوجيا المعلومات والاتصـــالات، التي لها دور مهم في جودة تقديم خدمات المعلومات والمكتبات بكفاءة وفاعلية، وإثراء ومساندة العملية التعلمية والبرامج الأكاديمية.

**جدول رقم(4) يوضح توزيع أفراد العينة تبعاً لعدد زياراتهم للمكتبة**

| عدد الزيارات للمكتبة | العدد | النسبة |
|---|---|---|
| **مرة واحدة** | 5 | %3 |
| **مرتان** | 25 | %17 |
| **ثلاث مرات فاكثر فى الأسبوع** | 120 | % 80 |
| **المجموع** | **150** | **%100** |

بالرجوع للجدول (4) الذى يوضـح توزيع أفراد العينة حسـب عدد زياراتهم للمكتبة نجد أن أغلب أفراد عينة الدراســة من الذين يرتادون المكتبة بصــورة مســتمرة، بنســبة(80%)، الأمر الذى يوضــح أهمية المكتبة الفاعل في العملية التعليمية والأكاديمية ، من الطلاب وأعضـاء هيئة التدريس، وغيرهم من الباحثين، للاطلاع والقراء وكتابة البحوث وإثراء مجالاتهم البحثية والأكاديمية.

**عرض البيانات ومناقشتها وتحليلها:**

**فروض الدراسة:**

**جدول رقم (5) يوضح الفرض الأول الذى نصه:هنالك تحقق لأهداف المكتبة الجامعية**

| الفرض الأول | الوســـط الحسابي | درجـــة الحرية | قيمة "كاى" المحسوبة | النتيجة | الـقـيـمـة الاحتمالية | التفسير |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 2.63 | 2 | 17.43 | موافقة | 0.003 | دالة |

بالنظر للجدول (5) نجد أن الوســـط الحســـابي (2.63) ودرجة الحرية (2)وقيمة" كاى" المحســـوبة (17.43) والنتيجة (موافقة)؛ نلاحظ أن القيمة الاحتمالية بلغت (0,003) وهي أقل من (0,05) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عبارات الفرض الأول ، وهذا يعني أنها دالة إحصائياً وتتفق النتيجة مع ما جاء في دراســـة إلهام (2012م) التي من أهم نتائجها؛ اتفاق أهداف المناهج الإثرائية مع أهداف المرحلة الدراســية وأهداف المواد الدراســية واحتوائها على قدر كاف من مســتويات الأهداف المختلفة

(معرفية ،وجدانية ونفس حركية)، وكذلك فإن محتوى المناهج الإثرائية يسمح باستخدام أكثر من طريقة تدريس ويتصف بالشمول؛ والعمل على مراعاة الفروق الفردية لدى الطلاب.

**جدول رقم (6) يوضح الفرض الثاني الذى نصه: توجد عدة وظائف للمكتبة الجامعية**

| الفرض الثاني | الوسط الحسابي | درجة الحرية | قيمة "كاى" المحسوبة | النتيجة | القيمة الاحتمالية | التفسير |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 2 | 2.57 | 2 | 13.764 | موافقة | 0.017 | دالة |

بالنظر للجدول (6) نجد أن الوسط الحسابي (2.57) ودرجة الحرية (2) وقيمة" كاى" المحسوبة(13.764) والنتيجة (موافقة)؛ نلاحظ أن القيمة الاحتمالية (0,017) وهي أقل من (0,05)، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عبارات الفرض الثاني، وهذا يعني أنها دالة إحصائياً. وتتفق النتيجة مع دراسة عبد الغنى (2004م) التي توصلت إلى عده نتائج منها أهمية تحقيق الوظائف المنشودة من خلال تكامل واشتمال المنهج الإضافي على المواد المكتوبة، والوسائل التعليمية المساعدة من أفلام وأشرطة وكتب ومواد تعليمية، والتركيز على المهارات، وتوفير بيئة تعليمية مناسبة ، كما تتفق هذه النتيجة مع ما جاء في دراسة ريا ونجاة (2012م) التي تناولت خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية ودورها في بناء وتنمية مجتمع المعرفة. وقد أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بعملية التخطيط لخدمات المعلومات، وذلك من خلال لجان عليا تقوم بعملية التخطيط على مستوى المكتبات الجامعية بالسودان، وأيضاً بالاهتمام بتقنيات المعلومات من أجل تقديم خدمات المعلومات المتقدم

**جدول رقم(7) يوضح الفرض الثالث:للمكتبة الجامعية دور فاعل في عملية الإثراء الأكاديمي**

| الفرض الثالث | الوسط الحسابي | درجة الحرية | قيمة "كاى" المحسوبة | النتيجة | القيمة الاحتمالية | التفسير |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 3 | 2.52 | 2 | 19.9199 | موافقة | 0.000 | دالة |

من الجدول (7) نجد أن الوسط الحسابي (2.52) ودرجة الحرية (2) وقيمة" كاي " المحسوبة (19.9199) والنتيجة (موافقة)؛ نلاحظ أن القيمة الاحتمالية بلغت (0,000) وهي أقل من (0,05)، مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عبارات الفرض الثالث، لذلك فهي دالة إحصائياً. وتتفق النتيجة مع معظم عينة البحث الذين تمت مقابلتهم، الذين يرون إن للمكتبة الجامعية دور فاعل فى تحصيلهم الأكاديمي وفى إثراء دراساتهم وبحوثهم في تخصصاتهم ومجالاتهم المختلفة. تتفق النتيجة مع دراسة عبد الغنى(2004م) أهم نتائجها، ضرورة الاهتمام ببرامج رعاية الطلاب الموهوبين والمبدعين؛ مستعيناً بعده برامج من أهمها برامج الإثراء أو الإغناء الأكاديمي من خلال تقديم برامج إضافية للمتفوقين، إلى جانب

المناهج العادية التي تهدف إلى التعمق في المواد الدراسية وذلك بزيادة المعرفة بالمادة المتصلة جوهرياً؛ وأيضاً التوسع في المواد الدراسية أي توسيع دائرة معرفة الطالب بمواد أخرى لها علاقة جانبية بموضوعات المنهج. **جدول رقم(8) يوضح الفرض الرابع: هنالك عدة مشكلات تواجه المكتبة الجامعية**

| الفرض الرابع | الوسط الحسابي | درجة الحرية | قيمة "كاى" المحسوبة | النتيجة | القيمة الاحتمالية | التفسير |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 4 | 2.32 | 2 | 14.1200 | موافقة لحدما | 0.009 | دالة |

وبالرجوع للجدول (8) نجد أن الوسط الحسابي (2.32) ودرجة الحرية (2) " كاى" المحسوبة (14.1200) والنتيجة (موافقة لحدما)؛ نلاحظ أن القيمة الاحتمالية بلغت (0,009) وهي أقل من (0,05) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عبارات الفرض الرابع، لذا فهي دالة إحصائياً. تتفق الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة راكس (1995م) التي نادت بحل العديد من المشكلات ومنها؛ ضرورة استخدام الإنترنت لأنه يوفر حاجات المتعلمين في ميادين العلم والمعرفة المتعددة والحديثة، لمتطلبات الدراسة المتعددة التي تسهم في حل مشكلات التعليم.

## الخاتمة....

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

1. تسهم المكتبة الجامعية على تحقيق أهداف الجامعة ورسالتها وفى تنمية وتثقيف أفراد المجتمع الجامعي.
2. تساعد المكتبة الجامعية في تسهيل وصول الباحثين والمستفيدين لمصادر المعلومات بأقل وقت وجهد وأكبر دقة ممكنة، و في تنوع وإثراء الأنشطة والمواقف التعليمية والبرامج الأكاديمية.
3. تسهم المكتبة الجامعية في زيادة دافعية التعلم، وتنمية شخصية الطالب الجامعي، كما تقوم بمساندة برامج التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع.
4. تقدم المكتبة الجامعية المعلومات والخدمات المكتبية للطلاب والباحثين والأساتذة مثل: (الخدمة المرجعية والإعارة وخدمات الإرشاد والتوجيه للقراء)، والرد على أسئلة واستفسارات المستفيدين(طلاب، باحثين ، وأساتذة).
5. توجد عده مشكلات وعقبات تواجه تقديم خدمات المعلومات بالمكتبة الجامعية منها ما يلى:

أ/ قلة توافر اختصاصي المكتبات والمعلومات، وندرة الدورات التدريبية في مجال تكنولوجيا المعلومات. والاتصـــالات الحديثة، وضـــعف الميزانيات والمعينات والتجهيزات اللازمة بالمكتبات، وعدم توافر شـــبكة معلومات بالصورة الجيدة.

ب/ ضـــعف التنســـيق والتعاون بين الوحدات المختلفة بالمكتبة الجامعية، وضـــعف الرضـــى الوظيفي للعاملين في مجال المكتبات.

**التوصيات:**

من خلال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج قدمت التوصيات التالية:

1. أهمية ربط نشـــاط المكتبة بمتطلبات خطة وأهداف ورســـالة الجامعة، والعمل على إعادة وتأهيل المكتبات الجامعية لإثراء الأنشـــطة التعليمية والبرامج الأكاديمية، وتوفير الأماكن المناســـبة للقراءة والاطلاع للطلاب وتخصيص أماكن ملائمة بالنسبة للباحثين والأساتذة، وضرورة ربط برنامج الإثراء الأكاديمي بوسائل وأساليب طرائق التدريس في المساقات والبرامج والكليات المختلفة.

2. تفعيل خدمات تعليم الطلاب والباحثين كيفية اســـتخدام المكتبة من خلال النشـــرات والكتيبات والملصـــقات وغيرها، وتقديم الخدمات المكتبية كالبث الانتقائي، والإحاطة الجارية والببليوجرافيا والتكشـــيف والاستخلاص، خدمات التصوير والاستنساخ والترجمة وغيرها.

2. العمل على إعداد وتأهيل اختصـاصـي المكتبات والمعلومات بالكفايات المطلوبة، وتوفير الميزانيات والتجهيزات والأدوات اللازمة، وإقامة شبكة معلومات بالصورة الحديثة الجيدة، وضرورة التنسيق والتعاون بين الوحدات المختلفة بالمكتبة الجامعية.

**المصادر والمراجع:**


1. أبوبكر محمود الهوش. التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات: نحو اســـتراتيجية عربية لمســـتقبل مجتمع المعلومات .ط2.القاهرة:دار الفجر للنشر والتوزيع،2003م.
2. أحمد أنور بدر. المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات. الرياض: دار المريخ للنشر،1985م.
3. أحمد أنور بدر .أساسيات في علم المعلومات والمكتبات. الرياض: دار المريخ للنشر ،1417هـ-1996م.
4. أحمد أنور بدر. المكتبات ومراكز المعلومات النوعية ودورها في مجتمع المعرفة المعاصـــر. الإســـكندرية: دار الثقافة العلمية ،2009م.
5. أحمد محمد الشامي، وسيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ للنشر ،1408هـ-1988م.

6.أحمد محمود الزعبي. التربية الخاصة للمعوقين والموهوبين وسبل رعايتهم وإرشادهم. عمان: دار زهران ،2003م.

7. الهام عيسى عثمان عيسى. تقويم المناهج الاثرائية بمدارس الموهبة والتميز بالمرحلة الثانوية "ولاية الخرطوم" جامعة الخرطوم. كلية التربية، رسالة ماجستير ،2012م.

8.إيمان فاضل السامرائي. الاتجاهات الحديثة في الخدمات المصدرية: خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات ،المجلة العربية للمعلومات، مج 16،ع1، 1995م.

9.الرضية آدم محمد. المعلومات وإدارة المكتبات(ورقة عمل) مقدمة إلى سمنار اتحاد المكتبات السوداني ،2001م.

10. ريا الفكي محمد أحمد، ونجاة أحمد محمد العوض. خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية ودورها في بناء وتنمية مجتمع المعرفة. أعمال المؤتمر (23) للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم) بالتعاون مع وزارة الثقافة والفنون والتراث القطرية. تحت شعار (الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء المجتمعات المعرفية العربية) الدوحة قطر 18–20 نوفمبر 2012م.

11. سالم محمد سالم. المكتبة الجامعية في المملكة العربية السعودية. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 5،ع 2، 1999م.

12. سعد أحمد أسماعيل. خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: مع التركيز على تقويم خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل، مجلة اتحاد الجامعات العربية، ع(3) 1988م.

13.الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي. مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان ،1995م.

14.صالح الخريجي. خدمات الإحاطة الجارية: دراسة لأنماط تقديم الخدمات في بعض مكتبات مدينة الرياض. مجلة دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، ع(1)،1997م.

15.عبدالباقي يونس إسماعيل. المستفيدون من خدمات البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية بمركز التوثيق والمعلومات بالخرطوم. مجلة أبحاث ودراسات التدريب والمعلومات ، وزارة الداخلية، رئاسة قوات الشرطة السودانية ،ع(2) يوليو 2008م.

16.عبدالرحمن أحمد عثمان. مناهج البحث العلمى.ط1. الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، 2006م.

17.عبدالله الشائع. الأقراص المدمجة في المكتبات ومراكز المعلومات. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج(3)،ع (1)،1997م.

18. عبد الغنى إبراهيم محمد. أساليب اكتشاف الموهوبين والمبدعين ورعايتهم. مجلة دراسات تربوية بخت الرضا. المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، السنة(5)،ع(10) ربيع الثاني 1425هـ-يونيو 2004م.

19. عصام برير آدم عوض الله. التخطيط التربوي والتنمية البشرية. العين. الأمارات العربية: دار الكتاب الجامعي،2006م.

20. المعجم الوسيط.ج1،ط1.القاهرة:مجمع اللغة العربية،1990م.

21. قاسم عثمان نور. دور المكتبات الجامعية المساند في برامج التعليم عن بعد، مجلة دراسات في المكتبات والمعلومات بالسودان، الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات ،2007م.

22. لويس كوهين ،ولورانس مانيسون. مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية. ترجمة/ كوثر حسين القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، 1990م.

23. محمد حمدان. معجم مصطلحات التربية والتعليم: عربي/ إنجليزي .عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،ط1، 2006م.

24. محمد فتحي عبدالهادي. مقدمة في علم المعلومات. القاهرة: مكتبة غريب،1984م.

25. يسرية زايد. المستخلصات وأساليب الاستخلاص: الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات، مج 1 ،ع 2، 1999م.

**المراجع الإجنبية**

1.HIGHAM, Norman .the Library in the University. Observation on a Service. London: Andre Deutsch 1980.p.11.

2.Rakes. g .Using the internet as atoll in resource-based learning Environment. Educational Technology,1995.

# الرمزية عند شعراء هذيل (عينية أبي ذؤيب أنموذجاً)

**إعداد:**

**1/ د. خالد بابكر هاشم الدرديري – أستاذ مشارك – كلية التربية جامعة الزعيم الأزهري**

**2/ أحمد حسين أحمد أبو جبل – معلم بالمرحلة الثانوية محلية بحري**

**المستخلص**

تناولت الدراسة الرمزية في شعر هذيل عينية أبي ذؤيب أنموذجاً هدفت الدراسة إلى كشف العناصر الرمزية في شعر أبي ذؤيب ورصد الظاهرة الشعرية بأبعادها الفنية والاجتماعية والنفسية وانعكاس ذلك على نفسية الشاعر اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها لعبت البيئة عنصراً مهماً من عناصر الرمزية في شعر أبي ذؤيب وصف أبو ذؤيب الحيوان في صورة سمعية وحركية قدمها بألوان واقعية وأصوات حقيقية نبعت عن تجربة عاشها وشاهده قدمت الدراسة عدة توصيات منها الاهتمام بدراسة مظاهر الرمزية عند بعض شعراء هذيل أو غير هذيل يمكن أن توجد فيه نوع من الرمزية ؛لأن التجربة الشعرية تختلف باختلاف الظروف. وظهور الحوار الشعري مع أهمية حضور المكان والزمان في النص الشعري؛ إذ كشف عن حضور نوعين من المكان الواقعي والرمزي، ومن الزمان الطبيعي والنفسي.

**Abstract**

The study takes into account and deals with symbolism in Hazel Oinia Abi Dhuwaib poetry, a model through which the study aims to disclose the symbolism elements in Abi Dhuwaib, monitoring the poetry phenomena with its technical, social, and psychological dimensions as well as its reflections on the poet psychology. Study follows the descriptive analytical approach. It reached many results the most important of its, environment has played an important element of symbolism in Abu Dhuwaib poetry. He describes the animals in sound and dynamic images provided in realistic colors and real voices emanated from experience he witness and lived. The study presents many recommendations such as interest in study of symbolism appearances of some of Huwzail or other tribes' poets in which type some symbolism was found because the experience of poetry varied by circumstances. The appearance of poetry's dialogue with the importance of place

and time presentation in poetry text was discovered two types of reality and symbol place, in addition to natural and psychological time.

**المقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد، فهذه الدراسة تناولت جانباً مهما، من جوانب تراثنا العربي العريق، فالأدب العربي القديم بحر زاخر، بأنواع المعارف والعلوم، لا يعدم قاصده الفائدة والمتعة، وقد جاءت بعنوان (الرمزية عند شعراء هذيل عينية أبي ذؤيب أنموذجاً ).

**أهداف الدراسة:**

1. إلقاء الضوء على ظاهرة الرمزية عند أبي ذؤيب من خلال عينيته واستخراج رموزها.
2. إماطة اللثام عن بعض العناصر الفنية الجميلة في الشعر الهذلي المعروف بفصاحته وببيانه وعمق معانيه.
3. إبراز قضية أدبيه هامة في الشعر الجاهلي عامةً والهذلي بخاصة وهي العنصر الرمزي وارتباطه بالإنسان الهذلي .

**منهج البحث:**

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة قضايا الدراسة والوصول إلى النتائج بصورة موضوعية منهجية .

**خطة الدراسة:**

وفي سبيل معالجة خطة الدراسة وتحقيقها لهدفها المنشود، فقد تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة ومحورين:

تناول المحور الأول: مفهوم الرمز لغة واصطلاحا ونشأةً الرمزية وتطورها

وتناول المحور الثاني: لمحة عامة عن قبيلة هذيل وتعريف بأبي ذؤيب الهذلي ونسبه، وتناول المحور الثالث: مظاهر الرمزية في عينية أبي ذؤيب، أما الخاتمة فقد شملت عدداً من النتائج والتوصيات، وفي نهاية الدراسة تم وضع المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

**المحور الأول: مفهوم الرمز والرمزية:**

الرمز لغة هو الإشارة بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليد أو الفم أو اللسان[1]. ويرى بعضهم أن أصل الرمز هو الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم[2]. وقد ذكر صاحب لسان العرب الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت، إنما هو إشارة بالشفتين[3].

(1) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط1، مكتبة التراث، بيروت– لبنان، مادة (رمز).

(2) قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان 1403هـ ص61.

(3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت– لبنان مادة رمز.

**الرمز في الاصطلاح:**

إن الرمز كلمة او عبارة أو صورة أو شخصية او اسم مكان يحتوى في داخله على أكثر من دلالة يربط بينهما قطبان رئيسيان ، يتمثل الأول بالبعد الظاهر للرمز وهو ما تتلقاه الحواس منه مباشرة ويتمثل الثاني بالبعد بالباطن أو البعد المراد إيصاله من خلال الرمز وهناك علاقة وطيدة بين ظاهر الرمز وباطنه ويمكن للصورة أن تفقد قيمتها إذا حدث تنافر أو عدم انسجام بين القطبين[4]، أما عن مفهوم الرمزية فإنها في لغة العرب هي الإشارة، وفي كلام العرب ما يدل على أن الإشارة عن طريق الدلالة، فقد تسحب الكلام فتساعده على البيانات والإفصاح؛ لان حسن الإشارة[5] باليد أو الرأس من تمام حسن البيان عما يقول الجاحظ وتنوب الرمزية عن الكلام وتستقل هي بالدلالة وأحياناً يلجأ الإنسان إلى الإشارة حين العجز عن الكلام أو حين يكون القصد إفهام بعض الناس بالمراد دون البعض.

1/ الرمزية اتجاه فني يطلب عليه سيطرة الخيال على كل ما عداه سيطرة تجعل الرمز دلالة أولية على ألوان المعاني العقلية والمشاعر العاطفية والتعبير بالرموز عادة قديمة في تعبير الإنسان بل عادة قديمة في بديهة الإنسان[6] ويقول إحسان عباس : "إذا كان التعبير المضاد يعتمد على التصريح والوصف الواقعي فالرمزيون ينكرون التعبير الصريح ويلجأون إلى التعبير المبرقع"[(7)]، والرمزية بهذا المفهوم تعد حلقة وصل بين الرومنسية من جهة والسريالية والحلم من جهة أخرى. ومن الطبيعي أن يتلون المذهب الرمزية بأطياف مختلفة وفقاً لتنوع الثقافات والبيئات التي تطور فيها.

**الرمزية في العصر الجاهلي:**

الرمزية بالمفهوم العربي القديم وبمعناه اللغوي، فقد نبعت من الأدب الجاهلي واستعارت ألوانها من طبيعة العقلية العربية الأصلية ومن مظاهر الحياة الجاهلية الخالدة. ونعلم أن الرمزية العربية تعتمد على الإيجاز وغير المباشرة في التعبير ولما كان الشعر الجاهلي هو أعرق الآداب العربية في العروبة واسبقها إلى الوجود، كانت كل المظاهر الأدبية العربية الخالصة ممثلة فيه خير تمثيل وكذلك كان الإيجاز وغير المباشر في التعبير ممثلين في أسلوب هذا الشعر في صورة متميزة وكذلك كان هذان الركنان صدى للحياة العربية والعقلية العربية في العصر الجاهلي[(8)].

---

(4)عساف خلف عبد، قراءة في مصطلح الرمز الشعري، دار الفكرة ص 60.

(5) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبين، ط7، مكتبة الخانجي، ص169.

(6) عيد يوسف ، المدارس الأدبية ومذاهبها، دار الفكر اللبناني، ط1 1999م ص212.

(7) عباس إحسان ، فن الشعر، دار الشروق، ط5، عمان – الأردن، 1992م، ص 57 –60.

(8) الجندي درويش ، الرمزية في الأدب العربي، دار النهضة، 2016م، ص30.

**الرمزية في العصرين الإسلامي والأموي:**

فتح الإسلام في حياة العرب صفحة جديدة، تخالف ما كانوا عليه في الجاهلية في شتى مناحي الحياة وهذا يدل على أن الحياة في هذا العصر قد بدأت تتغير من البساطة والسذاجة إلى التركيب والتعقيد ولما كان الأدب يمثل طابع الحياة ويتلون بألوانها فلا يد أن ينحاز الأدب الإسلامي إلى ما بدأت الحياة الإسلامية تنحاز إليه من هذا التركيب والتعقيد(9).

والجدير بالذكر أن العرب في العصر الإسلامي لم يتأثروا كثيرا بالحضارات الأجنبية والتيارات الأعجمية بوجه خاص ولم يمعنوا في التعميق في المظاهر الجديدة التي طرأت على الحياة العربية بظهور الإسلام بوجه عام.

ولا ننكر أن الحياة العربية في هذا العصر قد بدأت تسير في طريق يخالف ما كان عليه في العصر الجاهلي وتجري نحو التحول من حياة البدائية الساذجة إلى حياة الحضر المعقدة، ولكن فقد كان تطور الحياة العربية في ذلك العصر لا خطر له ومظاهر التطور كانت في جملتها ضيقة ويرجع ذلك إلى قربه من العصر الجاهلي(10).

**الرمزية في العصر العباسي:**

فلما جاء عهد العباسيين بدأ عهد جديد له طابع يغاير كثيراً طابع العروبة الخاصة التي تجلت في الأزمنة السابقة فقد قامت دولة العباسيين على أكتاف الفرس، فقربوهم إليه واتخذوا منهم الأعوان والقواد مكافأة لهم وعملوا على صنع دولتهم الفارسية، وقطعوا كل صلة بينهم وبين المعيشة البدوية، واتخذوا لأنفسهم من ملوك الفرس مثلاً يحتذونها في ضروب الحياة(11).

فتغيرت الحياة العربية، وبعد أم كان أقل تكلفا وأكثر سذاجة وأدل على الذوق العربي البسيط – أصبحت أميل إلى التكلف والتعقيد وبدأ العباسيون ينتقلون بحزافيرها إلى العادات الجديدة وبالغوا في الأخذ بأسباب الحضارة الفارسية.

فإن الطبقة المترفة الناعمة كانت تحيا حياة مليئة بضروب التعقيد والأنفة والزخرفة في جميع جوانبها وفي ظل هذه الحياة وفي رحاب هذه الطبقة كان يعيش جمهرة الشعراء والأدباء وكما تعقدت الحياة المادية، تعقدت الحياة العقلية ولقد نقل العرب في هذا العصر إلى لغتهم ثقافات الشعوب التي غلبتها على أمرها وبعد أن كان النقل في عهد بني أمية محدوداً ازدادت حركة النقل في عهد العباسيين وشملت علوم اليونان ومعارف

---

(9) المرجع السابق، ص161.

(10) الجندي درويش، الرمزية في الأدب العربي، دار النهضة، 2016م، ص181.

(11) الزيات احمد حسن ، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر، ب ت، ص210– 211.

(2) الجندي درويش ، الرمزية في الأدب العربي، 221.

الفرس وحكم الهند . وكل ذلك كان له أثره في رقي الحياة العقلية وشـــعب الثقافة وبعد الفكر عن الفطرة الساذجة، وجنوح الخيال والتعبير في العصر العباسي إلى لون من التعقيد والمبالغة.

وقد كان إلى جانب الضـــغط الفكري في هذا العصـــر لونان آخران من الضـــغط كان لهما أثرهما في الرمزية وهما الكبت السياسي والضيق الاقتصادي . والحق أن خلفاء الدولة العباسية الأولى كان لهم من القوة والحزم ما جعلهم يرقبون في نقطة وحرص إضـــعافا لدولتهم وخطراً عليها، فأضـــعفوا النزاعات الحزبية القديمة وعمدوا إلى الإسراف في التنكيل بالخصوم عرفاناً بحق الملك وحرصه على نجاة الدولة من خطر البغي وفي ظل هذا الكبت السياسي الواقع على الشعوب الإسلامية من الخلفاء وغيرهم كان لابد وأن يتخذ التعبير الأدبي أحياناً شـيئاً من الرمز ليجني صـاحبه من الأذى والضـرر. وأما الضـغط الاقتصـادي فبيانه أن الإمعان في الترف واللذة في الدولة العباسـية كان إلى جانبه فقر مرقع يقع فيه العلماء وعامة الشـعب من صـغار التجار والمزارعين ومن الصـناع وفلاحين في الأسـواق والحقول ، ولما انقسـمت الدولة العباسـية إلى دويلات وإمارات في عصـرها الثاني بلغ التفاوت بين الطبقات نهايته وقد كان لهذا الضـغط الاقتصـادي أثره في انتحاء بعض المؤلفات الأدبية ناحية رمزية . وهكذا كالضغط بجميع ألوانه الفكرية والسياسية والاقتصادية عاملاً له أثره في الرمزية في هذا العصر[12].

كما لاحظنا هناك عوامل مختلفة أدت إلى نشـاط التعبير الرمزي على ألسـنة الأدباء واسـتتبع ذلك أن يتضح معنى الرمز في أذهان النقاد وأن يعملوا على تحديده ويبينوا فروعه وأنواعه في هذا العصر ، وأول من تكلم عن الرمز بالمعنى الاصـطلاحي هو قدامة بن جعفر (المتوفي 337 هـ. ق) وهو عقد في (نقد النثر باباً للرمز، ففسره أولاً تفسـيراً لغوياً فقال: (هو ما أخفى من الكلام) وفي كتابه "نقد الشـعر" ينقل مفهوم الرمز من معناه الحســي اللغوي إلى مصــطلح أدبي، إذ يطلق الإشــارة – وهي معني الرمز – على الإيجاز ويقول في تعريف الإشارة: "أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها".

وجاء ابن رشيق المتوفي (456 هـ. ق) بعد قدامة، فخطا خطوة أخرى في تحديد مفهوم الإشارة الأدبية فعرفها تعريف طابق فيه بين مميزات الإشـارة الأدبية والإشـارة الحسـية ولم يقتصـر في هذا التعريف على ما يفيد الإيجاز – كما فعل قدامة – وإنما أضاف إلى الإيجاز غير المباشرة في الدلالة . ثم ذكر الإشارة الأدبية لا مرادفاً لها ملاحظاً جانب الخفاء والغموض في ذلك النوع[13].

**الرمزية في العصر الحديث:**

---

(1) البستاني بطرس، أدباء العرب، (العصر العباسية)، دار نظير عبود، ج3 /204.

(2) الجندي درويش، الرمزية في الأدب العربي، ص 220، 228..

أما الرمزية في عصـــرها الحديث "فهي مذهب ظهر بعد عام 1889م عندما اتجه الأدباء إلى الموضـوعات النفسـية فاكتسـبوا حاسـة الغموض وغريزة التعاطف العامة"[14]. والرمز وجد في الأدب العربي القديم، والرموز اللغوية كثيرة جداً فالريح وللرماد والربيع رموز اسـتخدمها الشـعراء قديماً ومازالت تسـتخدم، والرمزية في الأدب الحديث هي تقليد لبعض المدارس الأدبية الغربية ومن أمثلتها تراسـل الحواس وإضـفاء شيء من الغموض والإبهام على الصورة الشعرية[15].

**المحور الثاني: لمحة عامة عن قبيلة هذيل وتعريف بأبي ذؤيب الهذلي ونسبه.**

**أ/ لمحة عامة عن قبيلته:**

تعد قبيلة هذيل من أكبر وأقوى القبائل التي سكنت الحجاز ، وإذا ما بحثنا عن أصـله ، ولمن يرجع نسـبها ، نجد أنها تعود إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضـر بن نزار بن معد بن عدنان. وهم بطن من خندف[16].

ويبدو أنه لم يحدث خلاف ذو بال في نسب القبائل العدنانية التي استقرت في وسط الجزيرة ، لاسيما ما كان منها موغلاً في البداوة كالهذليين وغيرهم من القبائل البدوية[17]. وهذيل الجد الأول للهذليين هو أخ لجد القرشيين ، خزيمة بن مدركة ، وولد لهذيل بن مدركة أربعة أبناء هم: سعد ولحيان وعميرة وهرمة ، وأمهم ليلى بنت فران بن بليّ بن قضاعة[18].

كانت هذيل في جاهليتها تعبد الصنم المعروف باسم سواع وسدنته هم بنو صاهلة من هذيل، وقد هدم هذا الصنم في السنة الثامنة للهجرة ، حين فتحت مكة[19].

ومن أشـهر أخبار هذيل بعد الإسـلام أن عبد الله بن مسـعود أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله وغزواته[20].

---

(14) أمين أحمد، النقد الأدبي، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 1387هـ، 426/2.

(15) عبدالقادر، أبو شريفة، حسين قذق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط3، عمان، دار الفكر، 1420هـ، ص63.

(16) ابن حزم، أبو محمد بن أحمد بن سـعيد الأندلسـي، جمهرة أنسـاب العرب ، تحقيق : عبد السـلام هارون، الطبعة 3 ، القاهرة دارة المعارف، 1391هـ – ص9

(17) القلقشـندي، قلائد الجمان في التعريف لقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثانية، بيروت دار الكتاب اللبناني، 1401هـ ، ص133 .

(18) السويدي، أحمد أمين، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ص34

(19) القلقشندي، أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، الطبعة الأولى ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 1405هـ ، ص387.

(20) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت دار الكتب العلمية، 368/2.

هناك ظواهر تلفت الانتباه ، وهي كثرة الصـعاليك عند الهذليين ، وقد برر أحمد كمال ذكي هذه الظاهرة بأن هذيل كانت تسكن في بيئة جبلية مما دعاها إلى التفرق ، فيقول: أن الهذلي روحه فردية[21].

أمتاز شـعر الهذليين بالتحرر من المقدمات الغزلية إلا عند بعض الشـعراء: كأبي ذؤيب وسـاعده بن جؤية ، وهذا التحرر أكثر ما يظهر عند الصـعاليك، ويعلل الدكتور أحمد ذكي ذلك: بأن الصـعاليك لم يكن يتاح لهم ما يتاح للوادعين الناعمين ، فهم لم يتغزلوا ولم يبكوا الدمن لأنه لم يكن لهم عهداً قديم يذكرونه فهم يعيشون في حاضرهم[22]. ومن سمات شعره : استخدام اللفظ الغريب والذي لا يدعوا إلى النفور ، أو استثقال الآذان له؛ لأنه لا يأتي متكلفاً ، بل هم يعبرون في أشـعاره بألفاظ يسـتعملونها أصـلاً في حياتهم اليومية البدوية. وتعتبر الروح القصـصـية سـمة بارزة ، تتضـح لمن يتأمل ديوان الهذليين، خاصـة عند أبي ذؤيب وسـاعده بن جؤية، وأبي خراش ، وسـنكتفي بذكر أبو ذؤيب الهذلي لإبراز هذه السـمة من خلال عينته التي رثى فيها أبناءه مع بيان مظاهر الرمزية فيها.

**ب/ التعريف بأبي ذؤيب ونسبه:**

هو خويلد بن خالد بن محرث بن زبير بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هزيل بن مديحة أن ألياس بن مضر بن نزار[23].

وجاء نسـب الشـاعر في خزانة الأدب مطابقاً لما ذكر وسـابقاً مع اختلاف الجد الخامس فإنه ورد في الأغاني كاهلاً بن الحارث، وورد في الخزانة كاهلاً بن معاوية[24]. أما ابن قتيبة فيكتفي من نسـب الشـاعر باسم أبيه فيقول: هو خويلد بن خالد جاهلي إسلامي[25]. وقد عُرفت قبيلة هزيل بكثرة شعرائها، فاحتلت مكانة شعرية مرموقة بين قبائل العرب، وأحتل أبو ذؤيب لقب أشعر هزيل، فقد سُئل حسان بن ثابت ثوماً من أشعر الناس؟ قال: أحياً أم رجلا؟ قالوا: حيَاً، قال أشعر الناس حيَاً هزيل، وأشعر هزيل غير مدافع أبو ذؤيب[26].

---

(21) ذكي ، أحمد كمال، شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة، 1389هـ ، ص48

(22) المرجع السابق، ص234

(23) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، القاهرة، دار الشعب (1389هـ/1969م)، ج6 ص2344، ابن الأثير، أسد الغابة، 2: 150، طبقات فحول الشعراء، 1: 123.

(24) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب والسان العرب، ط1، بولاق، المطبعة الأميرية، (1299هـ)، ج3 / 203.

(25) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاعر، القاهرة، دار المعارف، (1966م)، ج1/653.

(26) الأغاني/ ج6/ 469.

وما يهمنا من هذا الخبر مكانة أبي ذويب الشعرية، فقصيدته العينية تشهد على هذه المكانة. فقد حاكى أبو ذؤيب الحياة بكل ما فيها. ومحاكاة الحياة هي جوهر الفن؛ لأنه أحبها، ورآها هي الجميل، بل رأى الجميل فيها، كان يخاف من الموت فقط، وما عدا ذلك كانت الحياة جميلة في نظره. تميز شعره بسمة القصّ. فكانت قصائده تحتوي على قصص شعرية متكاملة الأركان.

ومن أشهر قصائده عينيته التي رثى فيها أبناءه، ورد في الأغانْ أن أولاده الخمسة أصيبوا بالطاعون، وماتوا، في حين أورد صاحب العقد الفريد أنه كان له من الولد سبعة ماتوا كلهم إلا طفلاً[27].

**المحور الثالث: مظاهر الرمزية في عينية أبي ذؤيب الهذلي:**

**أ/ لمحة عن عينية أبي ذؤيب:**

عُدّ أبو ذؤيب أشهر هزيل بفضل قصيدته العينية، وغدّت هذه القصيدة من عيوب الشعر العربي. فقد قيل[28]: إن أبدع بيت قالته العرب هو قول أبو ذؤيب[29].

**والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُردُ إلى قليل تقنعُ**

وقيل أن أشعر نصف بيت قول أبي ذؤيب:

**والدهر ليس بمعتب من يجزع**[30]

ويروى أنه لما مات ولد جعفر بن المنصور الأكبر طلب من الربيع بن يونس – مولى المنصور – قائلاً: يا ربيع، أنظر من في أهلي ينشدني (أمِنَ المنون وريبها تتوجع...)[31] حتى أتسلى بها عند مصيبتي، فلم يجد من يحفظها، فرجع فأخبره، فقال: والله، لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب أعظم، وأشدُ عليّ من مصيبتي بابني، ثم قال: أنظر، هل في القواد، والعوام من الجند من يعرفها، فلم يجد، ثم وجد شيخاً كبيراً مؤدباً، فأوصله إلى المنصور، فاستنشد إياها، ولما وصل إلى قوله (والدهر ليس بمعتب من يجذع) قال: صدق والله، فانشدني هذا البيت مئة مرة، ليتردد هذا المصراع عليّ، وأمر له بمئة درهم.

**ب/ رمزية الحمار الوحشي وصراعه للبقاء:**

---

(1) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م ج253/3.

(28) ابن عبد ربه العقد الفريد، ج253/3.

(29) ديوان الهزليين، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب، ص5.

(30) العقد الفريد، ج272/5.

(31) الأغاني، ج475/6.

**وتبدأ رمزيته بقوله[32]:**

**والـدَّهْـرُ لا يَـبْـقـى عـلـى حَـدَثَـانِـهِ جَـوْنُ السُـــرَاةِ، لَـهُ جَـدَائِـدُ أَرْبَـعُ**

**صَـــخِـبُ الشّـــوارِبِ، لا يَـزالُ كَـأَنّـه عَـبْـدُ لِآلِ أبـي رَبِـيـعـةَ مُسْـــبَـعُ**

**أَكَـلَ الـجَـمِـيـمَ، وطـاوَعَـتْـهُ سَـــمْـحَـجٌ مِـثْـلُ الـقـنـاةِ وأَزْعَـلَـتَـهُ الأَمْـرَعُ**

أشار الشاعر إلى أنه لا يفلت من الدهر ولا يبقى على حدثانه كائن، فكل كائن على وجه هذه الأرض إلى فناء حيث أتخذ الشاعر الحمار الوحشي رمزاً، فهذا الحمار، كثير النهاق عالي الصوت، وكأنه عبد داهم السبع غنمه، فهو يصيح بأعلى صوته؛ حتى يأتي من ينقذه ويشير إلى تنعم ذلك الحمار أنه قد أكل نبتاً كثيراً ، وتتبعه أتن أربع، "طويلة الظهر ليست عالية وهذا وصف الأتان المحببة لدى الحمار، وهذا الحمار إذن ناعم المطلبين الأساسيين اللذين ينعم بهما كل حمار، يعني الطعام والمتاع وليس له وراء ذلك مطمع؛ لأن الله سبحانه قد أراحه مما شغل به غيره، هذا الحمار ما أجمل قناعته وما أحسن حكمته فليس لطرفه أي امتداد..."[33].

**بِـقَـرارِ قـيـعـانٍ، ســـقـاهـا وابـلٌ واهٍ، فـأَثْـجَـمَ بُـرْهَـةً لا يُـقْـلـع**

**فَـلَـبِـثْـنَ حـيـنـاً يَـعْـتَـلِـجْـنَ بِـرَوضِـــهِ فَـيَـجِـدُّ حـيـنـاً فـي الـعِـلاجِ ويَسْـــمَـعُ**

**حَـتّـى إذا جَـذَرتْ مِـيـاهُ رُزُونِـه وبـأيّ حـيـنٍ مِـلاوَةٍ يَـتَـقَـطّـعُ**

**ذَكَـرَ الـوُرودَ بِـهـا وشـــاقَـنـي أمْـرَهُ شُـــؤْمٌ وأَقْـبَـلَ حَـيْـنَـهُ يَـتَـتَـبَـعُ[34]**

وبالإضـــافة إلى ذكر تنعم الحمار بالمراعي الخضـــراء فإن المكان الذي يعيش فيه قيعان وافرة المياه سقتها أمطار غزيرة، بقيت تهطل وقتا ، وهذه الحمر أحياناً تلعب وتمرح بقى الحمار في هذا التنعم والخصب فترة طويلة، ولكن فدوام الحال من المحال. فقد جفت مياه ذلك الروض فتذكر الحمار مورد ماء آخر، وعزم على الذهاب إليه وهنا تظهر ملامح ما يعاينه ذلك الحمار من تحمل للمســؤولية التي على عاتقة وكأنه المسؤول الوحيد عن رعيته المكابد في تلك الحياة لتنعم رعيته بالأمن والاستقرار في قوله[35]:

**فـأفْـتَـنَـهُـنّ مِـنَ الســـواءِ ومـاؤُهُ بَـثْـرٌ وعَـانَـدَهُ طَـرِيـقٌ مَـهْـيَـعُ**

---

(32) السكري أبو سعيد، (شرح أشعار الهزليين)، دار العروبة، ج1 ص4.

(33) أبو موسي محمد، قراءة في الأدب القديم، ط4، مكتبة وهبة ، 1432هـ، ص 152.

(34) القرشي أبوزيد محمد الخطاب، جمهرة أشعار العرب، دار نهضة مصر، 1401هـ، ص687.

(35) الهزليون، ديوان الهزليين، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب، ص5.

فَكأنّها بالجِزْعِ بين يُنَابِعٍ و أُولاتِ ذِي العَرْجَاءِ نَهْبٌ مُجْمَعُ
وكأنّهُنّ رَبَابَةٌ وكَأنّهُ يَسْرٌ يَفِيضُ على القِدَاحِ ويَصْدَعُ
وكأنّمَا هُوَ مِدْوَسٌ مُتَقَلِبٌ لكَفِ إلاّ أنّهُ هُوَ أضْلَعُ

فقد تحدث الشاعر عن مسير الحمار بأتنه للماء، فهو قد طردهن وسار بهن في طريق سهل واسع مما زاد في اندفاعه وجريه، حتى كأنه مدوس وهو يسوق الأتن أمامه، وصل الحمار مورد الماء بقول[36]:

فَوَرَدْنَ والعَيّوقُ مَقْدُر أبِئ لضُّرَبَاءِ فَوْقَ النّجْمِ لا يَتَتَلّعُ
فَشَرَعْنَ في حَجَرَاتِ عَذْبٍ بارد صَبِ البِطَاحِ تَغِيبُ فِيهِ الأَكْرَعُ
فَشَرِبْنَ ثُمّ سَمِعْنَ حِسّاً دُونَهُ زَفُ الحِجَابِ وَرَيْبَ قَرْعٍ يُقْرَعُ
ونَمِيمَةً مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِبٍ ي كَفّهِ جَشْئٌ أجَشُ وأَقْطُعُ

وصلت الحمر مورد الماء في ذلك الوقت المتأخر من الليل، فذلك الوصف للنجوم لا يكون إلا في وقت السحر، وفي شدة الحر، وشرعت في شرب الماء العذب البارد، وبعد أن ارتوت سمعت صوتاً من مكان يفصلها عنه مرتفع، يختبئ وراءه صائد يترصد بختل وحيطة، وقد أعد آلة الصيد القوية.

ثم يرمز إلى الدهر وتربصه بالإنسان كالصياد الذي يتربص طريدته يقول[37]:

فَنَكَرْنَهُ فَنَفَرْنَ وأمْتَرَسَتْ بِهِ وجَاءُ هَادِيَةٌ وهَادٍ جُرْشُعُ
فَرَمَى فأنْفَذَ مِنْنَحُوصٍ عَائِطٍ مْماً فَخَرّ وريشَهُ مُتَصَمّعُ
فَبَدَالَهُ أَقْرابُ هذا رائِغاً لاً فَعَيّثَ فِي الكِنَانَةِ يُرْجِعُ
فَرَمَى فأنْحَقَ صَاعِدِياً مِطْحَرَاً لكَشْحِ فاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الأضْلُعُ
فأبَدّهُنّ حُتُوفَهُنّ فَهَارِبٌ مَائِهِ أوبَارِكٌ مُتَجَعْجِعٌ

نكرت الأتن الصياد، حيث شعرت بوجوده، الذي أثار خوفهن ونفورهن الشديدين ومن ثم التصقن بالحمار وانطلق الجميع في ذعر، تارة تسبق الأتن الفحل، وأخرى هو يسبقها، ولم يلبث الصياد أن رمى أتاناً شديدة السمن، فنفذ فيها السهم وسقطت وريشها ملتصق من الدم. ثم التفت إلى الفحل، وأرجع يده إلى كنانته،

(36) ميمون محمد بن المبارك، منتهي الطلب من أشعار العرب، ط1، دار صادر، ص127.
(37) الضبي محمد بن المفضل، (المفضليات)، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، ط6، دار المعارف ، مصر، د.ت، ص425.

و عيث فيها، ليخرج سهماً آخر، ويلاحظ هنا دقة استخدام الشاعر لكلمة عيث؛ لتدل على أن نظر الصائد كان منصرفاً إلى الصيد، بينما كانت يده تنتقل في الكنانة باحثة عن سهم مناسب يختاره فاختار سهما صاعدا سريعا ، ورمى به فاستقر بين أضلع الحمار. وبعد ذلك أخذ يتناول سهامه ويرمي بها الأتن واحدة تلو الأخرى، فأصبحت بين باركة على الأرض وبين هاربة ببقية أنفاسها وهذه الصورة رمز للصراع بين البقاء على قيد الحياة أو الموت وما بين زعر وطيش وهروب وفزع تنتهي صفحة هذا الحشد من خلق الله الأعزل وتنتهي بهذه اللوحة المأساوية التي تنزف دماً و ألما " وبذلك تنتهي قصة هذه المخلوقات العاجزة عن أن تدافع عن نفسها التي تواضع طموحها فلم يتخط أرضاً مرعة وأتانة يعضها وتعضه ثم هو من قوته وفراهته لا يملك أي وسيلة من وسائل حفظ الحياة "[38].

**جـ/ رمزية الثور الوحشي وصراعه مع كلاب الصيد يقول:[2]**

**والـدّهْـرُ لا يَـبْـقَـى عـلـى حَـدَثـانِـهِ شَـبَـبٌ أفـزَّتْـهُ الـكِـلابُ مـرَوّعُ**

**شَـعَـفُ الـكِلابِ الضّـارِبـاتُ فُـؤادَهُ فـإذا يَـرَى الصُّـبْـحَ المُصَـدِّقَ يَـفْـزَعُ**

**ويـعُـوذُ بـالأَرْطَـى إذا مـا شَـفّـه قَـطْـرٌ وراحَـتَـهُ بَـلِـيْـلٌ زَعْـزَعُ**

**يَـرْمِـي بِـعَـيْـنَـيْـهِ الـغُـيُـوبَ وطَـرْفُـهُ مُـغْـضٍ يُصْـدّق طَـرفُـهُ مـا يَسْـمـعُ**

يبدأ الشاعر بالحديث عن ثور مكتمل القوة والشدة، قد اكتسب خبرة من كثرة مطاردة الكلاب له؛ لذا فهو شديد الخوف والحذر، إذا ما بان ضوء الصباح؛ لأن الصياد عادة ما في هذا الوقت للصيد، والثور يلتجئ بشجر الأرطى، ذلك الشجر الذي إعتاد البقر على اللجوء إليه، إذا ما داهمته الريح الباردة القوية التي تزعزع الأشجار، وهو لشدة خوفه وحذره لا يكتفي بهذا الاحتماء، بل يراقب بعينين خائفتين المواضع التي لا يرى ما وراءها، مخافة أن يكون عدوه مختبئاً وراءها، وما يلبث أن يغض طرفه، ولكنه سرعان ما يعيد النظر، وإذا سمع صوتاً يسرع الإلتفات جهته؛ لعله يدرك مصدره[39].

**فـغـدا يُشَـرّقُ مَـتْـنَـهـا فَـبَـدا لـه أَولَـى سَـوابِـقَـهَـا قـريـبـاً تُـوزَعُ**

**فـانْصَـاعَ مِـنْ فَـزَعٍ وسَـدّ فُـرُوجَـهُ غُـبْـرٌ ضَـوارٍ وافـيـانٍ وأجْـدَعُ**

**فَـنَـحَـا لـهـا بِـمُـذَلّـقَـيْـنِ كـأنّـمَـا هـمـا مـن الـنّـضْـحِ المُـجَـدَحِ أيْـدَعُ**

**يَـنْـهَـسْـنَـهُ ويَـذُودُهُـنّ ويَـحْـتَـمِـي بـلُ الشّـوَى بـالـطُّـرّتَـيْـنِ مُـوَلّـعُ**

(38) أبو موسي محمد، قراءة في الأدب القديم، ص55.

(39) السكري، شرح أشعار الهزليين، ص29.

ابتعد الثور عن شجر الأرطى؛ يعرض متنه للشمس؛ طلباً لجفاف ما يبلله من الندى وبينما هو كذلك، رأي أول كلب من كلاب الصيد، واقفاً ينتظر البقية للهجوم على الثور هجمه واحدة لا يستطيع منها فراراً ولا فكاكا ، ورؤية هذا الكلب كانت بمثابة المنذر، ففر الثور هارباً مسرعا ، حتى يخيل لمن يراه أنه لا توجد فرجة بين قوائمه؛ لسرعة حركتها، ولكن الكلاب تمكنت من الثور ونهشت لحمه، ومع ذلك لم يستسلم، وطعنها بقرنيه الأملسين الحادين، فأصبحا كأنهما قد حرك بهما صبغ أحمر اللون[40].

**حتى إذا ارتَدّتْ وأقْصَدَ عُصْبَةً منها وقامَ شَرِيدُهَا يتَضَوّعُ**

**فكأنّ سَفُودَيْنِ لَمّا يُقْتَرَا جِلا له بشِواءٍ شَرْبٍ يُنْزَعُ**

**فَصَرَعْنَهُ تَحْتَ الغبارِ وجَنْبهُ تتَرّبُ ولكلّ جنبٍ مَصرَعُ**

**فدنا لهُ ربّ الكلابِ بِكَفهِ يضٌ رِهابٌ ريشُهُنّ مُقَزّعُ**

**فكبا كما يكبو فنيقٌ تارِزٌ الخَبْتِ إلا أنّهُ هُوَ أبْرَعُ**

سقطت بعض الكلاب صرعى، وعندما رأت بقيتها ما آل إليه حال تلك الكلاب، ارتدت متصاغرة، خائفة من أن تلاقي نفس المصير.

ربما يظن القارئ بأن هذه هي النهاية، بل هي من الممكن أن تكون النهاية ولكن الشاعر جعل هذا المشهد من بين سلسلة الأحداث؛ لأن إفلات الثور ونجاته ليست النهاية التي يرمى إليها الشاعر، ليست هي النهاية التي تصور ما بنفسه وتتناسب مع نفسيته المشحونة بالحزن.

يوالي الشاعر تسلسل أحداث قصته، ويقترب من نهايتها المحتومة، وتظهر لنا شخصية الصياد، الذي بدا مصمماً على تحقيق هدفه، فبالرغم من رؤيته لمصرع بعض كلابه، وفرار بقيتها، لم يتملكه اليأس بل جاء بنفسه حاملاً قوسه وسهامه.

**فبدا لهُ ربّ الكلابِ بكَفِهِ يضٌ رهابٌ ريشَهُنّ مقزعُ**

ورماه بأحد هذه السهام في جنبه فسقط ميتاً وكانت هذه النهاية. فهذا الثور الذي قتل أعداءه من كلاب الصياد ونجا قد امتلك قوة البقاء والدفاع عن النفس، ثم قارع منيته فنجا من صيد الكلاب، بيد أن المنية أتت إليه من سهام الصياد الذي كان متابعاً المشهد ومحركاً له وجاء دوره؛ ليضع نهاية هذا الثور القوي في صراعه، والحذر جداً من أعدائه، لكنه يلقى أجله ويخر صريعاً في نهاية المطاف.

(40) المرجع السابق، ص 32..

وفي الحقيقة هذه اللوحة الرمزية ذات شأن مفاده أن الإنسان قد يتولد لديه شعور بأنه قادر على تجاوز محن كثيرة في الحياة و أنه قادر على تحقيق انتصارات عظيمة بل قد يحققها فعلا ولكن كل انتصاراته ليست أكثر من وهم أمام الحقيقة الكبرى في الحياة أن كل شيء على هذه الأرض إلى فناء.

**د/ رمزية الفارسين وصراعهما للبقاء : يقول أبو ذؤيب :**

**والدهر لا يبقى على حدثانه مستعشراً خلف الحديد مقنع**
**حمية عليه الدرع حتى وجهه من حرها يوم الكريهة أسفع**
**تعدوا به خوصاء يفصم جريها حلق الرحالة فهي رخو تمذع**
**متفلق أنساؤها عن قانب كالقرط صاو غبره لا يرضى**

بطل القصــة فارس كمي ، يلبس درعاً ضــافية على جسـمه كله، حتى أنها تكاد تغطي وجهه ، والذي أثرت عليه حرارتها ، والمعنى حرص الفارس على حماية نفسه جعله يلبس هذه الدرع الضافية حتى لا يصله الطعان والضــرب وهو يعتلى فرس قوية ســريعة ، تظهر عليها آثار العناية والاحتفاء، لأن ذلك البطل الكريم قد آثر فرسه على نفسه وخصها بلبن ناقته.

ألتقى الفارس الأول بفارس آخر جريء شـجاع تعدو به إلى ميدان المعركة فرس سريعة اكتملت قوتها. فكيف ألتقى الفارسان؟

**فتناديا وتواقفت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مخدع**
**متحاميين المجد كل واثق ببلائه واليوم يوم أشنع**
**وكلاهما في كفه يزنية فيها سنان كالمنارة أصلع**
**وكلاهما متوشح ذا رونق غضباً إذا مس الضريبة يقع**
**فتخالسا نفسيهما بنوافز كنوافز العبط التي لا ترقع**
**وكلاهما قد عاش عيشة ماجد وحتى العلاء لو أن شيء ينفع**

ولأن الفارسين كلاهما شجاعان ؛ فلم يجبن أحد منهما عن المناداة أو طلب المبارزة ، فكلاهما حريص على الغلبة ، شديد الثقة في نفسه يلبس درعاً من أجود أنواع الدروع ، ويحمل رماح يزنيه وسيوفاً ذات صرامة وقطع.

ولكل ما ذكر عنهما فلم يكن الســـهل لأحدهما أن يتغلب على الآخر ، ولكن كل واحد منهما قد اختلس الآخر بطعنات نافذة شديدة الوقع ، لا يمكن أن تلتئم جراحها ، فهي كالشقوق لا ترقع بعد شقها، وهنا كانت نهايتهما فهما وإن عاشــا حياة كريمة ووصــلا إلى المجد والمعالم فإن هذا لم يمنع الموت عنهما إذ هو مصير الأحياء جميعاً.

لذلك ختم أبو ذؤيب قصته بالمصير المحتوم في قوله :

**فعفت ذو الريح بعد عليهما والدهر يحصد ربيه ما يزرع**

**وهناك بعض القرائن التي تربط بين الرمز والمرموز إليه منها:**

وصف الشاعر في بداية القصيدة الدهر بالصرامة وعدم الرجوع عما يريد، إذ هو لا يرأف بأحد مهما جزع الإنسان (والدهر ليس بمعتب من يجزع)، وتقابل هذه الصفة ما وصف به الصياد من أنه عندما رأى الثور ملقى (تحت الغبار وجبنه متترب) لم يثنه ذلك الإجهاز عليه؛ لأن الظفر به هو القصد الذي يسعى إليه.

وحوادث الدهر رمز لها بأدوات الصيد سواءً أكانت كلاباً أم سهاماً فالمنايا تترصد للإنسان وتجعله دائماً يتوجس منها. وتارة يرمز للمنايا بالكلاب وأخرى بالسهام، والمنايا قوية لا يمكن الاحتماء عنها.

**و إذا المنيةُ أنْشَبتْ أظفارها ألفيتُ كلّ تَميمَةٍ لا تَنْفعُ**

والكلاب قوية وتتجسد قوتها في كونها مدربة على الصيد (غير ضوار) وكذلك السهام قوية (في كفه جشئ أحبش وأقطع) لا يمكن الاحتماء عنها فالأتان عندما احتمت بالفحل لم ينجها، ذلك من السهم.

**فنَكَزْنهُ ونَفرنَ وامْترَستْ بهِ ظَعاءَ هادية وهادٍ جَرْشَعُ**

**فرَمى فانفذَ من نجودٍ عائِطٍ هماً فخرّ وريشه مُتَصَمِّعُ**

والأحياء رمز لهم بالحمار الوحشي وأتانه تارة، وبالثور تارة أخرى، فالأحياء يرغبون في العيش (والنفس راغبة إذا رغبتها) وقد يطمئنون إلى عيش ناعم(باتوا بعيش ناعم )، ولقد وصف الحيوانات بنفس هذه الصفات، فالحمار الوحشي (أكل الجميم وطاوعته سمحج) و (أزعلته الأمرع)، والأتن (شرعن في حجرات عذب بارد)، وكل هذا يدل على التمتع بعيش ناعم. ويذكر كذلك أن الأحياء لا يمكنهم النجاة من الموت وأن مصيرهم إليه.

**سبقوا هوى وأعنفوا لهواهُمُ تَخَرّمُوا ولكلّ جنب مصرع**

والثور الوحشي وصفه بنفس الصفات حتى أنه أعاد الشطرة نفسها عند قوله:

**فَصَرَعْنَهُ تحتَ الغُبارِ وجَنْبُهُ متتربٌ ولكلّ جَنْبٍ مَصْرَعُ**

وهذه الإعادة مما يؤكد الرمزية التي تحدث عنها وفي القصة الثالثة وصف الشاعر صراعاً أدى للفارسين إلى الموت ، ولكنه تخلص من الرمزية وجعل نهاية الفارسين على يد الدهر.

ويقابل ذلك في القصتين السابقتين كون نهاية الحيوانات على يد الصياد.

**الخاتمة....**

توصلت دراسة الرمزية عند شعراء هذيل عينية أبي ذؤيب نموذجاً إلى بعض **النتائج أهمها** :

- شكلت البيئة عنصر مهما من عناصر الرمزية في شعر أبي ذؤيب .

- وظف أبو ذؤيب الحيوان في صورة سمعية وحركية قدمها بألوان واقعية وأصوات حقيقية حتى نبعت عن تجربة حقيقية عاشها وشاهدها بعينه، وسمعها بإذنه ثم أفاض عليها من سحر لغته وجمال ألفاظه.

- طور أبو ذؤيب في شخصياته الرمزية، لكنه في كل مرة يصل إلى النهاية ذاتها مهما اختلفت الأحداث.

**المصادر والمراجع :**


1. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، القاهرة، دار الشعب (1389هـ/1969م).
2. ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن، أسد الغابة، تحقيق محمد إبراهيم، دار بيروت، 1386هـ.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت– لبنان.
4. أمين أحمد ، النقد الأدبي ، الطبعة الرابعة ، بيروت – دار الكتاب العربي ، 1387هـ.
5. البستاني بطرس، أدباء العرب، (العصر العباسية)، دار نظير عبود.
6. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، الطبعة الأولى، بولاق ، مطابعة الأميرية ، 1299م.
7. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبين، تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي.
8. الجندي درويش، الرمزية في الأدب العربي، دار النهضة، 2016م .
9. ابن حزم، أبو محمد بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، جمهرة أنصار العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة ، القاهرة دار المعارف ، 1391هـ.
10. ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية .
11. ذكي أحمد كمال، شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة، 1386هـ.
12. الزياد أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر.

13. السكري أبو سعيد، شرح أشعار الهذليين ، دار العروبة .
14. السويدي ، أحمد أمين، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى.
15. الضبي، محمد ابن المفضل، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر .
16. عساف خلف عبده، قراءة في مصطلح الرمز الشعري، دار الفكرة .
17. عيد يوســـف، المدارس الأدبية ومذاهبها، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ، 1999م.
18. عباس إحسان، فن الشعر، دار الشروق، ط5، عمان – الأردن، 1992م.
19. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط1، مكتبة التراث، بيروت – لبنان.
20. قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1403هـ
21. القلقشـــندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأنباري، الطبعة الثانية ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، 1401هـ
22. القرشي ، أبو زيد محمد بن الخطاب ، جمهرة أشعار العرب ، دار نهضة مصر ، 1401هـ.
23. ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبد الله بن مسـلم ، الشـعر والشـعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ، دار المعارف ، 1996م.
24. ميمون محمد بن المبارك ، منتهي الطلب من أشـــعار العرب، تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي ط1، دار صادر – بيروت.
25. أبو موسى محمد، قراءة في الأدب القديم، ط4، مكتبة وهبة /، 1432هـ
26. الهزليون، ديوان الهزليين، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب.
27. ابن عبده ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.

# الكلمات المتداخلة بين اللغتين العربية والفرنسية وأثرها على التبادل الثقافي واللغوي

د/ نادية عبد الرحيم محمد – قسم اللغة الفرنسية – كلية الآداب – جامعة أم درمان الأهلية
د. بشير محمد ادم عبدالله – قسم اللغة الفرنسية – كلية التربية – جامعة الخرطوم

**المستخلص**

تهدف الورقة إلى دراسة التبادل اللغوي والثقافي بين اللغة الفرنسية واللغة العربية وذلك بسرد بعض المفردات اللغوية التي تبادل استخدامها بين اللغتين .اعتمدت الدراسة على تحليل المصادر الثانوية والملاحظة مع بعض المقابلات مع الأشخاص ذوي الخبرة.

**اهم النتائج**

رصدت الورقة الكلمات الفرنسية المستخدمة في اللغة العربية كالاتي :

84 كلمة فرنسية مستخدمة في اللغة العربية قسمت كالآتي:-

كلمات التحية والمجاملة:4 كلمات

مفردات خاصة بالمأكولات والمشروبات:4 كلمات

الكلمات الفرنسية الخاصة بالوصف مستخدمة في اللغة العربية"6 كلمات

الكلمات الفرنسية الخاصة بمسميات الأشياء مستخدمة في اللغة العربية: 70 كلمة

تم رصد 30 كلمة فرنسية مستخدمة في العامية السودانية

تم رصد 29 كلمة عربية مستخدمة في اللغة الفرنسية

أكدت نتائج هذه الدراسة أن هنالك تواصل دائم بين اللغات المختلفة خاصة اللغة العربية واللغة الفرنسية مما ساعد في تطوير التبادل اللغوي والثقافي. كما أثبتت الدراسة أن اللغة العربية الدارجة تحفل بكثير من الكلمات الأجنبية التي دخلت إليها من لغات أخري من بينها اللغة الفرنسية وقد تم استخدام هذه الكلمات على نطاق واسع في الحياة اليومية، إما لسهولة لفظها أو لقصرها أو لصعوبة المرادف لها من العربية الفصحي.

**Abstract**

The paper aims to study the linguistic and cultural exchange between French and Arabic by listing some vocabularies exchanged between the two languages. The study relied on the analysis of secondary sources and observation with some interviews of the experts.

The most important results

The paper spotted the French words used in Arabic as follows: Eighty four French words used in Arabic divided as follows: - Greeting and courtesy: 4 words

Vocabulary for food and beverages: 4 words

French words for description used in Arabic: 6 words

French words for the names of things=: 70 words.

Thirty French words identified in the Sudanese dialect

Twenty-nine Arabic words detected in the French language

The results of the study confirmed the constant communication between different languages, especially Arabic and French, which helped in the development of linguistic and cultural exchange. The study also proved that the Arabic dialect is full of foreign words entered from other languages, including French, and these words are widely used in everyday life, either for the ease of pronunciation or because of the difficulty of their matching with classical Arabic.

**المقدمة**

استعارة المفردات الأجنبية ليست بالظاهرة الجديدة، ففي القرن السادس عشر الميلادي والذي تزامن مع عصر النهضة في أوربا استعارت اللغة الفرنسية كثير من المفردات الإيطالية خاصة في مجال الفنون والآداب. تعتبر الاستعارة من مفردات اللغات الأجنبية من المصادر الهامة في تغذية القاموس اللغوي.

يرجع تداخل المفردات العربية في بعض اللغات الأوربية إلي الفتوحات الإسلامية في جنوب أوروبا (الأندلس) وإلي التبادل التجاري في تلك الفترة، إضافة إلي التبادل الثقافي والفكري. ذكر رمضان عبد التواب

(1987) ص 258 أن العالم العربي شـهد في فترات من تاريخه حروباً أحدثت حراكاً واسـعاً وهجرات فردية وجماعية نتج عنها تبادل تجاري داخلياً وخارجياً. نتج عن ذلك تأثر اللغة العربية وتأثرها مع غيرها من اللغات وأخذت تنتشر بصفة كبيرة في قاموس مفردات الأقطار المفتوحة.

لا أحد منا ينكر تداخل وتلاقح اللغات في ما بينها بصـورة مباشـرة أو غير مباشـرة، وأن أية لغة من اللغات في العالم كما تؤثر في غيرها، فإنها أيضا تتأثر بها. ويعتقد أن تطور اللغة مستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيراً ما يؤدي دوراً هاماً في التطور اللغوي والثقافي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضـرورة تاريخية، ويؤدي حتماً إلي تداخلها..(فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدوالي ومحمد القصـاص، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ص 34).

يري عبد الصبور شاهين ( 1986، 226): دراسات لغوية، القباس في الفصحي والدخيل في العامية : أن أهم ناحية يظهر فيها التداخل اللغوي تتعلق بالمفردات حيث تنشـط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباس بعضـها من بعض. ولهذه الظاهرة اللغوية عواملها التي يتتبعها الدارسون عبر مسيرة الصـراع اللغوي بين اللغات من أجل البحث عن الأسـباب التي تجعل لغة ما أكثر انتشـاراً من أخري ودرجة صـمودها أمام غزو اللغات الأخرى لها. ومن بين هذه العوامل ذكر عبد الصبور شاهين أن العامل الحضاري والثقافي للغة هو الأهم في التأثير والتأثر بين اللغات والعامل الثاني هو كثرة الناطقين بها.

توجد عدة أسـباب وعوامل تؤدي إلي تأثير وتأثر اللغات ببعضـها. يري د. توفيق محمد شـاهين (1980، ص ص 129 – 131) أن الغلبة والانتصـار في الحروب والصـراعات تجعل المهزوم يميل إلي تقليد المنتصر، خاصة إذا كانت للمنتصر حضارة وثقافة ورقي وليست له شيء من ذلك. يضاف لذلك الهجرة والتنقل والتجاور والتعايش. تتأثر اللغات أيضـاً بالاحتكاك والتبادل التجاري، حيث أن المعاملات التجارية وكثرة المفردات المتداولة فيها لها تأثير كبير على التبادل الثقافي واللغوي.

الحروب الصليبية مثلاً نقلت إلي اللغات الأوربية كثيراً من المفردات ومعلوم أيضاً أن الإسبانية أخذت من العربية بعض مفرداتها أثناء فترة الأندلس. (سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص 36). والملاحظ أيضا أن للعلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب أثر عميق في التبادل والتأثير والتأثر بين اللغات في العالم. ونتيجة للتعايش بين اللغات يقع التأثير والتأثر بين اللغات المتمثل في اقتباس وتبني المفردات الأجنبية فيتسع قاموس لغة وتتطور وتزداد حيويته.

كما أن التطور التكنولوجي والعلمي انعكس إيجاباً على نقل المفاهيم العربية إلي المجتمع الغربي. ذكر د. محمد رشـاد الحمزاوي (1986) في كتابه "العربية والحداثة" أن اللغة شـكلت ظاهرة اجتماعية وجسـر

للتفاهم والتواصل والتبادل بين أفراد المجتمع. تعد اللغة من أهم مقومات أي أمة وتعبر عن واقعها من حيث التطور أو التخلف ومن حيث القوة أو الضـــعف. اللغة التي تســـتعير بعض مفرداتها إلي لغات أخري تعتبر لغة حية أثرت في غيرها وتأثرت بها، ولا توجد لغة لا تشمل مفرداتها على مفردات مستعارة من لغة أو لغات أخري لأن هذه سنة الحياة وحتمية التعايش ويوضح هذا مدي تأثر وتأثير المجتمعات ببعضها. ويعتبر د. الحمزاوي أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية ويؤدي إلي تداخلها.

ذكرت الكاتبة هنريت والتر (1997) في كتابها "الكلمات الفرنسية القادمة من الخارج" أن الاستعمار الفرنسي الذي اجتاح المغرب العربي وبلاد الشام ومصر ساعد في استخدام كثير من المفردات العربية

في الفرنسية الدارجية الشفهية (بلد beld)، (طبيب toubib)، (فلوس flouss)، تأثرت دول المغرب العربي باللغة والثقافة الفرنسية نتيجة للاستعمار الفرنسي لهذه الدول والذي دام لأكثر من قرن من الزمان. الجزائر استعمرت منذ عام 1830 حتي استقلالها 1954. تونس ظلت تحت الحماية الفرنسية منذ عام 1881 حتي استقلالها 1958 والمغرب ظلت تحت الحماية الفرنسية منذ 1911 حتي استقلالها1956تعتبر اللغة الفرنسية من بين اللغات الأوربية التي احتك بها العرب كثير، خاصةً في فترة النهضة العلمية في الوطن العربي حيث تم إرسال البعثات العربية إلي فرنسا لنيل العلم والمعرفة والثقافة والأدب والخبرات في مجالات عديدة وبدأتها مصر عام 1809، ثم تبعتها بعض الدول العربية مثل الجزائر، سوريا.

**الهدف العام للبحث:**

تهدف الورقة إلى التعرف على التبادل اللغوي والثقافي بين اللغة الفرنسية واللغة العربية وذلك بسرد بعض المفردات اللغوية التي تبادل استخدامها بين اللغتين.

**الأهداف الخاصة :**

* تحليل وعرض العلاقة بين الحضور المتميز للثقافة واللغة الفرنسية والتداخل اللغوي والثقافي بين شعوب المغرب العربي وبعض البلدان العربية الأخرى وبين فرنسا
* عرض للكلمات الفرنسية المستخدمة في اللغة العربية حيث تقسم بحسب المجالات الأتية :-
* كلمات التحية والمجاملة
* كلمات خاصة بالمأكولات
* مفردات خاصة للوصف
* مفردات خاصة بمسميات الأشياء
* عرض المفردات الفرنسية في العامية السودانية
* عرض وسرد للكلمات العربية المستخدمة في اللغة الفرنسية

**منهجية الدراسة :**

اعتمدت الدراسة على تحليل المصادر الثانوية والملاحظة مع بعض المقابلات مع الأشخاص ذوي الخبرة .

المصادر الثانوية التي تم تحليلها والكتب والفهارس والمجلات والدوريات العلمية المحكمة .

المصادر الإلكترونية (Electronic Resources): هي مصادر تعتمد كلياً على تكنولوجيا المعلومات في وضع البيانات بين يدي الباحث، ويذكر بأنّ أصلها مجموعات ورقية تم تجميعها بأسلوب إلكتروني مستحدث ليسهل استخدامها وتبادلها مع الآخرين بغض النظر عن الموقع الجغرافي.

**النتائج:**

تحتوي نتائج البحث على ستة محاور وهي :-

* التداخل اللغوي والثقافي بين شعوب المغرب العربي وبعض البلدان العربية الأخرى وبين فرنسا.
* الكلمات الفرنسية المستخدمة في اللغة العربية.
* المفردات الفرنسية في العامية السودانية.
* الكلمات العربية المستخدمة في اللغة الفرنسية.
* الخلاصة والتوصيات.

التداخل اللغوي والثقافي بين شعوب المغرب العربي وبعض البلدان العربية الأخرى، وبين فرنسا تستخدم بعض الدول العربية في قاموسها الدارجي كلمات أجنبية بكثرة لدرجة، أن البعض يظنها جزءاً من مفردات اللغة العربية.

تعرضت بعض دول العالم ومنها البلدان العربية في المغرب العربي وبلاد الشام لكثير من الغزوات الاستعمارية، مما جعل لهجاتها العامية تحتوي على الكثير من الكلمات التي يرجع أصلها إلي لغة الدول التي استعمرتها. اللغة العربية مثلها مثل اللغات الأخرى استعارت عدداً من المفردات من لغات أجنبية أخري خاصة أثناء الحروب الصليبية وبسبب الاحتكاك المباشر حيث اقتبست العربية من تلك اللغات بعض مفرداتها واستخدمتها ضمن قاموسها، مع تعديل في النطق أحياناً. كما كان للبعثات العلمية التي أوفدتها بعض البلدان العربية إلي أوربا أثراً واضحاً في استخدام بعض المفردات.

بعض الدول لم تكن ضمن المستعمرات الفرنسية ولكنها تأثرت كثيراً باللغة والثقافة الفرنسية، خير مثال لها دولة مصر نسبة لموقعها الاستراتيجي. قدمت الجيوش الفرنسية إلي مصر بقيادة نابليون بونابارت 1798 بهدف إقامة قاعدة في مصر لتكون نواة الإمبراطورية الفرنسية في الشرق من ناحية، وقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند من ناحية أخري، لكنهم اضطروا للرحيل عن مصر بعد ثلاث سنوات، نتيجة

لهزيمتهم أمام الجيوش الإنجليزية وتحطم أسطولهم في معركة أبو قير. رغم قصر المدة التي مكثتها في مصر إلا أن الحملة الفرنسية أثرت كثيراً الحياة المصرية بالثقافة والمفردات الفرنسية، وكان لحملة نابليون الكثير من النتائج العلمية لأنها اصطحبت معها مجموعة من العلماء في شتي مجالات العلم والمعرفة.

في عهد محمد على باشا 1805– 1848، الذي قام ببناء دولة مصر العصرية على النسق الأوربي واستعان في مشروعاته بخبراء أوروبيين، خاصة الفرنسيين، تم إرسال البعثات التعليمية وأشهرها بعثة 1826، التي تميز فيها المفكر الأديب رفاعة رافع الطهطاوي الذي قام بإنشاء مدرسة الألسن وترجمة الدستور الفرنسي. وكذلك الإمام محمد عبده الذي سافر إلي فرنسا بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني 1884 ثم عاد وأنشأ صحيفة العروة الوثقي عام 1885. غيرت الحملة الفرنسية العقلية والثقافة المصرية حيث سافر طه حسين عام 1915 ملتحقاً بجامعة مونبلييه Monpiliers أما توفيق الحكيم فقد أرسله والده لفرنسا لدراسة القانون، لكنه خلال إقامته بباريس لمدة ثلاث سنوات انشغل بدراسة المسرح وفنونه.

الغرض الرئيسي من إجراء هذا البحث التأكيد على أن اللغة العربية لها وجود في قاموس اللغة الفرنسية وإثبات أن هذا التداخل اللغوي الثقافي بين العالمين العربي والفرنسي أدي إلي إثراء اللغتين بدخول وتبادل الكثير من الكلمات العربية والفرنسية خاصة في مفردات الحياة اليومية. لا يعتمد هذا البحث على دراسات سابقة كثيرة أو مصادر لغوية وتاريخية كثيرة ومتنوعة لأنها أصلاً غير موجودة أو شحيحة جداً

ويعد هذا البحث مجرد محاولة لرصد أهم الكلمات ذات الأصل الأجنبي في مفردات اللغة العربية وتأثيرها الثقافي، مع التركيز على اللغة الفرنسية التي يكثر استخدامها في الحياة اليومية خاصة في دول المغرب العربي وبعض دول الشام التي تأثرت بالاستعمار الفرنسي في التعامل والمعاملات اليومية، ولقد اعتمد البحث على المواقع الإلكترونية وبعض الدراسات. الكلمات الفرنسية المستخدمة في اللغة العربية

**أولاً: كلمات التحية والمجاملة:**

بعض البلاد العربية تستخدم اللغة الفرنسية كلغة ثانية على نطاق واسع وخاصةً في المستعمرات الفرنسية السابقة، وفي بلاد المغرب العربي وبلاد الشام ولذلك فإن قائمةً كبيرةً من الكلمات المستخدمة، أو تلك التي تم دمجها في اللغة الفرنسية جاءت من هذه المناطق. " تعتبر اللغة الفرنسية من اللغات التي أثرت وتأثرت باللغة العربية واقتبست، منها العربية بعض مفرداتها وأدخلتها في قاموسها اللغوي العامي أو الفصيح، خاصةً في دول المغرب العربي وبلاد الشام ومصر بسبب استعمار فرنسا لتلك البلاد.

**جدول رقم (1) يوضح كلمات التحية والمجاملة الفرنسية المستعملة في اللغة العربية**

| الكلمة بالفرنسية | نطقها واستخدامها في العربية |
|---|---|
| Bonjour | (بونجور) صباح الخير |
| Bonsoir | (بونسوار) مساء الخير |
| Au revoir | (أوروفوار) إلي اللقاء/ مع السلامة |
| Bonne nuit | بون نوي / تصبح على خير |

**ثانياً: مفردات خاصة بالمأكولات والمشروبات:**

جدول رقم (2) الكلمات الفرنسية الخاصة بالمأكولات والمشروبات مستعملة في اللغة العربية

| الكلمة بالفرنسية | نطقها واستخدامها في العربية |
|---|---|
| Café | كافيه / قهوة أو مقهي |
| Petit–four | بيتي فور / نوع من الخبائز |
| Gâteaux | قاتو / قطع من كعك محلي ومزين بالكريمة والشوكولاتة |
| Omelette | أومليت / عجة البيض |

المصدر : تجميع من مراجع مختلفة

ثالثاً: مفردات خاصة للوصف:

**جدول رقم (3) الكلمات الفرنسية الخاصة بالوصف مستخدمة في اللغة العربية**

| الكلمة بالفرنسية | نطقها واستخدامها في العربية |
|---|---|
| Madame | مدام / سيدة |
| Mademoiselle | مدموزيل / آنسة |
| Chic | شييك / راقي/ أنيق |
| Régime | ريجيم / نظام غذائي محدد |
| Gentil | جانتي / لطيف / مهذب |
| Rouge | روج/ يستخدم لتلوين الشفاه |

المصد مصدر : تجميع من مراجع مختلفة

**رابعاً: مفردات خاصة بمسميات الأشياء:**

**جدول رقم (4) الكلمات الفرنسية الخاصة بمسميات الأشياء مستخدمة في اللغة العربية**

| الكلمة بالفرنسية | نطقها واستخدامها في العربية |
|---|---|
| Agenda | أجندة / مفكرة |
| Archives | مكتب لحفظ الوثائق |
| Ascenseur | مصعد كهربائي |
| Stade | أستاد / ملعب رياضي |
| Moteur | موتور /محرك |
| Ampere | أمبير / وحده لقياس قوة التيار الكهربائي |
| Clinique | كلينيك / عيادة طبية |
| Ballon | بالوون / منطاد |
| Villa | فيلا / قصر أنيق |
| Balcon | بلكونة / شرفة |
| Retouche | رتوش / تهذيب / تنميق / تنقيح/ لمسات فنية |
| Carte | كارت/ بطاقة شخصية أو للمعايدة والشكر أو تذكار مناطق سياحية |
| Album | ألبوم / مجلد لحفظ الصور والطوابع |
| Dossier | دوسييه / ملف ورقي أو بلاستيكي لحفظ الأوراق |
| Direction | دريكسون / مقود للتوجه في السيارة |
| Dynamo | دينامو/ مولد |
| Dynamite | ديناميت\ ناسف |
| Automatique | أوتوماتيك / آلي الحركة |
| Accessories | أكسسوار / لوازم / مكملات زينة |
| Crème | كريم / مرهم للبشرة |
| Canapé | كنبة / أريكة / مقعد لعدة أشخاص |
| Écharppe | إيشارب /غطاء للرأس خاص بالنساء / وشاح يحيط بالرقبة |
| Paletot | بالطو / معطف طويل |
| Pantalon | بنطلون |

| | |
|---|---|
| Entenne | أنتينا /هوائي يوضع على سقف أو جانب السيارة لالتقاط أمواج الراديو/ يستخدم في هوائي التلفاز أو الهاتف اللاسلكي أو غيرها من الأجهزة التي تعتمد على الأمواج |
| Robe | روب/ نوع من الألبسة نسائي أو رجالي بعضها يرتبط بمهن معينة |
| Blouse/blouson | بلوزة |
| Garage | قراش / جراج |
| Buffet | بوفيه/ خزانة الطعام أو مائدة كبيرة في الحفلات والمناسبات |
| Modèle | موديل / طراز |
| Cartouche | خرطوش |
| Douche | دوش |
| Asphalte | اسفلت |
| Filter | فيلتر / جهاز للتنقية |
| Bacclauréat | بكالوريا / الشهادة الثانوية |
| Commission | قوميسيون / فريق طبي |
| Licence | ليسانس / شهادة جامعية |
| Cadre | كادر |
| Hotel | أوتيل / فندق |
| Carnet | كارنيه / بطاقة |
| Parachaute | باراشوت / طوق نجاة |
| Carton | كرتون |
| Papa | بابا / الوالد |
| Maman | الأم |
| Cassette | كاسيت / شريط تسجيل |
| Canapé | كنبة / مقعد للجلوس |
| Caféteria | كافيتريا / مقهي / مقصف |
| Controle | كنترول / رقابة |

| | |
|---|---|
| Trico | تريكو / خياطة أو تطريز |
| Télévision | تلفزيون / تلفاز / إذاعة مرئية |
| Toilette | تواليت / دورة مياه |
| Sauvage | سوفاج / متوحش / غير متحضر |
| Occasion | أوكازيون /بيع التصفية أو بيع السلع بسعر مخفض خلال فترة محددة |
| Chaise– longue | شيزلونق /مقعد طويل للتمدد عليه براحه |
| Chalet | شاليه / إستراحة على الشاطئ أو البحر |
| Chauffeur | شوفير / سائق |
| Papillion | بابيون / ربطة عنق بشكل يشبه الفراشة |
| Patisserie | باتيسري/ محل لبيع أنواع مختلفة من الحلويات |
| Bronzage | برونزاج/ تعرض الجسم لأشعة الشمس لاكتساب اللون البرونزي (الأسمر) |
| En arrière | أنرييرر/ إلي الوراء أو إلي الخلف/ الرجوع إلى الخلف/ العودة إلي الوراء بالسيارة |
| Frein | فرام/ الفرامل/ المكبح سواء يدوي أو بالقدم وتم استبدال حرف(ن) بحرف (م) من لفظ الكلمة بالدارجة |
| Vitesse | فيتيس / سرعة |
| Foulard | فولار/ وشاح أو منديل يوضع على العنق/ شال للرأس |
| Cravate | كرافات / ربطة العنق |
| Chauffage | شوفاج/ جهاز للتدفئة في السيارات أو المنازل |
| Cable | كيبل / حبل |
| Chemise | شميز / قميص |
| Parlement | بارلما / برلمان / مجلس نيابي |
| Bicyclette | بيسيكليت / دراجة |
| Plage | بلاج / شاطئ أو ساحل |

مصدر : تجميع من مراجع مختلفة

**المفردات الفرنسية في العامية السودانية**

السودان دولة أفريقية عربية كان من ضمن المستعمرات الإنجليزية ويعتبر بوابة أوروبا إلي أفريقيا نسبة لموقعه الاستراتيجي الممتاز للغة الإنجليزية مكانة متميزة في السودان، حيث أنها تعتبر اللغة الأجنبية الأولي في السودان وتدرس في مرحلة الأساس رسمياً من الصف الثالث. أما اللغة الفرنسية فهي اللغة الأجنبية الثانية. بدأ تدريسها في عام 1960 في كلية الآداب جامعة الخرطوم، تبعتها بعض جامعات أخري: الجامعة الإسلامية، معهد المعلمين العالي (كلية التربية – جامعة الخرطوم)، حتي أصبحت تدرس الآن في معظم الجامعات السودانية، كما تدرس في المدارس الثانوية منذ عام 1970 مادة إجبارية في السنتين الأولي والثانية ومادة اختيارية في السنة الثالثة.

بالرغم من الحضور الملحوظ للغة الفرنسية في السودان عبر المنظمات الأممية والطوعية المتواجدة والإقبال على دراستها من كل أصناف المجتمع السوداني في المراكز الثقافية بالعاصمة والأقاليم ومراكز تعلم اللغات، إلا أنها لم تحظ بالانتشار الكافي بين عامة الشعب السوداني. لكن هذا لا ينطبق على مجال العطور، حيث أن فرنسا مرتبطة في أذهان السودانيين بالعطور الممتازة والموضة وعندما يقال هذا عطر فرنسي فيعتبر ذلك ضمان للجودة، معظم تلك العطور تجلب للسودان عن طريق دول الجوار في غرب السودان (تشاد أفريقيا الوسطي) وهي دول فرانكوفونية. واحتفظت العطور العريقة والأصلية المستجلبة بأسمائها الفرنسية، مع تعديل في نطق أسماء بعضها، والكل ينطقها من غير أن يعرف معناها أو مدلولها. هذه العطور لا يخلو منها بيت سوداني أو شيلة عرس، وهي تميز المرأة السودانية التي تستخدمها إما عطراً خاماً أو لصناعة العطور السودانية النسائية المميزة عن غيرها. نورد أدناه أمثلة لتلك العطور الباريسية:

جدول رقم 6 الكلمات الفرنسية المستعملة في العامية السودانية

| اسم العطر بالفرنسية | نطق الكلمة بالعامية السودانية ومعناها بالفرنسية |
|---|---|
| Fleurs d'amour | فلير دمور/ زهور أو أزهار الحب |
| Soirs de Paris | سوارد باريس / ليالي أو أماسي باريس |
| Rêve d'or | ريف دور / حلم أو أحلام الذهب |
| Ramage | صاروخ نسبة لشكل الزجاجة الذي يشبه الصاروخ) ويعني شقشقة العصافير |
| Glamour | قلامور/ جمال باهر |
| Cachette | كاشيت/ مخبأ |

مصدر: تجميع من مراجع مختلفة

تأثر السودان كثيراً بالثقافة المصرية ومن ثم انتقلت الكثير من الكلمات الفرنسية للسودان عن طريق مصر، وذلك منذ حملة محمد على باشا 1881 وفتر ة الحكم الثنائي للسودان.

الحضور الفرنسي ضعيف في السودان باستثناء حادثة فشودة 1889 في ذروة التنافس الاستعماري الأوروبي بين المملكة المتحدة وفرنسا في شرق أفريقيا، كادت الحادثة تؤدي إلى نشوب حرب بين فرنسا و بريطانيا لكنها انتهت بالانتصار الدبلوماسي للمملكة المتحدة. هذه الحادثة لم تترك أثر على الحياة السودانية. مع دخول التلفزيون السودان في ستينيات القرن الماضي حيث كان يعتمد كليا على البرامج والأفلام والمسلسلات المصرية . التلفزيون ضيف يدخل البيوت بلا استئذان وكما اسلفنا فقد تأثرت اللغة والثقافة المصرية باللغة والثقافة الفرنسية وقد انتقل هذا بدوره للسودان حيث اصبح السودانيين يسمعون الكثير من الكلمات الفرنسية التي لم نعهدها في حياتنا اليومية، هذه الكلمات أصبحت مألوفة ومتداوله لكل طبقات المجتمع السوداني بعد السموات المفتوحة، وتعدد القنوات الفضائية، اصبح للغة والثقافة الفرنسية وجود في الحياة العامة السودانية. تلك اللغة التي كانت مرتبطة لزمن طويل بالطبقة الراقية أو الإرستقراطية. فأصبحت الحصيلة من الكلمات الفرنسية في تزايد مستمر.

جدول رقم (7) بعض الكلمات الفرنسية التي دخلت السودان وكثر استخدامها في الحياة اليومية:

| | |
|---|---|
| Bonjour | بونجور/ صباح الخير |
| Bonsoir | بونسوار/ مساء الخير |
| Au revoir | إلى اللقاء |
| Madame | مدام/ سيده |
| Mademoiselle | مادموزيل/ انسه |
| Merci | شكراً |
| Enchanté(e) | تشرفنا |
| Gentil | جنتي/ لطيف |
| Mannequin | مانيكان/عارضة أزياء |
| Maquillage | مكياج/ تجميل |
| Chic | شيك\ راقي |
| Matinee | ماتيني/ صباحي |
| Soirée | سواريه/ مسائي |
| Café | كافيه /قهوه أو مقهي |
| Petit-four | بيتي فور \خبائز |

| | |
|---|---|
| Teauxâg | جـاتوه/ قطع من كعـك محلي ومزين بـالكريمـة والشوكولاتة |
| Croissants | كرواسان/ فطائر هلاليه |
| Parfum | بارفان/ عطر |
| Coiffeur | كوافير/ تصفيف كوافير/ مصفف الشعر/ حلاق/مزين |
| Pedicure | باديكير/تشذيب معالجة الأقدام/ طلاء/ عنايه |
| Manicure | مانيكير/ تهذيب الأظافر, طلاء الأظافر |
| Séchoir | سيشوار/ مجفف شعر |
| Abat-jour | أباجورة / مصـــباح كهربائي يوضـــع على المكتب للكتابة والقراءة |
| Etiquette | أتوكيت / مجموعة آداب اجتماعية |

**مصدر : تجميع من مراجع مختلفة/ الكلمات العربية المستخدمة في اللغة الفرنسية:**

كما أسـلفنا فقد أدي الوجود الفرنسـي الطويل في بلاد المغرب العربي وحملة نابليون والهجرة من وإلى فرنسا خاصة من دول المغرب العربي، إضافة إلي الوجود العربي في الأندلس إلي دخول الكثير من الكلمات العربية في اللغة الفرنسـية. أكدت الباحثة هنريت والتر (1997) في كتابها بعنوان "الكلمات الفرنسـية القادمة من الخارج – aventure des mots français venus d'ailleurs " المؤلف من 344 صـفحة على دور اللغات العربية والعبرية والفارسـية التركية والهندية في إثراء قاموس اللغة الفرنسـية بمفردات كثيرة دخلت عن طريق التجارة، وغزو السلع الشرقية للغرب وانتقال العلوم، والاحتكاك المباشر في فترات الحرب والسلم، ولا سيما خلال فترة الوجود العربي في الأندلس بإسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط وكذلك الاحتكاك الذي تم عن طريق الاستعمار الفرنسي لشمال أفريقيا و بلدان عربية أخري.

ذكرت في مقدمة الكتاب أن من بين 4192 كلمة فرنسـية ذات أصـل أجنبي، هناك 214 كلمة عربية أي بنسـبة 5.1 % وهذا يوضـح مدي أهمية اللغة العربية وتأثيرها على اللغة الفرنسـية. ويعتقد أن العدد المذكور من الكلمات الفرنسـية ذات الأصـل العربي لا يعكس حقيقة وضـع الكلمات العربية التي اسـتطاعت الدخول إلي المعجم الفرنسـي، لأن الرقم المذكور لا يمثل في الحقيقة إلا عدد الكلمات الأصـلية وحدها دون النظر إلي مداخل معجمية أخري تم اشتقاقها من هذه الأصول واستعملت استعمالاً شائعاً في اللغة الفرنسية. على سـبيل المثال ذكرت أن كلمة، مراء، لئيم، متظاهر، لم تذكر مشـتقاتها مثل : cafier caféière Cafardise, cafardeux , cafard caféisme, والأمثلة عديدة فلو أضيفت هذه المشتقات إلي الأصول

العربية لبلغ مجموعها ثلاثة أضـــعاف العدد المذكور. ذكرت الكاتبة والتر أن العربية كانت لها مكانة متميزة جداً من حيث تأثيرها الكبير على المعجم الفرنسي حيث لم يحدث للفرنسية ما حدث للإسبانية التي وجدت نفســها في احتكاك يومي مع اللغة العربية لمدة طويلة جداً لا تقل عن ســبع قرون ومع ذلك فإن الفرنســية استعارت عدداً كبيراً من المفردات العربية واحتفظت بها في استعمالاتها، خاصة الدارجية والعامية.

لقد اهتم بعض الباحثين الأوروبيين بدراســة الكلمات العربية في المعجم الفرنســي وتتبع تاريخ دخولها ومن الأمثلة التي توضح ذلك التداخل اللغوي بين اللغتين الفرنسية والعربية ما أورده الكاتب الفرنسي بيير جيرو في كتابه عن "الكلمات الأجنبية" الذي أورد فيه قائمة تحتوي على 280 مفرد دخلت من العربية للفرنسية في عصور مختلفة. من بين الكلمات التي يظهر أصلها العربي من الوهلة الأولي.

| أصل المفردة في العربية | نطقها واستعمالها بذات المعني في الفرنسية |
|---|---|
| خليفة | Calife |
| سكر | Sucre |
| زراف | Girafe |
| سلطان | Sultan |
| طبيب | Toubib |
| بلد | Bled |
| فلوس | Flouss |
| شراب | Sirop |
| شربات | Sorbet |
| الحناء | Henné |
| الجبر | Algebra |
| الآذان | Alezan |
| الحشاشين | Assassin |
| كافر | Cafard |
| مسكين | mesquin |
| عفريت | Ifrit |
| الفقيه | Alfaqui |
| فقير | Fakir |
| درويش | Devriche |
| شريف | Chérif |
| سوق | Souk |
| السلام عليكم | Salamalaikoum |

| | |
|---|---|
| لحم مشوي | Méchoui |
| جهاد | Jihad |
| بدوي | Bédouin |
| رمضان | Ramadam |
| القران الكريم | Coran |
| فتوي | Fatwa |
| بركة | Baraka |

**مصدر : تجميع من مراجع مختلفة**

كلمة assassin لها تاريخ طويل بدأ بداية القرن الحادي عشر مع الطائفة الإسلامية المسماة بالحشاشين كانت هذه الطائفة قد إنشأت على يد الشيخ حسن الصباح، الذي كان في حرب مع الأتراك والسلجوقيين وهم أن ذاك سادة الإسلام، كانت عمليات القتل التي ينظمها أفراد هذه الطائفة تتم دائماً عن طريقه متميزة واحدة ، فبعد التهيئة للهجوم في سرية تامه، يكون المكان المفضل للقتل هو المسجد في يوم الجمعة وساعة الازدحام الشديد فكان الحدث يكتسي بهذه الطريقة دلالة مزدوجة عندهم فهم يقضون نهائيا على الشخصية على رؤوس الملأ ويضفون نوع من البريق على الشخص الذي يضحي بنفسه ويعرض نفسه لغضب الجماهير التي كانت تصب عليه جام غضبها وترديه قتيلا. إن الهدوء الذي يتصرف به هؤلاء المرشحون للانتحار، حمل على الاعتقاد بأنهم كانوا مخدرين بالحشيش، ومن هنا لقبوا بالحشاشين Haschaschin. ثم انتقلت الكلمة الفرنسية عن طريق الإيطالية. واصبح سائدا لمده طويله إن لفظ حشيش هو الأصل الانتقائي لكلمة assassin لكن هناك اصل انتقائي آخر يمكن اقتراحه، إن ثمة وثائق تشهد بأن الحسن الصباح كان من عادته أن يسمي أتباعه بالأساسيين أو المخلصين الأساس العقيدة الإسلامية أي الأصوليين.

## الخاتمة....

أكدت نتائج الدراسة أن هنالك تواصل دائم بين اللغات المختلفة خاصة اللغة العربية واللغة الفرنسية، مما ساعد في تطوير التبادل اللغوي والثقافي. كما أثبتت الدراسة أن اللغة العربية الدارجة تحفل بكثير من الكلمات الأجنبية التي دخلت إليها من اللغة الفرنسية وتم استخدام هذه الكلمات على نطاق واسع في الحياة اليومية، إما لسهولة لفظها أو لقصرها أو لصعوبة المرادف لها من العربية الفصحي وغرابة لفظه أو حتي لعدم وجود مرادف دقيق لها في العربية أو أنها تعطي معني غير قادر على إيصال الفكرة بوضوح.

الدراسة لا تدعي الكمال أو الشمولية وما هي إلا نقطة في بحر العلم الواسع وتوصي الدراسة أن يكون هذا بداية لبحث أشـــمل وأعم وأعمق في مجال التداخل اللغوي والثقافي بين الشـــعوب ودور اللغة الفرنســـية خاصة في ذلك، لا سيما بعد الظهور الحديث لبعض الكلمات العربية في قاموس اللغة الفرنسية وهذه الكلمات أضـحت القاسـم المشـترك في وسـائل الإعلام والتواصـل المرئي والمسـموع والمقروء. ويمكن أن تكون هذه المفردات نواة لبحث، نذكر منها على سـبيل المثال: سـلفي. مجاهد، انتفاضـة، رئيس، داعش. داعشـي ، ... وغيرها من الكلمات التي دخلت وستدخل قاموس اللغة الفرنسية.

REFERENCES BIBLIOGRAPHIQUES


1. Ben Jelloun Tahar (2002) : L'islam expliqué aux enfants, Tahar Ben Jelloun, Editions du seuil,
2. Dubois et autres Dictionnaire étymologique et historique du Français. Larousse, Paris
3. Dictionnaire Français- Arabe. Al-manhal(2004) : Dar al- Adab, Beyrouth
4. Guemiche Salah () : Dictionnaire des mots d'origine arabe, Marseille nov
5. Mathieu-Rosy Jean (1985) : Dictionnaire étymologique et historique du Français. Milano ; Italie,
6. Rey Alain. Le voyage des mots : De l'orient arabe et persan vers la langue française, éditions Guy Trédaniel
7. Schmidt Jean Jacques (2000) : Vers une approche du monde arabe, Editons du Dauphin,
8. Walter Henriette (2005) : «L'intégration des mots venus d'ailleurs», *Alsic* [En ligne], Vol. 8, n° 1
9. Walter Henriette (1997) : L'aventure des mots français venus d'ailleurs. Ed. Robert Laffont, Paris.
10. Walter Henriette et Gérard (1991) : Dictionnaire des mots français d'origine étrangère, Larousse

1. أحمد مختار عمر (1992): تاريخ اللغة العربية في مصـــر والمغرب، عالم الكتب، ص 246 – 247. القاهرة، مصر.
2. بيير جيرو (1985): "الكلمات الأجنبية"، منشورات مركز الإنماء القومي.
3. عبد الصبور شاهين (1986): "دراسات لغوية – القياس في الفصحي والدخل في العامية"، ص ص 226– 229، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
4. فندريس (1889): "اللغة"، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصـاص، مكتبة أنجلو المصـرية، القاهرة، ص 34.
5. ليلي صـــديق (2006) : "تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات"، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس.
6. محمد رشاد الحمزاوي (1986) : "العربية والحداثة"، دار الغرب الإسلامي.
7. توفيق محمد شاهين: "علم اللغة العام"، دار أم القري، 1980، ص 129 – 131.
8. ســـعـيـد أحـمـد بـيـومـي: "أم الـلـغـات"، مـكـتـبـة الآداب، الـقـاهـرة، ص 36.
رمضان عبد التواب(1995): "بحوث ومقالات في اللغة"، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، ص 171.
9. رمضان عبد التواب(1987): "فصول في فقه اللغة"، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، ص 258.

SITOGRQPHIE

–Wiki « https //ar » l; 17Wikipedia org.

–http: // www. Voice of Arabic. Net / index. Php.

–http : //fr. Wikipedia ; org/ wiki/ mots français d'origine arabe"

Catégories : langue française/ langue arabe/ Etymon

– « www skypressinq. Net

–« https// m razej. Com.

–Show thread »wwwqatar shares. Com.

*www.huffpostarabi.com/2017/08/24/stor*

# إعادة كتابة التاريخ الإسلامي الدواعي والمبررات

دكتورة: هاجر أبو القاسم محمد الهادي – أستاذ مشارك جامعة أم درمان الأهلية/ قسم التاريخ والحضارة

**مستخلص:**

جاءت فكرة إعادة كتابة التأريخ منذ زمن بعيد, وذلك لأن مادة التأريخ العلمية تحتاج إلى التجديد باستمرار بمقدار ما يستجد من معلومات, فالشعوب في مراحل يقظتها الفكرية تزداد اهتماماً بتاريخها ومستقبلها وبالتالي تعيد قراءة ما كتبت سواء في تاريخ الأفراد أو الأمم أو الشعوب, وإعادة القراءة تعني إعادة الكتابة فتاريخ الحضارات ملك للمعرفة الإنسانية ليس فيه ثوابت فكلما تطورت وسائل المعرفة استجدت معلومات جديدة وجب استصحابها في كتابة هذا التأريخ.

وتكمن أهمية الورقة في إبراز معوقات إعادة كتابة التأريخ الإسلامي وهي عدم وضوح الرؤية وغياب المنهج, وضعف القدرة على التخطيط, بالإضافة إلى فقدان الروح الجماعية التي تتكامل فيه الطاقات لتحقيق الهدف, وثمة عوامل أخرى هي غياب التوحد في الرؤية وغياب الموضوعية, ووجود الحواجز الجغرافية والسياسية بين مؤرخي العالم الإسلامي وعدم تكامل الاختصاصات بالإضافة إلى قلة الإمكانيات المادية والفنية للمشاريع الفكرية الكبيرة. وهناك شروط أساسية لإعادة كتابة التأريخ الإسلامي أهمها:

1. ضرورة التنسيق ما بين التفسير وتحليل التاريخ الإسلامي.
2. أعمال النقد التاريخي للنصوص وإعادة عرضها بالأسلوب العلمي الدقيق.
3. التوازن ما بين دراسة الجوانب السياسية والعسكرية وما بين المعطيات الحضارية.
4. إخضاع الرؤية التاريخية إلى التحليل والتمحيص قبل اعتمادها.
5. الاعتماد في بناء البحث التاريخي على الواقعة نفسها.
6. اتحاد علمي تجاه مناهج المستشرقين وآراءها في تفسير التاريخ الإسلامي.
7. تكوين مؤرخين جدد أو تحرك باحثين معتزين بدينهم وثقافتهم وحضارتهم لغرس مشاعر الاعتداد الثقافي والحضاري حتى يستطيع اتِّباع منهج متوازن ويعتمد على المصادر العليا للمعرفة والتوجيه.

وخلصـت الورقة إلى ضـرورة إعداد باحثين ومؤرخين يقع عليهم عبء عرض وتحليل الدراسات التاريخية مستفيدة من أدوات العصر وعلومه المتجددة للوصول إلى تاريخ إسلامي جديد وصادق.

**Abstract**

The idea of rewriting history has been a long time ago, because the material of scientific history needs to be constantly renewed in the amount of new information, as the people in the stages of their intellectual awakening are increasingly interested in their history and their future and thus reread what they wrote both in the history of individuals, nations or Peoples. Re-reading means rewriting. The history of civilizations is the property of human knowledge and there are no constants, as the means of knowledge develops new information that must be made known in writing this history.

The importance of the paper lies in highlighting the obstacles to rewriting the history of islam: lack of clarity of vision, lack of curriculum, poor planning capacity, as well as loss of collective spirit in which energies are integrated to achieve the goal, and other factors are the absence of autism in vision and lack of objectivity, and the existence of geographical barriers and political relations between the historians of the Islamic world and the lack of integration of specializations, as well as the lack of material and technical possibilities for large intellectual projects. There are prerequisites for rewriting Islamic history, the most important of which are:

1- The need for coordination between the interpretation and analysis of Islamic history is not easy

2- The historical criticism of the texts and their re-presentation in the strict scientific manner.

3- The balance between the study of political and military aspects and between civilized Data.

4- Subject The historical vision to analysis and scrutiny before its accreditation.

5- Relying on the construction of historical research on the same Reality.

6- A scientific union towards orientalists ' curricula and opinions in interpreting Islamic history.

7- The formation of new historians or the movement of researchers who are proud of their religion, culture and civilization.

The paper concluded that it is necessary to prepare researchers and historians to bear the burden of analyzing historical studies, taking advantage of the tools of the era and its renewable sciences to arrive at a new and honest Islamic history.

**المقدمة:**

إن فكرة إعادة قراءة أو كتابة التاريخ الإســـلامي أخذت منذ زمن بعيد تداعب أفكار العلماء المســـلمين وأدبهم, وذلك لإيمانهم بأن التأريخ ليس مادة جامدة لها مقدمات ولها نتائج ثابتة لا تختلف من شخص لآخر, بل هي مادة تكتب مئات المرات , لأنها تقوم على حادث حدث وكاتب كتب, بل هي مادة حية متحركة يدخل في تركيبه الحادث في حد ذاته ونظرة المؤرخ وعاطفته وميله وتحزبه إلى ذلك الحادث, ومثال ذلك أن الحادث يحدث أمام شخصين أو ثلاثة أو أكثر فينقله كل شخص بشكل مختلف قليلاً أو كثيراً عن الشخص الآخر تبعاً لهواه وعاطفته وميله ...الخ, فكيف إذا كان يروي رواية أو يحدث بخبر؟ ومن هنا كان الاختلاف في ســـرد حوادث التاريخ وتفسيرها.

وليس في هذا الاختلاف من عجب لأن المؤرخ ليس بآلة تصـــوير تلتقط الصـورة كما وقعت بكل دقائقها ولا هو ملاك مبرأ من العيوب ومعصـوم عن الخطأ ، بل هو إنسان يخطئ ويصيب ويغضب ويرضى ويحب ويكره وله شعور وإحساس وله رأي ولذا فإنه ينقل الحدث ممزوجاً بشعوره وإحساسه ورأيه وهو في كثير من الأحيان مخلص فيما يفعل ولكن إخلاصه من وجهة نظره لا من وجهة نظر الحقيقة والواقع.

فإن تشويه التأريخ الذي يحدث تحت سمعنا وبصرنا أعظم وأفظع لأننا نشوه عن علم وقصد.

غير أن الإنصاف يقتضي ألا نتهم كل من كتب التأريخ بتعمده تزييف التأريخ, ولكننا نستطيع أن نتهم بعضهم بذلك, ونحن مطمئنون إلى ما نقول, كما إننا نستطيع أن نتهم آخرين بالســـذاجة والنقل بلا روية ولا تمحيص ونتهم الجميع بغلبة العاطفة عليهم وهذا شيء طبيعي لا مفر منه, ولو لا هذه العاطفة لكانت آراء الناس واحدة.

فكتابة التأريخ تقتضي التحرر من الانتماءات السياسية والأيدولوجية والعاطفية والطائفية يجئ التأريخ خالٍ من العيوب من حيث المنهج والتحليل.

**ضرورة إعادة كتابة التأريخ:**

يعد التاريخ وإشكالية تفسيره من أكثر القضايا خصوبة في مجال الدراسات الإنسانية, وقد شيدت تحت اسمها مدارس متعددة لتفسير التاريخ, ضرب كل فريق منها بسهم, ومازالت قضية المنهج تحظى باهتمام الباحثين, ولقد بدأ اهتمام الإنسان بالتاريخ وتفسيره منذ فجر الخليقة وكان تفكير الإنسان وقتها تفكيراً أسطورياً حتى جاء الإسلام ووضع تصورات لعلم التاريخ وتفسيره.

إننا بحاجة إلى إعادة كتابة التأريخ على أن نكتبه بحرية تامة وتجرد ودقة وصبر وأن يكتبه بضعة علماء من مختلف الطوائف لا يكتبه شخص احد بل يكتبه بضعة أشخاص حتى إذا مال أحدهم أو حاد عن سواء السبيل سدده الآخرون, ويجب أن يكون هؤلاء المؤرخون أحراراً في تفكيرهم جرؤن في أقوالهم غير ملتزمين بفريق أو بطائفة أو فكرة, قادرين أن يزيلوا هالة القداســـة عن رؤوس بعض الناس وأن ينزلوهم منزلة البشر الذين يصيبون ويخطئون، وأن يعيدوا إلى بعض الناس اعتبارهم, فإذا وجد

من يقوم بهذا العمل على هذا الوجه كان لدينا تاريخ إسلامي صحيح, وإلا فالأولى أن نترك التأريخ على ما هو عليه ولا نزيده تشويهاً فوق تشويه[1].

فالتأريخ كما هو معلوم ليس شيئاً يكتب مرة واحدة، ولكنه مادة تكتب عشرات المرات وتعاد كتابتها باستمرار, سواء بسبب ظهور معلومات مستجدة عن أي صفحة من صفحات التأريخ, أو بسبب تطور في مذاهب التأريخ وفلسفاته, وظهور أدوات فكرية جديدة تستخدم في فهم التأريخ, أو بسبب ابسط وهو ظهور أي كاتب أو مؤرخ يجد في نفسه القدرة والرغبة على أن يدلي بدلوه في التعرض لموضوع ما من موضوعات التاريخ. أليس من المألوف أننا إذا أردنا الرجوع إلى موضوع من الموضوعات التاريخية أن نعود إلى الفهارس فنجد عشرات الكتب أو مئاتها, حسب أهمية الموضوع المكتوب عنه.

كتابة التأريخ إذن... تاريخ فرد أو أمة أو عالم, عملية بطبيعتها متجددة لا يصدر قرار ببدئها ولا يصدر قرار بإيقافها, وليس هذا جديد, كل ما في الأمر أن الشعوب في مراحل يقظتها الفكرية تزداد اهتماماً بتاريخها, تماماً كما تزداد اهتماماً بحاضرها ومستقبلها, فاليقظة لا تكون إلا شاملة. وبالتالي تشتد حركة التأليف عن التأريخ, ويزداد الناس إقبالاً على قراءته, وفي حالة الخمول تنام الأمم عن ماضيها ومستقبلها معاً. تستسلم لما وجدته مكتوباً عنها من قبل، ولما ترى أنه "مكتوب لها" في المستقبل[2]. وقد تطور تفسير التاريخ ومعرفة أسباب الحوادث مع الزمن متأثراً بالموضوع وبالمفسر, تطور الموضوع مع الزمن كماً بزيادة مادته بفعل التراكم الزمني واتساع رقعة مساحة الجغرافيا, كما تطور كيفاً بتقدم تقنية جمع معلوماته وتنويع مصادره وترقية نقدها وصولاً لمعرفة ما حدث على الحقيقة مما يساعد في تفسير أكثر صحة[3].

كما أن التأريخ ليس شيئاً يكتب مرة واحدة , كذلك ليس شيئاً تكتبه جهة واحدة, فليس هنالك فرد ولا جهة ولا دولة ولا مجموعة دول تحتكر كتابة التأريخ حتى لو كان

---

[1] أحمد بهاء الدين – إعادة كتابة التاريخ – (متى وأين ولماذا) ص91.

[2] أحمد بهاء الدين – مرجع سابق – ص96

[3] أحمد محمود بدر – تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلي الفترة المعاصرة– مجلة عالم الفكر – أبريل يونيو 2001م ص 7

تاريخها, فلو أراد أحد أن يكتب عن تاريخ الغرب أو الصـــين أو أي بلاد أخرى, فلا يوجد أحد يملك منعه من ذلك, ولا يملك فرد أو مجتمع أن يمنع الغير من الكتابة عنها, وكلما كانت الحضـــارة غنية تتعدد جنســيات الذين يكتبون عنها, بل أن جامعة أمريكية مثلاً قد تنفق الملايين لترســـل علماءها إلى أبعد بلاد الدنيا لعمل حفريات ودراســات تاريخية عن موضــوع لا صــلة لها به. ذلك أن التأريخ والحضــارات ملك مشــترك للمعرفة الإنســانية كلها, ومرة أخرى نجد أن الشــعوب كلما زادت تقدماً, زاد اهتمامها بحضارات العالم كلها ... في مصر نجد أن الذين اكتشفوا حجر رشيد وفكوا أسرار اللغة الهيروغلوفية, فرنسيون, والذين كشفوا آثار وكنوز توت عنخ آمون إنجليز. والذين ينقبون عن آثار مدينة الفسطاط القديمة من جامعات أمريكية. وحضـارة العرب أشـبعها "المسـتشـرقون" كتابة وتحليلاً... ونحن ترجمنا عنهم واسـتفدنا بهم, وهم روس وألمان وإنجليز وفرنسيون وهولنديون .... إلى آخره[1].

وأصـــحاب أي تاريخ يفرحون باهتمام الآخرين بهم. فما كان كل هؤلاء المستشرقون مثلاً ليهتموا بالحضارة العربية, ويقيموا لها مراكز الأبحاث في جامعاتهم وأقساماً خاصـة في متاحفهم لولا أنها حضـارة غنية وتاريخها مهم وأنها حلقة جوهرية في التأريخ الإنساني كله.

والمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها ونتيجة وصل إليها مقدماً, ثم يحاول إثباتها بعد ذلك,[2]والاستشراق يقوم على إثارة الشكوك في التاريخ الإسلامي.[3]

وحتى تتم مواجهة خطر مناهج الاســتشــراق في كتابة التاريخ الإســلامي وما ترتب عليها من أضرار فقد تعالت أصوات بالدعوة إلي ضرورة التفكير في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من جديد وعرضه عرضاً سليماً للأجيال من خلال وضع منهجية موضوعية دقيقة وأسلوب علمي هادف.[4]

---

[1] أحمد بهاء الدين – مرجع سابق – ص97

[2] عبدالعظيم الديب – المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإســلامي – ســلســلة كتاب الأمة قطر – عدد27– ص52.

[3] محمد فتحي عثمان – أضـــواء على التاريخ الإســـلامي–الدار الكويتية للدراســـة والنشـــر – الكويت1969م ص 62.

[4] عبدالله ناصـــر – كيف نعيد الأنظار إلي التاريخ الإســلامي – مجلة العربي – الكويت العدد299 السنه 26 ذي الحجة 1422هـ – ص35

**إشكالية تفسير التأريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل:**

من المعلوم أن الخلاف بين المؤرخين يكمن أساساً حول مسألة التفسير أو التأويل, أي معرفة الأسباب والعلل الكامنة وراء أحداث التأريخ ووقائعه. ذلك أن المؤرخ حين يؤرخ لموضوع ما عليه أن يجيب عن أسئلة ثلاثة أساسية هي: ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ ولماذا حدث؟ والإجابة عن السؤالين الأوليين في الإجابة على السؤال الثالث, لا لشيء إلا لأنها تعكس منظور أو رأي المؤرخ الذي هو نتاج ثقافته أو أيديولوجيته. ومعلوم أن الأيديولوجيا تفت في مصداقية المعرفة وتلونها بألوان قد تكون مجافية للحقيقة ولعل هذا يفسر دعوة بعض المدارس التاريخية إلى التغاضي عن تفسير الوقائع التاريخية والاهتمام فقط بتحقيق مصداقية الأخبار. لكن هذه الدعوة تنقص من قدر ومكانة المؤرخ وكذلك من نتاج عمله وتجعله إخبارياً ليس إلا, وتحكم على جهوده بالقصور, لأن علماً بلا تعليل حكم ناقص في التحليل الأخير أو في خاتمة المطاف. فغاية العلم هي الوقوف على الأسباب والعلل التي تحرك الظواهر الطبيعية والإنسانية على السواء. ومن ثم أصبح قانون السببية أهم قوانين العلم على الإطلاق[1]. وفي مجال العلوم الإنسانية– ومن ضمنها التأريخ بطبيعة الحال– جرى الاهتمام بالتعليل أو التأويل أو التفسير إلى حد ظهور علم لهذا الغرض هو علم " الهرمينوطيقا " وهو مصطلح قديم بدأ استخدامه ي دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس) والهرمينوطيقا هذا المعنى تختلف عن التفسير وهي أقرب إلى معنى التأويل[2]. وتعاظم دور هذا العلم إلى درجة الطموح إلى التنظير باعتباره أقصى درجات العلم وأسماها.

وبظهور الإسلام وجدنا أن القرآن الكريم قد عمق الإحساس التاريخي عند العرب حين قص عليهم قصص الأنبياء والأمم السابقة بهدف العظة والعبرة , وعلى يد

---

[1] محمود إسماعيل– إشكالية تفسير التاريخ عند المسلمين الأوائل – مجلة عالم الفكر – عدد أبريل يونيو 2001م – ص37.

[2] نصر حامد أبوزيد, إشكاليات القراءة وآليات التأويل , المركز الثقافي العربي, ط 7, ص 13

مؤرخي الإسلام انتهى عصر النقل وأتى عصر العقل والتعويل عليه الذي يعد ركناً أساسياً من أركان الإسلام الذي دعا إلي التدبر والتفكر في شتى أنواع المعرفة الإنسانية , وأصبح التاريخ علماً مكتمل البنيان مع جهود كبار المؤرخين أمثال الطبري (ت310هـ), ثم جاءت الطفرة على يد ابن خلدون (ت808هـ) الذي حدد قواعد البحث في التاريخ.[1] ويرتبط الحديث عن مناهج المسلمين في كتابة مناهج التاريخ الإسلامي بالحديث عن تدوين التاريخ والهدف منه, ومن المعلوم أن تقصي الرواة أدى إلي نشوء أحد فروع التاريخ عند العرب وهو تراجم الأشخاص وطبقاتهم, وتدوين السير والمغازي النبوية بحسب منهج الإسناد القائم على منهج الجرح والتعديل وذلك في القرن الثاني للهجرة إذ كان الهدف من تدوين التاريخ عند المسلمين يرتبط بمقتضيات دينية صرفة.[2]

واهتم الطبري بالإسناد وتسلسل الرواة ثم تدرج إلي إيراد الأخبار غير المسندة لأصحابها.[3] وظهر بعد ذلك مؤرخون ابتعدوا بالرواية التاريخية عن رواية الحديث منهم اليعقوبي (ت284هـ) والمسعودي (364هـ) اللذان اكتفيا بذكر المادة التاريخية في مقدمات الكتب والذي يعتبر تطوراً في أسلوب الكتابة فأصبح بسيطاً وواضحاً.[4]

وفي أوائل القرن الخامس الهجري أدخل ابن الجوزي التاريخ العالمي سداً للفراغ بعد توقف التجربة التاريخية, فقد أدخل تقسيماً فاصلاً بين الحوادث والوفيات وهو يشتمل على جميل الأخبار المطلوبة.[5]

ومعلوم أن نشأة علم التأريخ عند المسلمين كانت نشأة عملاقة, بشهادة جمهرة الباحثين والدارسين, لذلك اهتم المؤرخون الرواد بالتعليل والتفسير باعتباره مطلباً أساسياً

---

[1] أنور محمود زناتي – تصورات حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي – مجلة البيان – دراسات تاريخية – العدد 347- أبريل- مايو 2016م ص12

[2] محمد عبدالكريم الوافي – منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب- بنغازي – جامعة قاريونس ط1 1990م ص1

[3] محمد عبدالغني حسن _ علم التاريخ عند العرب – القاهرة 1962م ص167

[4] السيد عبدالعزيز سالم– مناهج البحث في التاريخ الإسلامي–الإسكندرية 1966م جزء 2 ص77

[5] عبدالعليم عبدالرحمن خضر – المسلمون وكتابة التاريخ – المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1981م ص74

لاكتمال عملية كتابة التأريخ, وتطورت جهود الأجيال التالية من مؤرخي الإسلام لتصل إلى درجة مرموقة في هذا المجال بولوج باب " فلسفة التأريخ"

وقد ولج المؤرخون المسلمون باب التفسير إلى حد التنظير منذ نشأة علم التأريخ الإسلامي في منتصف القرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري حيث بلغ تطور الفكر التاريخي ذروته. ولقد مرَّ الفكر التاريخي الإسلامي خلال هذه الفترة بحقب ثلاثة:

المرحلة الأولى: وهي طور النشأة وتبدأ من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث الهجريين وهي فترة شهدت سيادة نمط الإنتاج البرجوازي على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي, ولنشأة العلوم وتدوينها، كانعكاس للمد الثقافي المتعاظم المعبر عن عطاء الطبقة الوسطى, وفي مجال علم التأريخ وضعت مناهجه وتحددت موضوعاته, وطرقَ المؤرخون باب التفسير على استحياء.

**المرحلة الثانية:** وتشمل الفترة ما بين منتصف القرنين الثالث والرابع الهجريين, فقد سادها نمط الإنتاج الإقطاعي الذي عكس تأثيره على سائر الأصعدة, ومنها الصعيد الثقافي بطبيعة الحال, إذ تأثرت النهضة العلمية والثقافية بغلبة الاتجاهات الغيبية والنصية على حساب المد العقلاني الذي لازم مرحلة التأسيس وبديهي أن يتأثر الفكر التاريخي موضوعاً ومنهجاً بالرؤية اللاهوتية.

**المرحلة الثالثة:** وهي تشمل الفترة ما بين منتصف القرنين الرابع والخامس الهجريين, فقد سادها النمط البرجوازي في الإنتاج مرة أخرى وأخيرة, الأمر الذي أسفر عن تأثيرات إيجابية سياسياً واجتماعياً وثقافياً وبديهي أن يتأثر الفكر التاريخي بتلك التحولات ليصل إلى أوج ازدهاره, حيث بلغ التفسير العلمي العقلاني للتأريخ مداه وشهد العصر بواكير فلسفة التأريخ[1].

في طور نشأة علم التاريخ الإسلامي, يتفق الدارسون على أن هذه النشأة الإيجابية كانت تعبير عن مد ثقافي مزدهر, باعتبار أن التاريخ من أهم مقومات الثقافة العربية[2].

---

[1] محمود إسماعيل – مرجع سابق – ص41–42

[2] جب هاملتون, دراسات في حضارة الإسلام, الترجمة العربية, بيروت, 1964م ص 153

وقد أسهم في تلك النشأة جيل من المؤرخين الأفذاذ, كالطبري , والبلاذري, وابن طيفور , واليعقوبي, وابن قتيبة, وابن عبد الحكم وغيرهم ممن اعتبرهم ابن خلدون رواد علم التاريخ في الإسلام[1]. وبتتبع منحى سير هؤلاء المؤرخين نجد أن معظمهم ينتمون إلى الطبقة الوسطى التي تبنت النهضة العلمية والفكرية في الإسلام, فكانوا موسوعي الثقافة ليبرالي التفكير بما أهلهم لتأصيل ركائز علم التاريخ موضوعاً ومنهجاً ورؤية[2]. كما انصب جل اهتمام المؤرخين في هذه الفترات على الأخبار وتحقيقها, لكنهم لم يغفلوا تعليلها وتحليلها وفي هذا المعنى ذكر اليعقوبي: " وليعلم الناظر في كتابنا هذا في اعتمادي في كل ما أخطرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمة فيه إنما هو على ما رويت من أخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواياتهم, دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل"[3]

والدارس لأخبار اليعقوبي لا يعدم وجود رؤية خاصة للتاريخ فحواها الربط بين حركة الأحداث وحركة الأفلاك, وعند غيره من معاصريه نقف على رؤى أخرى علمية, فالبلاذري مثلاً: يعول على تأثير الاقتصاد في الصيرورة التاريخية في كثير من الأحيان. أما ابن قتيبة فهو يمحور وقائع العصر الراشدي حول مسألة الصراع على الخلافة, واتخذ بعض المؤرخين من ذكر عبارات معينة في مواضع بعينها أيضاً, مثل " والله أعلم" مما يدل على موقف معتمد للمؤرخ يفهمه القارئ اللبيب, نظراً لوجود محاذير تحول دون الإفصاح, فمعلوم أن الحنابلة قد رجموا دار الطبري بالحجارة.[4]

لعل تلك المحاذير كانت من وراء تبني بعض المؤرخين تفسيرات أسطورية أوردوها من باب التقية, كذلك تعويل البعض الآخر على التفسيرات العنصرية والطائفية تحت تأثير تواجد الشعوبية والصراعات المذهبية[5].

فمن الطبيعي أن يتأثر الفكر في كتابة التاريخ بتلك المعطيات السلبية, ولا أدل على ذلك من تدهور مكانة علم التاريخ في نظر مصنفي العلوم فأسقطوه بالكلية

---

[1] ابن خلدون– المقدمة تحقيق عبدالواحد وافي– القاهرة, ب ت – ص4

[2] محمود إسماعيل : سولوجيا الفكر الإسلامي, الدار البيضاء, 1981م– ج 1, ص 186

[3] البلاذري– فتوح البلدان, لندن 1891م– ص 358

[4] ياقوت الحموي, معجم الأدباء, ج 18, طهران 1965م – ص 59

[5] – محمود إسماعيل – مرجع سابق – ص298

من مصـــنفاتهم باعتباره يفتقد إلى صـــفة العلمية[1]. وهو أمر لفت نظر مؤرخ فذ كالمسعودي , حين اعتبر مؤرخي العصر مسؤولين عن تدهور علم التاريخ وإبادة آثاره وطمس مناره ، خصوصاً من أصبح منهم من مؤرخي "البلاط" أو ممن اشتغل بالتاريخ خدمة لعلم الحديث بالأساس, فكانوا بذلك محدثين أكثر من أنهم مؤرخين, بشهادة ابن النديم, لذلك لم نحيد عن الصـــواب إذا اعتبرناهم أنصـــاف مؤرخين, لفهم غاية التاريخ فهماً قاصراً مؤداه التبرير لهم، فصنف فيها الوراقين وكذبوا[2]، [3]،[4].

لقد أفسـد مؤرخو السـلطة علم التاريخ إلى حد تطويع الدين لخدمة السـلطان. وجرى اعتبار ثوراتهم الاجتماعية من قبيل "المحن" و "الفتن" التي يجب أن يقمعها السـلطان دون هوادة.(صـنف الشـيباني (ت 273هـ) كتابين يحملان هذين العنوانين أي المحن والفتن)، فمن الطبيعي أن تنزلق رؤى المؤرخين وطريقتهم في كتابة التاريخ إلى تأثير التفسـيرات الأسـطورية والوثنية والطائفية وتقديس الأبطال المؤيدين بالعناية الإلهية, كما فشت الرؤى التهومية التي تربط حركة الأحداث بالطوالع والنجوم[5].

أما عن مؤرخي المعارضـــة فقد احتفظ بعضـــهم بالكثير من إيجابيات مرحلة التأسيس, فكتبوا التاريخ على أساس "الدراية" لا " الرواية) معولين في التفسير والتعليل على العقلانية والمنطق منددين بمفاسد السلطة ورجالتها[6].

ومع هذا أثر البعض الآخر سـلباً بمعطيات العصـر السـياسـية والثقافية فلم تخلو مصـنفاتهم من تعويم الرؤية والشـطط في الرأي. لقد كتب هؤلاء في الغالب الأعم وفق منطق "الدفاع" عن مذاهبهم وأيدولوجياتهم, فاتسمت كتاباتهم بالسجالية والتعصب. كما روجوا إلى أفكار تهومية أسطورية كفكرة "المهدي" أو "المخلص" مما أضعف قيمة ما أنتجوا وصنفوا من تواريخ دارت معظمها حول عقائد مذاهبهم ورجالاتهم.

---

[1] روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين, الترجمة العربية, بغداد 1964م– ص 48

[2] المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج 1, بيروت, د ت, ص5

[3] بروكلمان– تاريخ الأدب العربي– الترجمة العربية– القاهرة, 1991م, ج3– ص68

[4] ابن النديم– الفهرست– القاهرة, 1348هـ, ص 242,241

[5] سالم أحمد محل: المنظور الحضاري في التدوين التاريخي, قطر, 1997م, ص 121

[6] ابن النديم– مرجع سابق– ص 146–151

فعلى سبيل المثال أرخ شليمة محمد بن الحسن (ت 280هـ) لبعض حركات المعارضة, ولكن كتابه صودر وأحرق, كما دون سعد بن عبدالله القمي (ت 299هـ) كتاباً عن الشيعة لاقى المصير نفسه. وإن أفلت كتاب " مقاتل الطالبيين "للأصفهاني من المصادرة, فيعد أنموذجاً للكتابات ذات الطابع المأساوي "بكائ" التي تتعالى فيها التشنجات العاطفية على التفسيرات العقلانية. على أن الرؤى العقلانية لم تختفِ تماماً خصوصاً عند نفر من مؤرخي المعارضة, بل لا نعدم وجود ثلة من المؤرخين الذين ارتقوا بالكتابة التاريخية موضوعاً ومنهجاً, تعليلاً وتحليلاً وتأويلاً, ويرجع ذلك إلى أن الصراع بين البرجوازية (الأغنياء) والإقطاع (الفقراء) – ومن ثم بين العقل والنقل– لم يحسم حسماً قاطعاً, مما أتاح للقوى البرجوازية وفكرها العقلاني النقدي التجريبي مكاناً في الساحة وإن كان ضيقاً ومحاصراً. وفي هذا الصدد يعد المسعودي (ت 346هـ) المؤرخ أنموذجاً معبراً عن هذا التيار , الأمر الذي يجعلنا نتوقف عنده ملياً للوقوف على رؤيته العلمية للتاريخ. [1]

ولعل في حياة المسعودي إبان أواخر عصر الإقطاع وأوائل عصر الصحوة البرجوازية الثانية ما يلقي الضوء على عقلانية وموسوعيته. يضاف إلى ذلك كونه تاجراً ينتمي إلى الطبقة الوسطى اجتماعياً, وإلى الاعتزال الزيدية مذهبياً, مما أهله ليتسم بمكانة مرموقة بين مؤرخي عصره, ولعل اشتغاله بالجغرافيا ومزجه إياها بالتاريخ وتعويله على الرحلات طوال الأربعين عاماً كان من وراء اتساع منظوره ورحابة خياله، ومن ثم اتسام رؤيته التاريخية بالعقلانية والواقعية والشمول[2].

في كتابه "مروج الذهب" تاريخ عالمي متطور, بالقياس للتواريخ العالمية السابقة. ففي عرضه للأحداث مزج بين التاريخ وعلم الكلام. فالعالم في نظره مخلوق كما يذهب المعتزلة. وفي وصفه للأمم والشعوب مزج بين الأثنوغرافيا والثقافة. أو وقوفه على ما يمكن تسميته بـــ "الانثربولوجيا الثقافية" ومعلوماته الجغرافية حافة بالتأويلات والتفسيرات التي تربط بين حركة التاريخ وحركة الكواكب وكذلك بينه وبين

---

[1] محمود إسماعيل – مجلة عالم الفكر –مرجع سابق – ص44–45

[2] المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر, ج 1 بيروت, ب ت– ص 4

الجغرافيا الطبيعية. وفي هذا الصدد وقف على تأثير التربة في الإنتاج الغذائي وتأثير الأخير في طبائع وأمزجة البشر. [1]

وحين عرض للعرب رصد أنماط حياتهم بين مرحلتي البداوة "التوحيش" والحضارة, مقدماً تصوراً متطوراً لطبيعة العمران البشري[2]. وتأثر به ابن خلدون فيما بعد. وفي تاريخه للعالم الإسلامي اتسمت رؤيته بالشمول, فجمعت بين التاريخ السياسي والحضاري في آن, كما أعمل ميزان النقد في الروايات قبل اعتمادها, الدرجة نفسها التي عول فيها على الاستقراء والاستنباط في مجال التفسير[3].

وكذلك نستطيع أن نقرر أنه طرق باب التنظير حيث عول على شمول النظرة خلال الأزمنة الطويلة فاتح له "استخراج كل دقيق من معدته, وإثارة كل نفيس من مكمنه" على حد قوله[4].

وفي كتابه "التنبيه والإشراف" نجد بداية مقاربة " فلسفة التاريخ" ذلك أن هذا الكتاب يعد آخر ما صنف المسعودي, كما أنه بمثابة بانوراما عامة لتاريخ البشرية, أفاد فيه من مؤلفاته السابقة, فلم يحفل فيه بالأخبار وتحقيقها بقدر استنطاقها لتتبلور في صورة أحكام ومقولات أفاد في صياغتها من سائر المعارف المتاحة, فقد أبرز – مثلاً– تأثر الجغرافيا في التاريخ السياسي, فعرض لمباحث أقرب ما تكون "بالجيوبوليطيقا" كما عرض لتاريخ العقائد في مباحث ذات صلة بالانثروبولوجيا الثقافية وعلم الأديان المقارن, حيث تابع ورصد المشترك الإنساني العام في مجال الدين مبرزا "التواصل" و "الاستمرارية" في صورة أقرب ما تكون إلى "الإنسانيات" المعاصرة, ولا غرو فقد تابع تأثيرها في التاريخ والحضارة الإسلامية, بما ينم عن نزعة "هيوماتية" بعيدة عن التعصب والتحجر.

وفي عرضه للتاريخ الإسلامي أبرز أسباب العلل المباشرة والعامة, فطرق مجال الرأي والرؤية في آن واحد. فإذا أُضيف إلى ذلك إحكامه الصلة بين المعارف

---

[1] المسعودي – مصدر سابق – ص84

[2] المصدر نفسه – ص137

[3] شاكر مصطفى, التاريخ والمؤرخون العرب, ج 1, بيروت, 1983م, ص 204

[4] المسعودي – مصدر سابق – ص6

المختلفة لتدخل ضـــمن موضـــوع التاريخ. نؤكد صـــدق حكم بعض الباحثين بأن المسعودي قدم رؤية حضارية للتاريخ.

يعد المسـعودي من رواد فلسـفة التاريخ ولا شـك في ذلك إذ نجد في مصـنفه ما يشـــئ بالرؤية البيولوجية للتاريخ حيث تحدث عن نشـــأة الدول وشـــبابها وهرمها وعلل جميع ذلك, ودعوته إلى ضرورة معرفة المؤرخ كيف تدخل الآفات على الملك و الدول, وتبدد الشرائح والملل, والآفات الخارجية المفترضـة لذلك, لقد وقف بحق على ما اسماه فلاســفة التاريخ المحدثون بالموضــوعية التي هي نتاج عوامل داخلية وأخرى خارجية تتضـافر معاً لإحداث حركية التاريخ وصـيرورته. هذا فضـلاً عن شـمول هذه الصـيرورة لســائر الظواهر المادية والروحية التي توحدت في خيال المســعودي وتأطرت في ذهنه تأطيراً عقلانياً كانت جهود المســعودي في مجال التفســير والتنظير مدخلاً أســاســياً لازدهار الفكر التاريخي خلال القرن من منتصـــف القرن الرابع إلى منتصـــف القرن الخامس الهجريين– الذي شهد صحوة برجوازية تركت أثراً إيجابياً في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة[1].

**معوقات إعادة كتابة التاريخ الإسلامي:**

ثمة أسباب عديدة وقفت في طريق تحقيق هذا الهدف, فإذا استطعنا أن نعرف هذه الأســـباب, ســـهل لنا بذلك معرفة موطن الداء والعمل على علاجه, فمن هذه الأسباب على سبيل المثال لا الحصر وفق ما توصل إليه المفكر والباحث عماد الدين خليل :

**أولاً:** عدم وضـوح الرؤية بالنسـبة لطبيعة العمل، فمن قائل بضـرورة إعادة كتابة التاريخ الإسـلامي كله من أقصـاه إلى أقصـاه، واعتماد بنية جديدة لوقائعه وصـيرورته ترفض بالكلية ما قدمه مؤرخنا القديم، ومن قائل لضـــرورة اعتماد صـــيغة انتقائية تأخذ بهذا وترفض ذاك, ومن قائل بضــرورة إعادة تفســير وتحليل معطيات هذا التاريخ بدلاً من إعادة تركيبه. وآخرون لا يعرفون على وجه الدقة واليقين ما الذي يقصـــدونه بالعمل المنشود؛ لأن الضباب يلف تصورهم فلا يتيح لهم الفرصة لاستبانة ملامح الطريق.

---

[1] محمود إسماعيل – مجلة عالم الفكر – مرجع سابق – ص45–46

**ثانياً:** ومما يرتبط بهذا, غياب المنهج وضـــعف القدرة على التخطيط.. فقد تتضـــح الرؤية أحياناً, وتتحدد طبيعة العمل, وتتكشـف أبعاده.. لكن أسـلوب العمل وطرائقه.. المنهج – بعبارة أخرى– غير متحقق ونحن قوم – ولنقلها بصراحة– نعاني ضعفاً في قدراتنا التخطيطية, ليس هذا مجال استعراض أسبابه, ولشد ما ينعكس هذا الضعف على طرح برنامج عمل محدد الخطوات, مكتمل المفردات, مثبت الأهداف والغايات.

**ثالثاً:** ونحن قوم نعاني – كذلك– من فقدان الروح الجماعية التي علمنا إياها هذا الدين, وربانا عليها وألزمنا بها, ولكن تخلينا نحن عن الكثير من مقولاتها ومواصفاتها, وتجمدت تقاليدنا على صـــيغ فردية قد تبلغ حد الأثرة والأنانية في كثير من الأحيان, فتمحو القدرة على التوجه الجماعي الذي تتكامل فيه الطاقات وتتضافر القدرات ويتدفق العطاء لكي يصب في الهدف الواحد.

والمشـــاريع الكبيرة في ميادين العقيدة أو الفكر أو العمران أو الاقتصـــاد, لهي بأمسَّ الحاجة إلى هذه الروح الجماعية التي يعرف الغربيون كيف يعتمدون عليها لتحقيق الأعاجيب والمعجزات في ميادين الإنجاز.... وإعادة عرض التأريخ الإسلامي, أو تحليله, ويوم نتحقق ثانية بروح الفريق كما أراد لنا الإســـلام أن نكون , يوم نتجاوز الفرديات والحساسيات والأنانيات صوب ما هو أكبر وأشمل حينذاك نستطيع أن نضع خطواتنا على الطريق[1].

**رابعاً:** غياب التوحد في الرؤية.. وليس بمقدور فريق من المؤرخين يتجه بعضـهم يميناً ويمضي بعضهم الآخر شمالاً, أن يحققوا الهدف المنشود.. وكيف سيكون العمل الذي يفترض أن يتوحد نسـيجه, كيف سـيكون؟ إذا كان بعض النسـاجين ليبرالياً والبعض الآخر مادياً, وكان البعض الثالث متصـــوفاً, والبعض الرابع إقليمياً والبعض الخامس مصلحياً؟ كيف سيتحقق مشروع يراد منه تقديم تحليل موحد لمجرى التأريخ الإسلامي إذا كان بعض مساحاته منسوجة بالقطن, وأخرى بالصوف وثالثة بالحرير. إنه لأمر مستحيل بل هو مدعاة للسخرية.

---

[1] عماد الدين خليل – حول إعادة كتابة التاريخ – ط1 –دار ابن كثير للطباعة والنشـــر –بيروت– 2005م ص14

**خامســـاً:** وثمة ما يراد أحياناً بمشـــروع كهذا احتواؤه عقيدياً, وتوظيفه من أجل هذه الايديولوجية أو تلك.. وهذا نقيض الموضوعية .. والموضوعية شرط حاسم من شروط البحث العلمي الجاد.. ثم أن محاولات كهذه قد تملك المال والقدرة, ولكنها لا تملك النَّفس الطويل الذي يمكنها من المضـــي في الطريق حتى النهاية... ذلك أنها رهينة لظروف مرحلية ومتغيرات زمنية.. وسرعان ما تتوقف بتحول صيغ معادلات الظروف المرحلية للمتغيرات الزمنية.

**سادساً:** وقد يرتبط بهذا انعدام النية الصادقة وتحويل الدعوة إلى عمل دعائي صرف.. والأعمال بالنيات – كما يقول رسولنا عليه الصلاة والسلام– ولكل أمرئ ما نوى.. وإذا طال الطريق بين النية والفعل, بســـبب ضـــخامة العمل وانفســـاح المدى, فلا تؤمن العواقب, وربما يكتفي بالمظاهر الســـريعة الخاطفة بدلاً من الجوهر المخبوء, صـــعب المنال.

سابعاً: وقد تلعب الحواجز الجغرافية والسياسية بين مؤرخي عالم الإسلام, والتي تتزايد بمرور الأيام, دورها في إعاقة المهمة وعرقلة مضـــيها إلى الهدف المرتجى.. فكلما تنادى حشـــد من المؤرخين.. هنا وهناك, لتنفيذ هذا الطلب المُلَّح, وجدوا في طريقهم من الأســـلاك الشـــائكة والعقبات, ما يجعل تحركهم صـــعباً قاســـياً, ومهمتهم مستحيلة, ويعودون من حيث جاءوا.

ثامناً: يرتبط هذا – أحياناً– نقص ملحوظ في الاختصـــاصـــات وعدم تكمها أحياناً.. فهي قد تتزايد في جانب ما وتشـــح في جانب آخر.. تبرز وتطغى في هذه المرحلة, وتنزوي وتذوى في مرحلة أخرى, والأعمال الجماعية, مالم تتحقق بالتوازن والتكامل والتغطية لكافة الجوانب والمساحات فلن يرجى تنفيذها .. وإعادة كتابة التاريخ الإسـلامي أو عرضـه أو تحليله , مشـروع كبير , فما لم تتبناه وتدعمه مؤسـسـة قديرة على لم الطاقات وتوفير الاختصـــاصـــات المتكاملة وتوازنها.. باء بالفشـــل المحتوم.. ولهذا كان هذا الفشـل المحتوم مصـير عديد من المحاولات التي لا تملك دعماً يمكنها من التكامل ...

تاســـعاً: وما يقال عن هذا يمكن أن يقال عن قلة الإمكانات المادية والفنية لكل مشروع يدَّعي القدرة على العمل بعيداً عن الدعم والإسناد.. والإمكانيات المادية والفنية

ضرورة من ضرورات المشاريع الفكرية الكبيرة, وإلا كنا كمن يرجو من ماكنة ضخ لا تتجاوز العشرين حصاناً أن تسقي مزرعة تمتد مسافاتها إلى مئات الأفدنة وألوفها.

عاشراً: ذلك الإحساس المتزايد بالإحباط , والذي يتراكم إثر فشل كل محاولة وإخفاق كل مشروع بعد أن يمضي خطوات فحسب في الطريق يكبل الإرادة المسلمة من الداخل بالغل الذي يشلها عن التهيؤ, وشحن الطاقة, والانطلاق لتنفيذ الأعمال الكبيرة[1] وما لم نتكاتف لإنقاذ الدعوة من مزيد من الإخفاقات, فإن الإحساس بالإحباط سينزع المبادرة من أيدينا, وسيسلمنا إلى الشلل المحتوم.

وبالتحقق بالبدائل في مقابل هذا كله يمكن أن نضع خطواتنا على الطريق, ونمضي بجد نحو الهدف المنشود. أن يكون رؤيتنا لطبيعة العمل على قدر كبير من النقاء والتكشف والوضوح, وأن نملك منهجاً سليماً للعمل, وقدرات ذكية على البرمجة والتخطيط.. وأن تنمو في سلوكنا وتتغلغل في دمنا روح الفريق كما أراد لنا ديننا أن نكون, هنالك حيث تذوب المصالح الخاصة والتوجهات الفردية والحساسيات الذاتية والأنانيات، وحيث تكون روح الجماعة وحدها هي المؤشر والدليل.

كذلك يتوجب أن تتوحد رؤيتنا وأن يمسك بها قاسم عقيدي مشترك يمنعها من التفتت والتناقص والتصادم، كمنطلق واحد وتوجه واحد ونسيج واحد في العطاء تركيباً وتحليلا[2]. والنية المخلصة الصادقة من وراء العم؛ بل هي كتربة جاذبة إذا ما أريد للمحاولة أن تكون شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤت أكلها كل حين.. وإلا فليس ثمة إلا الشجرة الخبيثة التي ما لها من غرار، تعصف بها ذات اليمين وذات الشمال رياح التشريق والتغريب، وتقذفها عواصف الأهواء والنزعات والميول. أما زوال الحواجز الجغرافية والسياسية، فإننا في عصر السرعة، والاختزال، والاتصالات الخاطفة والآلات الحاسبة، وعصر التواصل الثقافي والإعلامي اليومي، وأن هنالك من القدرات والإمكانات ما يمكن توظيفه لضرب الحواجز وإمكانية العمل كفريق واحد من خلال وسائل التواصل للأعمال الموسوعية والكتابات التاريخية.

---

[1] عماد الدين خليل– مرجع سابق– ص 16

[2] المرجع نفسه – ص17

ومسألة تكامل الاختصاصات وتحقيق التغطية المتوازنة الشاملة لكافة مساحات المشـــروع أمر ليس صـــعب المنال في عصـــر الأكاديمية، حيث يزداد الخريجون والمتخصصون، سنة بعد سنة ويوماً بعد يوم, بمعدل متواليات هندسية وليست حسابية على أية حال... صـــحيح أن هذا التدفق الأكاديمي قد يطرح كميات لا تتضـــمن قدراً طيباً من التميز النوعي، إلا أنها – على كل حال– فرصـــة طيبة لتزايد العناصـــر الممتازة القديرة على الفعل الصادق والتنفيذ الذكي المرسوم.

أما قلة الإمكانات المادية والفنية فهي ولا ريب أقل الموانع شـــأناً؛ لأن إيجاد الشروط المادية الفنية وتوظيفها لخدمة المشروع أمر سهل المنال يسير التحقيق في بلاد تملك الكثير وتقدر على استيراد الكثير.

ويوم أن تتحقق هذه البدائل الإيجابية، وتوضـــع اللمســـات الأولى، وتنطلق الخطوات جادة مسرعة صوب الهدف، يومها لن يكون ثمة إحساس بالإحباط يشل الفاعلية ويكبل الخطى عن الانطلاق.. على العكس فإن الإنجاز الذي ســـتنفذه المحاولة ســـيحقق نوعاً من التســـارع في القدرة على الفعل.. هنالك حيث تختصـــر المسافات وتختزل حيثيات الزمان والمكان[1]

**الشروط الأساسية لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي:**

حتى إذا بلغنا منهج العمل لكتابة تاريخنا الإسلامي, أو إعادة عرضه وتحليله, استطعنا، على ضوء المعطيات آنفة الذكر، ملاحظة حشد من الشروط الأساسية التي يجب اعتمادها وأكثرها أهمية:

1/ التأكد من ضرورة ملاحظة ملامح التفسير الإسلامي للتاريخ من جه القيم الأساسية التي يتمخض عنها تحليل التاريخ الإسلامي نفس، في توجهاته الشمولية من جهة أخرى... والالتزام بمؤشـراتها ومعطياتها كنقاط ارتكاز ومنطلقات عمل، من أجل أن يأتي النسيج متوحداً، ومن أجل تجاوز التضارب والارتطام والتفتت في المعطيات.

2/ يتوجب الالتفات منذ البداية إلى حقيقة أن العمل التاريخي الجاد بحاجة إلى البناة، الذين يملكون الحس النقدي بطبيعة الحال في أكثر منه إلى نقاد.. أن قضـــايا كثيرة في تاريخنا وحضـارتنا لا تزال تنتظر من يكشـف عنها النقاب, أو يعيد عرضـها

[1] عماد خليل– مرجع سابق ص 18–19

بالأسلوب الذي يقدمها كما تخلقت قبلاً .. أما ملاحقة معطيات الآخرين، كشفاً عن خطأ فيها، ودفاعاً عن قيمة ما في تاريخنا وفكرنا، فيبدوا أمراً ثانوياً يجب أن لا يحتل الخط الأمامي. ومع ذلك فإن العملية النقدية، ما دامت تتضمن قدراً من الإنجاز البنائي في جانب من جوانب الفكر أو التاريخ, تغدو جديرة بالممارسة هي أخرى شرط ألا تكون هدفاً بحد ذاتها.

3/ تحقيق قدر من التوازن بين دراسة الجوانب السياسية، العسكرية، وبين فحص وتحليل الجوانب الحضارية، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة أن ينظر إلى المعطيات الحضارية باعتبارها أجزاء متفرقة تنتمي إلى كل أوسع يتضمنها جميعاً ويمنحها معنى وهدفاً.

وليس من الضروري بصدد هذه النقطة, أن يقف الباحثون عند سائر التفاصيل والجزئيات التي تعج بها مصادرنا القديمة, وبخاصة فيما يتعلق بالجوانب السياسية والعسكرية من تاريخنا, وليس من الضروري أن يقع الباحث أسير هذا الحشد الزاخر من النصوص.

ولابد له – إذن– من أن يتجاوز الجزئيات إلا الكليات والوقائع الصغيرة إلى الدلالات الخطيرة, ولا يقف عند حدود النص أو الواقعة, بل يتعداها إلى معناها العميق ودلالاتها الموحية, وحينذاك سيقدر على تحقيق عملية الاختزال والتركيز, إذ إن كل مجموعة من التفاصيل والجزئيات تندرج تحت هذا المعنى أو ذاك, وتمنحنا هذه الدلالة أو تلك، في سياق الحركة التاريخية الأكبر حجماً، ومن ثم تغدو هذه الجزئيات عبارة عن مواد كمية, أو نماذج متشابهة, يمكن اعتماد عدد محدود من عيناتها للتوصل إلى الصيغة البنائية الأكبر للواقعة التاريخية, والتخلص بالتالي , من رام التفاصيل الذي يثير من الإرباك في ذهن القارئ أكثر مما يحقق من سيطرة على الحركة التاريخية وتفهم صيرورتها[1].

4/ الأخذ بأسلوب نقدي رصين في التعامل مع الروايات التي قدمتها مصادرنا القديمة, وعدم التسليم المطلق بكل ما يطرحه مؤرخنا القديم, وإحالة الرواية التاريخية قبل التسليم النهائي بها, ويمكن الإفادة في مجال النقد الخارجي – إلى حد ما– من

[1] عماد خليل– مرجع سابق ص 83–84

علمي (مصـــطلح الحديث) و (الجرح والتعديل) اللذين مورســا على نطاق واســع في عمليات تمحيص الحديث النبوي, ومن كتب التراجم الفنية الحقبة, فما من أمة عنيت بتمحيص مصادر أخبارها وتاريخها كالأمة الإسلامية.

ولابد من الإشـــارة هنا إلى الملاحظة القيمة التي أيدها محي الدين الخطيب, حول هذا الموضــوع؛ فهو يشــير إلى أن تاريخ الطبري الكبير: " لا يمكن الانتفاع بما فيـه من الأخبـار إلا بـالرجوع إلى تراجم رواتـه في كتـب الجرح والتعديل. وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي, ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف. ولا نعرف أمة عن مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها وشـــروط الانتفاع بها, كما عنى بذلك علماء المسلمين وإن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي, ولو تمكنوا من علم ومصـــطلح الحديث, وانســـوا بكتب الجرح والتعديل, واهتموا برواة كل خبر, لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامي, ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار وثمينها, ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها[1].

5/ يقابل هذا بضـــرورة الاعتماد في بناء البحث التاريخي على الواقعة نفســـها دون الوقوع في مظنة اعتماد هياكل مرسـومة مسـبقاً, ووجهات نظر مصـنوعة سـلفاً, ومحاولة تطويع الوقائع وإرغامها على الانســـجام مع هذه الهياكل والوجهات, حتى لو أدى هذا إلى تشـــويه ملامح الواقعة التاريخية, أو إعادة تركيبها, لكي تنســـجم والإطروحات المسـبقة, مما نجده واضـحاً – على سـبيل المثال– في الدراسـات التي تنطلق من المفهوم المادي في تفســـير التاريخ, الأمر الذي أوقعها في حشـــد من الأخطاء والتناقضـات. نجد مثلاً في موقفهم من حركة الرسـول ﷺ فبعضـهم يرى أن المجتمع العربي (في مكة والمدينة) شـهد بداية تكوين مجتمع يمتلك الرقيق, بينما يرى (بيجو لفســـكابا) أن القرآن الكريم يشـــعر بتركيز مرحلة ملكية الرقيق , ويذهب مع (بلاييف) إلى أن المرحلة الإقطاعية هي من آثار اتصـال العرب بالشـعوب الأخرى. هذا ويرى آخرون أن المجتمع الإقطاعي بدأ بالتكوين فعلاً.

---

[1] محب الدين الخطيب–المراجع الأولى في تاريخنا, مجلة الأزهر, المجلد 24, ج 5, صـــفر 1372هـ, ص 210

ومنهم من يرى أن الإسلام يلائم مصالح الطبقات المستغلة الجديدة من ملاك وإرســـتقراطية الإقطاع مثل (كليموفيج) في حين أن البعض مثل (بلاييف) يرى أن الإسـلام المتمثل بالقرآن لا يلائم المصـالح السـياسـية والاجتماعية للطبقات الحاكمة, فلجأ أصحابه إلى الوضع في الحديث لتبرير الاستغلال الطبقي الجديد. وفي حين أن بعضـهم يقول إن الأرسـتقراطية وحَّدت القبائل العربية لتحقيق أغراضـها ويضـطرب الموقف من نشأة الإسلام ذاته, فيذهب (تولستوف) إلى نفي وجود النبي العربي ويعتبره شـخصـية أسـطورية. وبينما يعترف البعض بظهور الإسـلام يذهب (كليموفيج) إلى أن جزءاً كبيراً منه ظهر فيما بعد في مصـلحة الإقطاعيين ونسـب أصـله إلى فعاليات معجزة محمد ﷺ[1].

6/ كما يجب علينا في مقابل هذا وذاك, اتخاذ موقف علمي تجاه معطيات – المسـتشـرقين الغربيين والشـرقيين– على مسـتوى المنهج والموضـوع، وعدم التسـليم المطلق بها أو تجاوزها كلية, لأن هذه المعطيات تتضـــمن الجيد والردئ... الأبيض والأسـود... والموقف الجاد هو الذي يعرف كيف يفيد مما تقدمه الحركة الإسـتشـراقية دون الوقوع في أسرها على حساب الحقيقة التاريخية.

إنَّ مناهج البحث الغربية لا يمكنها بحال أن تقدم تفسيراً معقولاً شاملاً متماسكاً لتاريخنا الإسـلامي, فهي إن نجحت في تفسـير وتقويم التاريخ الغربي, فسـتخفق حتماً في تفسـير وتقويم التاريخ الإسـلامي . ذلك أنها مناهج لا تقوم على أسـاس (متوازن) ينظر إلى القيم الروحية والمادية كعوامل فعالة مشـتركة في صـنع التاريخ, بل على العكس, تسـعى بدافع من المادية أو العلمانية, إلى ترجيح الدافع المادي وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ, بل طمسها أحياناً, وإنكارها أساساً في أحيان ثالثة, كعوامل في صيرورة التاريخ البشري.[2]

7/ ومن أشد متطلبات (إعادة كتابة التاريخ الإسلامي)– أو عرضه أو تحليله– إلحاحاً هي تخريج وتكوين مثقفين معتزين بتاريخهم وأمتهم وحضـارتهم, شـاعرين في

---

[1] عبد العزيز الدوري– تفسـير التاريخ, مقال التاريخ والحاضـر , منشـورات مكتبة النهضـة, بغداد 1963م –ص27

[2] عماد الدين خليل, مرجع سابق, ص .89

قرارة نفوسهم بالاعتداد الثقافي والحضاري على بقية الأمم والتواريخ والحضارات, لا سيما وأن الشرق عامة, والأمة الإسلامية خاصة, تمثل في حضارتها لقاءات معطاءة بين السماء والأرض, وتنبثق – في كثير من الأحيان– عن مصادر عليا للمعرفة والتوجيه, وإن هذه النقطة بالذات هي ما يجب أن يؤكد عليه دائماً في منهج البحث الجديد لكي نغرس في كيان المثقفين مشاعر الاعتداد, وإبعاد أي شعور بالنقص تجاه الحضارات الأخرى, وقطع الطريق على أية محاولة لتعزيز التبعية الفكرية لدى هؤلاء[1].

ثم إن هذه المذاهب الغربية – من جهة ثالثة– عندما تدرس تاريخنا بالذات تتحكم فيها عصبيات شتى ورواسب نفسية ومخلفات ثقافية تاريخية, وأطماع سياسية واقتصادية, وتحزبات دينية مذهبية وأيدولجية وعرقية لكونها نشأت وتبلورت في القرن الذي بلغت فيه حركة الاستعمار القديم للعالم الإسلامي المتعب أوجها.

**سلاح المؤرخ الجديد:**

إنَّ تاريخنا الإسلامي لفي حاجة ماسة إلى طبقة جديدة من المؤرخين يعيدون عرض هذا التاريخ وتحليله بكل حيويته وتدفقه وامتداداته الأفقية والعمودية, وعناصره الظاهرة والباطنة, مما سيتيح – بلا شك– فهماً أعمق لهذا التاريخ, وإدراكاً أشد تركيزاً لعناصر تطوره, ورؤية أكثر وضوحاً لخطوط سيرها ومنعطفها الفاصلة, كما يجب أن لا يقع العاملون في نقل المنهج الجديد للتاريخ الإسلامي تحت وطأة المواصفات المعاصرة في كافة مناحي الحياة البشرية: السياسية والاقتصادية والأخلاقية, والروحية والاجتماعية, لأن هذا من شأنه أن يصيغ رؤيتهم للتاريخ الإسلامي بألوان تستمد تركيبها من واقع عصرنا الراهن, الأمر الذي يفسد موضوعية الرؤية, وبالتالي يصد المؤرخ عن الوصول إلى كنه الوقائع التاريخية التي قد لا تمت بصلة إلى موضوعات العصر الحاضر.

صحيح على المؤرخ أن يستفيد من كل ما يقدمه هذا العصر من علوم وأدوات موصلة, أو مساعدة, على كشف الحقيقة التاريخية, ما كان بميسور مؤرخنا القديم أن يحظى بعشر معشارها, لكن الاعتماد على هذه العلوم وأكثرها ميداني أو تجريبي,

---

[1] المرجع نفسه – ص90

للإعانة على كشف الواقعة التاريخية شيء والتأثير بفلسفة العلم الظنية التخمينية شيء آخر, وما أحدثته من نتائج سيئة في عالمي النفس والمجتمع, في ميداني الضمير والسلوك, شيء آخر قد يجعل المؤرخ أسير مواصفات زمنية نسبية متغيرة تفرض عليه نمطاً من التفكير في تعامله مع حشود الوقائع التاريخية, فلا يراها كما يوجب البحث الموضوعي أن يراها.[1]

فمن المستحسن إزاء ذلك كله أن نضع مؤشرات عمل نقدية, تقوم على نقد الرواية الأساسية لدى المؤرخ القديم، وتصنيف الروايات حسب قوتها وضعفها، ونقد مواقف فلاسفة التاريخ الذين تعاملوا مع تاريخنا ودرسوا جوانب منه وتحديد مدى قرب معطياتهم أو بعدها عن الحقيقة التاريخية, وأخيراً نقد معطيات الحركة الإستشراقية, بميادينها المختلفة , وتحديد المساحات التي يمكن الإفادة منها وتلك التي يجب تجنبها.

## الخاتمة...

تجددت فكرة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي لتجدد الدواعي والمبررات, ذلك أن إعادة كتابة التاريخ هو انعكاس طبيعي لإعادة قراءته, والتاريخ الإسلامي متجدد باستمرار وذلك بسبب ظهور معلومات جديدة وفقاً لظهور مذاهب وفلسفات متطورة وأدوات فكرية جديدة لتحليل وتفسير أحداث التاريخ الإسلامي وتعليله. وقد مر هذا التطور بمراحل تاريخية مختلفة, أظهر فيها المؤرخون أبرز أسباب العلل المباشرة والعامة للوصول للحقائق التاريخية في مجال الرأي والرؤية في المعارف المختلفة.

وهناك أسباب عديدة أعاقت إعادة كتابة التاريخ الإسلامي منها عدم وضوح الرؤية وضعف القدرة على التخطيط وغياب المنهج وعدم القدرة على العمل الجماعي الذي تتضافر فيه الجهود والطاقات للعمل في المشاريع الجيدة في ميادين البحث والفكر والعلم والعمل, بالإضافة لنقص الإمكانيات المادية والفنية وعدم تكامل الاختصاصات.

وثمة شروط أساسية لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي أهمها:

---

[1] عماد الدين خليل, مرجع سابق– ص 92–93

1. ضرورة ملاحقة التفسير الإسلامي للتاريخ والقيم التي يتمخض عنها تحليل التاريخ الإسلامي في توجهاته الشمولية.

2. حاجة التاريخ إلى مؤرخين أكفاء يعرضون الأحداث التاريخية بصورة كاملة قبل الحاجة إلى نقاد ومحللين للتاريخ الإسلامي.

3. ضرورة التوازن بين فحص الجوانب السياسية والعسكرية وبين تحليل الجوانب الحضارية.

4. إعمال النقد الخارجي للنصوص في التعامل مع الروايات التاريخية التي تقدمها المصادر القديمة.

5. الاعتماد على الوقائع التاريخية في بناء البحث التاريخي دون التأثر بمذاهب التفسير التاريخي المؤدلج كالتفسير المادي أو الديني أو غير ذلك مما يؤثر على حياد المؤرخ أو الباحث.

6. اتخاذ موقف علمي تجاه معطيات المستشرقين على مستوى المنهج والموضوع, وعدم التسليم المطلق بها لعدم حيادتهم في تقويم التاريخ الإسلامي, وتخريج باحثين ومؤرخين جدد معتزين بأمتهم وحضارتهم حريصين على بناء تاريخ ثقافي وحضاري للأمة الإسلامية، ويقع عليهم عبء إعادة عرض وصياغة هذا التاريخ الإسلامي وتحليله بكل حيويته وامتداده , مستفيدين من أدوات وعلوم هذا العصر في كشف الحقائق التاريخية.

**المصادر والمراجع:**

**أولاً : المصادر:**

1. ابن النديم– الفهرست– القاهرة, 1348هـ.
2. ابن خلدون– المقدمة تحقيق عبدالواحد وافي– القاهرة, ب ت .
3. البلاذري– فتوح البلدان, لندن 1891م.
4. المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج 1, بيروت, ب ت.
5. ياقوت الحموي, معجم الأدباء, ج 18, طهران 1965م .

**ثانياً: المراجع :**

6. بروكلمان– تاريخ الأدب العربي– الترجمة العربية– القاهرة, 1991م, ج3.

7 جب هاملتون, دراســـات في حضـــارة الإســـلام, الترجمة العربية, بيروت, 1964م

8 روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين , الترجمة العربية, بغداد 1964م.

9 سالم أحمد محل: المنظور الحضاري في التدوين التاريخي, قطر , 1997م.

0 السيد عبدالعزيز سالم – مناهج البحث في التاريخ الإسلامي – الإسكندرية 1966م جزء 2 .

1 شاكر مصطفى, التاريخ والمؤرخون العرب, ج 1, بيروت, 1983م.

2 عبد العزيز الدوري– تفسير التاريخ, مقال التاريخ والحاضر , منشورات مكتبة النهضة, بغداد 1963م

3 عبدالعظيم الديب – المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإســـلامي – سلسلة كتاب الأمة قطر– عدد27.

4 عبدالعليم عبدالرحمن خضـر – المسـلمون وكتابة التاريخ – المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1981م.

5 عماد الدين خليل – حول إعادة كتابة التاريخ – ط1 –دار ابن كثير للطباعة والنشر–بيروت– 2005م .

6 محمد عبدالغني حسن _ علم التاريخ عند العرب – القاهرة 1962م .

7 محمد عبدالكريم الوافي – منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب– بنغازي – جامعة قاريونس ط1 1990م .

8 محمد فتحي عثمان – أضواء على التاريخ الإسلامي–الدار الكويتية للدراسة والنشر– الكويت1969م .

9 محمود إسماعيل: سوسولوجيا الفكر الإسلامي, الدار البيضاء,1981م– ج1.

0 نصر حامد أبوزيد, إشكاليات القراءة وآليات التأويل, المركز الثقافي العربي, ط 7.

**ثالثاً : الدوريات :**

1 أحمد بهاء الدين – إعادة كتابة التاريخ – (متى وأين ولماذا) مجلة العربي العدد 256 ، مارس ، 1980م الكويت.

2. أحمد محمود بدر – تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلي الفترة المعاصرة– مجلة عالم الفكر – أبريل يونيو 2001م .
3. أنور محمود زناتي – تصورات حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي – مجلة البيان – دراسات تاريخية – العدد 347– أبريل– مايو 2001م.
4. عبدالله ناصر – كيف نعيد الأنظار إلي التاريخ الإسلامي – مجلة العربي – الكويت العدد299 السنه 26 ذي الحجة 1422هـ .
5. محب الدين الخطيب–المراجع الأولى في تاريخنا, مجلة الأزهر, المجلد 24, ج 5, صفر 1372هـ,
6. محمود إسماعيل– إشكالية تفسير التاريخ عند المسلمين الأوائل – مجلة عالم الفكر – عدد أبريل يونيو 2001م .

**عرض كتاب ***

**د. عبدالله صالح**

# الخيار الاستراتيجي في: السودان عن طريق المصالحة

سطر البروفيسور محمد ولد لبات هذا الكتاب ونشره بثلاث لغات: العربية اللغة الأم والفرنسية التي تزاحم العربية ثقافة وحضارة بين أهله وفي بلاده موريتانيا؛ واللغة الإنجليزية المتداولة في أروقة مفوضية الاتحاد الأفريقي الذي بعثه وسيطا لتعبيد طريق المصالحة وبالتالي لتيسير طريق السلم الاجتماعي في السودان عقب اندلاع ونجاح الثورة الشبابية السلمية /الأسطورية في القضاء على حكم نظام الإنقاذ و الرئيس المخلوع عمر البشير الموجود حاليا في سجن كوبر الشهير. وقد استهدف القراء في هذه العوالم الثقافية المحاطة لهالة العولمة ليبعث رسالة خطية محددة المعالم وغير محدودة الدلالات من وعن ثورة وشعب وسودان وادي النيل : التاريخ والحدث والإنسان والحديث.

وقبل أن نخوض في متن الكتاب ومحاولة عرضه لا بد من طرح حزمة أسئلة حارقة لفتح شهية القراء من جهة وللتوسع بالقراءة والتأويل الضروريتين لمحاولة فهم الكتاب باعتباره نصا منفتحا على أكثر من حقل وفهم وتأويل. فنقول : كيف ولماذا نفذ أو انغرس الاتحاد الأفريقي في المشهد السياسي السوداني الموار في خضم/حمأة الثورة التي انفجرت كالبركان في شوارع العاصمة القومية الخرطوم في ديسمبر 2018م هل بدعوة من طرف داخلي محدد بعينه ؟ أو من طرف دولي محدد باسمه وحقه ؟ أم بتعاطف جمهوري إفريقي له أعماق وأبعاد إقليمية كانت أم دولية ؟ وهل كان الغرض والهدف هو إشفاق من إجهاض الثورة واستشراء العنف في السودان ودول الجوار؟ أم هو إجلال للثورة والثوار؟ وهل قرأت أو لمحت أو استشرفت مفوضية الاتحاد الأفريقي ملامح نجاح الثورة في اقتلاع نظام الإنقاذ في بلد يستحق المناصرة فهبت للمساهمة في تقنين وتقعيد الأوضاع بمشروع مصالحة تمهد لفترة انتقالية وديمقراطية مستقبلية ؟ هل تقبلت الأطراف السودانية مبدأ الوساطة وحضور وشخصية الوسيط والمبادي والقيم والنهج والمسارات والتوقعات التي طرحها صمن أوراق اعتماده ؟ وهل نجح الوسيط في الجمع – اعترافا وتفاوضا – بين قوى الحرية والتغيير الجامعة لقوى الثورة السودانية وبين "منظومة الأمن والدفاع" التي نحت مصطلحها وقنن حضورها القوي في متن الكتاب وفي قلب الوساطة في المشهد المحلي؟

استهل البروفيسور عمر كوناري رئيس جمهورية مالي الأسبق / رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي الأسبق تقديم الكتاب بالحديث عن السودان : البلد العريق الخارج لتوه – ممزق الأوصال – من سلسلة طويلة من المحن ، بحسبه ، كان آخرها في العام 2011م حين انفصل عنه الجنوب ليشكل دولة قائمة بذاتها. وقد تحدث واصفا بتكثيف دبلوماسي مقصود شخصية الكاتب/ البروفيسور محمد ولد لبات : الخبير الوسيط الميسر والمسهل والمبعوث الخاص لمفوضية الاتحاد الإفريقي ؛ الذي نجح بفضل حنكته وتجربته وروح المسؤولية لديه في التغلب على صعوبات التأقلم مع التباين والنشطي والمفارقات؛ وفي مقاربة دربه في

الوســـاطة حتى (...) تقمص ببراعة واقتدار عباءة الســـارد/القاص ليروي لنا الحكاية المثيرة لتلك الوســـاطة بأسلوب سلس بسيط لكنه شائق . ويستطرد كوناري تقديمه بتقييم حاذق للكتاب حين يصفه بأن النهج والكتاب " يشكل إسهاما قيما في ترسيخ المذهب الأفريقي للوساطة ومرجعا عمليا للاستفادة من تجربة تطبيقية على أرض الواقع ." يقصـــد بذلك الإضـــاءات النظرية والمفاهيمية والمنهجية المتراكبة التي يقدمها الكاتب والكتاب في هذا المسار التاريخي الثوري السوداني المندمج بكلياته في الزمن الأفريقي والزمان العالمي والعولمي.

ومن المهم أن نشـير في مسـتهل هذا العرض إلى أن البروفيسـور لباد الوسـيط الأفريقي قد جاء إلى الخرطوم مسلحا برصـيد معرفي ومعنوي وسـيع وغني : قراءات أكاديمية فاحصـة للتاريخ السـياسـي والثقافي والاجتماعي للسودان وإنصات واع لجدلية التركيب التي تمور وتحتدم في قلب المشهد الراهن وخبرة دبلوماسية بالنزاعات وكيفية الدخول فيها والخروج منها بترتيبات تمهد لزوما للتفاوض والسلام أو الوفاق؛ وإرادة شخصية حديدية معززة بحســـن النية وفوق هذا كله ومن بين أيديه ومن خلفه قوة دفع الاتحاد الأفريقي والمفوضـــية الراغبين جميعا في ترجيح كفة المنظمات الإقليمية في تدبير الشأن الإفريقي لتجسير مشروع الشراكة الجديدة من أجل أفريقيا. وهذا بحق هاجس استراتيجي يشكل قوة دفع دينامي للنجاح.

أوضح بروفيسور لباد الكاتب/الوسيط في الفصل الأول من الكتاب أسباب النزول التي جاءت بالاتحاد الإفريقي عموما والمفوضـية خصـوصـا للدخول في حمأة الشـأن السـوداني الموار عشـرة أيام فقط ومباشـرة بعد سـقوط نظام الاتقاد واعتقال الرئيس المخلوع البشـير وسـط غليان الشـوارع بملايين الشـباب والمتاريس التي أغلقت مداخل ومخارج العاصـمة والتوتر المشوب بالحذر من انفجار الأوضـاع إذا ما حدث أي اصـطدام بين العسـكر والشـباب الثوار المعتصـمين أمام القيادة العامة للجيش الخرطوم . وقد شـكل قرار الاتحاد الأفريقي بالضـغط على اللجنة الأمنية للقوات المسـلحة التي اسـتولت على السـلطة بضـرورة إعادتها للمدنيين حلال خمسـة عشـر يوما حسـب نص القرار رقم 854. وقد نجحت مفوضـية الوسطاء الإفرقية في تمديد المهلة إلى ثلاثة أشهر لإفساح المجال لمفوضية الأمن والسلم بالاتحاد الأفريقي لإيجاد حل عاجل وحازم . ولا ولم يتهيب الكاتب/الوسيط من جسامة وعظم المسؤولية نظرا – بحسبه – إلى عظمة السودان الإنسان والمجتمع والدولة.

اسـتعرض المؤلف في مسـح جغرافي– سـياسـي وبنظر ثاقب تفاصـيل المشـهد السـياسـي والعسـكري والأمني في البلاد . وقد كان حصـيفا جدا في اسـتعراضـه الذي انطوى على تشـخيص دقيق للحالة الراهنة للوقوف على العلل والأســـباب والكوابح والمعارضـــات والمواقف والتكتلات وغيرها من معالم الطريق الواجب التوقف عندها قبل الانطلاق في مســـاعيه لخلخلة الأوضـــاع . والخلخة نهج اســـتراتيجي إن لم تكن هي اسـتراتيجية في حد ذاتها . وقد كان يراقب بحذر بالغ التحركات التي تجري في خضـم الشـارع الثوري المتقد؛ كما كان يقر– بنظر فاحص – تغير تركيبة المجلس العسكري الانتقالي بعد استقالة رئيسه الفريق أبن عوف وتقديم الفريق البرهان وهو أمر يبعث العديد من الرسائل والكثير من الدلالات الصادرة عن المؤسسة العسكرية

والنظام الأمني والدفاعي برمته في حمأة الوضـــع المواز؛ وخاصـــة بعد الظهور المفاجئ والقوي لقوات الدعم السريع في المشهد العام . وأيضا بعدما تأكد للجميع دورها الحاسم في قلب كفة الميزان لصالح قوى الحرية و التغيير وسـقوط نظام البشـير. ولنسـتخلص من كل هذا نجاح الوسـيط في تحديد المعالم الجوهرية للمكونات الأسـاسـية في التركيبة الراهنة : قوى إعلان الحرية والتغيير بتشـكلاتها السـياسـية والنقابية والمجتمع– مدنية ذات الطبيعة المتشـــعبة من جهة؛ و المكون العســـكري والأمني بتركيبته المتينة من جهة أخرى . ولم يغفل الكاتب / الوسـيط أن يذكر الحضـور القوي والمتوتر للحركات المسـلحة التي أقضـت مضـاجع نظام الإنقاذ خلال عقدين من الزمان وأدخلت البلاد في حروب حدودية وعرقية وقبلية ودفع الكل ثمن الحصـــار الدولي بسبب من انتهاكات حقوق الإنسان أو العنف والتقتيل أو غيرها من الأسباب التي جعلت السودان يحتل موقعا غريبا عن تاريخه حين أصبح "أكثر البلدان الأفريقية انتشارا للأسلحة الفردية من شتى الأنواع".

نجح الوسـيط – بادي الرأي – في تحديد المعالم المنهجية والضـرورية جدا لإقرار الاسـتقطاب الثنائي اللازم لتحديد معالم ومسارات الوساطة في المشهد السوداني المتشظي. وقد حزم أمره وحسم اختياره في حصر التفاوض بين قوى إعلان الحرية والتغيير ومنظومة الدفاع والأمن. وشـبه الأمر تشـبيها شـاعريا بليغا بعودة المياه إلى مجاريها الطبيعية في التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق " لينسابا بهدوء في اتجاه واحد على طريق المصـالحة." وبرر موقفه واختياره حين أوضـح أن " هاتين القوتين قد تعاضـدتا في إسـقاط النظام المخلوع . ومن المؤكد أن لهما الفضـل في العمل – إلى حد بعيد – على بعث قوى عسـكرية ومدنية وفكرية وتجميعها لتنصهر في بوتقة الثنائي المقدس : المجلس – الإعلان ". وقد كان الكاتب / الوسيط واعيا بهذا الاختيار من موقعه كممثل للاتحاد الإفريقي الذي كانت صورته قبيحة بل مشوهة في المشهد السوداني بسبب من تطاير أوراق ومعلومات عن تعامله وعدم حياده وعلاقاته المشبوهة مع نظام البشير والإنقاذ. و فرض عليه هذا كله الانشـــغال بأكثر من طاقته وبأكثر من أســـلوب وقناة لإعادة الثقة للمتفاوضـــين والرأي العام من جهة ؛ ولمحاصـرة الأجندة الدبلوماسـية المتناثرة في السـودان بالأغراض والأهواء من جهة أخرى . فما هو السـبيل الأمثل لإنضـاج الوسـاطة في هذا البحر الخضـم من الشكوك والصـعوبات والمتاريس والتصـريحات والبيانات والإشاعات المغرضة؟

في فصل تالي أوضح الكتب منهجية "إنضاج الوساطة" التي استثمر فيها ثقته بنفسه وخلفيته الأكاديمية وخبرته الدبلوماسية التاريخية والمعرفية والروحية لتوضيح وتفسير وتأويل حقيقة مذاهب الوساطة وكنه طرائقها وسبل أجرأتها التي تعترف كلها بأدلة العقل والمنطق وبضـرورة الإنضـاج المتقن مهما كلف الأمر بحسبه من جهد و وقت. فكل عملية وسـاطة تسـتلزم طابعا حيويا لإنجاح العملية متمثلا في أحد أبعادها الأسـاسـية ألا وهو توعية الأطراف وبناء الثقة وتعزيز الإرادة و وضـع معالم على الصـعيد النظري والفكري والمنهجي . وقد

استفاض في توضيح المعالم والمؤشرات والعبر والدلالات الحكمية التاريخية التي ستفاد من مراجعته الدقيقة لمسارات ودروس و وساطات الآباء الروحيين ورموز في الحكم الإفريقي وشؤون السلطة والفكر؛ مثل نايريري ومانديلا وماسيري. وكشف بروح رياضية وتواضع بديع عن الطريق الطويل والخطير للمفاوضات السرية منها والعلنية والتي أدت إلى تطويل وتمطيط عمر الوساطة في بعض المواقف والمنعطفات حتى إنه : ضحى بتقليص ساعات نومه و... وانتهى إلى زيارة المستشفى مرتين وحذره الطبيب ووجه مساعديه بمصادرة هاتفه حفاظا على صحته. ويبدو أن حصر التفاوض الذي نجح في التحول به ومعه إلى شكل منهجي للحوار المثمر بين طرفين أساسيين فاعلين؛ قد يسر له السبيل الأمثل لإنضاج الوساطة من جهة؛ وللسير قدما نحو ترتيب وتقعيد الأسس والضوابط والحصيلة والنتائج المتوقع التوصل إليها. وقد سجل بارتياح نفسي ودبلوماسي قبول الطرفين: المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير لصيغة وتركيبة المفاوضات؛ وخاصة بعدما تأكد لخما بارتياح أن هذه الصيغة سوف تقصي حضور أي طرف أو مجرد شبهة طرف من ممثلي النظام المخلوع . وقد غمض هذا التشدد في الاختيار لهذا النهج التفاوضي الحصري حق العديد من الشخصيات والوسطاء ومنظمات المجتمع لمدني وبعض الأحزاب الصغيرة ، والأخطر: الحركات المسلحة التي انضوت تحت لواء الجبهة الثورية والتي تمتلك سجلا تاريخيا في مناهضة النظام المخلوع .

لخص ولد لبات في مقطع صغير الهدف الاستراتيجي السياسي والإعلامي لكتابه، حين قرر بحزم قائلا " ليس الهدف التاريخي سرد قصة شخصية قد لا تهم القارئ كثيراً، بل الهدف الذي نسعى إليه هو التأكيد على النتيجة الباهرة التي كان لها صدى في المنطقة وفي القارة الأفريقية والعالم، والمتمثلة في اتفاق السابع عشر آب/أغسطس 2019م في الخرطوم " ويتجسد الهدف النجاح في التوصل – بتفويض من مجلس السلم والأمن الأفريقي في سبيل إرساء المركزية الإفريقية – إلى صيغة اتفاق بين السياسيين يكفل إقامة حكم انتقالي يتولى فيه المدنيون الريادة ." ويستند كل هذا الأمر على "المبدأ المقدس الذي يقتضي بأن تسوى مشاكل الإفريقية بأنفسهم ". ويستطرد في موقع آخر " علي أن أعترف دون أي مجاملة ولا محاباة لإخواني السودانيين أني قد تعلمت منهم الكثير في معرض مناصرتي لفكرة قبول الآخر. لم أتعلم منهم فحسب، بل إني كذلك عرفت عنهم الكثير حتى إنهم – وهذا ما يجب علي الإقرار به – عرفوني بنفسي، بمحدودية قدراتي ومواطن ضعفي، خلال الاجتماعات الماراثونية التي عقدتها معهم بدرجات متفاوتة ." وعزز الوسيط اجتهاده بتسجيل الحضور والتشجيع الذي تلقاه من ثلاثة تكتلات داخل السودان : مجموعة الوساطة الأفريقية ومجموعة السفراء الأفارقة المعتمدين بالخرطوم والسفراء العرب غير الأعضاء في المجموعة الأفريقي وتنضاف إلى هذا كله الوساطة الوطنية متمثلة في شخصيات رمزية ومجموعات ومنظمات ساهمت في تفعيل مجهوداته .

استعرض الكاتب في فصل جديد مسارات الوساطة بعد إنضاجها، وقدم الكثير والمثير من المعلومات الحاوية للدقائق والحقائق والعقبات والمزالق والمثبطات وغيرها من الكوابح؛ التي تقف مع رفيقه المبعوث الأثيوبي الخاص السفير محمود درير والسفير محمد بن يعيش رئيس بعثة الاتحاد الأفريقي بالخرطوم، في تجاوزها بحنكة ومهارة وصبر أيوبي منيع وفريد في بابه . وكاد الإعداد للإعلان الاتفاق المرحلي يفشل بعدما قامت قوة عسكرية بفض اعتصام الثوار أمام القيادة للجيش لمنتهى الوحشية في الثالث من يونيو 2019م؛ حيث استشهد عدد كبير من القتلى المدنيين وتفرق الجرحى هاربين أو مفقودين حتى تاريخه. وطفت أو غرقت عدد من الجثث على سطح وضفاف وأعماق النيل في مشهد وظروف روعت الضمير السوداني والإنساني العالمي. ولم تظهر حتى اللحظة تفاصيل تقرير لجنة التحقيق التي شكلتها الدولة للكشف عن حقيقة ما جرى وتحديد الجهات المسؤولة عن ارتكاب هذه الجريمة التي استوقفت مسار التفاوض والحوار. كل هذا وسيف الوقت مسلط على رقبة الوسيط الذي كان ينافخ لتدارك الأمر قبل نفاذ المهلة الزمنية التي حددها الاتحاد الأفريقي من جهة ؛ وقبل ارتداد وانزلاق البلاد برمتها في مستنقع العنف والتمزق والحروب التي تنذر بشر مستطير توسع الكاتب السفير عنده مرارا في التحذير من العراقيل والنتائج في ثنايا السرد بالكتاب.

تم الإعلان في شهر أغسطس عن الاتفاق السياسي بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري في مؤتمر صحفي بعد جهد جهيد كتتويج للحوارات والمفاوضات الماراثونية . وترتب عن هذه الخطوة الشروع في خطوة قانونية أهم وأعتى وهي الإعلان أيضا عن صياغة الوثيقة الدستورية لنظام الحكم وتنسيق العمل بين السلطات الثلاث في الدولة : السيادية و التنفيذية والقضائية خلال الفترة الانتقالية؛ على أساس نظام برلماني سبق للبلاد أن جربته في الماضي القريب.

إن اهم ما يميز هذا الكتاب هو التحليلات الحاوية لبعض الآراء والانطباعات العاطفية والمواقف الذاتية الأشبه – بلغة كرة القدم – بالتمريرات (البينية ) الذكية الحاوية لرسائل ذات مواصفات سياسية وتوصيات وتذكارات وحكم وقسط من المواعظ التي سطرها الكاتب/ السفير/الوسيط بعقل نابه وحدس ذكي وحس أمني وبعد نظر دبلوماسي وذوق أكاديمي رفيع؛ يسمح للقارئ الفطن بالتوقف مرارا وتكرارا عند المحطات والمواقف والرهانات وكذا التحديات، التي تجول عندها وبها وفيها قطار الحوار والتفاوض بالوسيط الأفريقي: من أجل بلوغ الهدف الأسمى المناط بشخصه الرسمي .

كان ميلاد الاتفاق السياسي هو الإعلان لحقيقي لنجاح خيارات ومواقف ومبادئ وأهداف الوساطة الأفريقية وبالتالي لمنهجية " الشراكة الديناميكية " بين مكونات المجتمع السوداني بتشكلاته المتنوعة والمتعددة؛ وبين تدخلات واختيارات ومواقف وتوجهات وحسابات الشركاء الإقليميين والمجتمع الدولي بصفة عامة.

"إن هذا الدرس الذي تعطيه التجربة السودانية للعالم يستحق أن ننحني إجلالا له وأن نتأمله بتأن عندما نحاول حل أزمات مستقبلية ". ويستطرد مستخلصا ومختتما " في هذا الصدد تبدو الدروس المستخلصة من

الوســاطة الأفريقية – بايجابياتها وســلبياتها – جديرة بالاعتبار لأكثر من ســبب. وتملي علينا النزاهة الفكرية واجب التطرق إليها ومساءلتها والإصغاء إلى همساتها المعبرة ".

**انتهى**

**عرض/د. عبدالله صالح سفيان**

**باحث**

***محمد الحسن ولد لبات – السودان على طريق المصالحة – دار عزة للنشر – الخرطوم – الطبعة الأولى 2020م.(423 صفحة**

# الخيار الاستراتيجي في السودان عن طريق المصالحة

## عرض كتاب *

د. عبدالله صالح

سطر البروفيسور محمد ولد لبات هذا الكتاب ونشره بثلاث لغات: العربية اللغة الأم والفرنسية التي تزاحم العربية ثقافة وحضارة بين أهله وفي بلاده موريتانيا؛ واللغة الإنجليزية المتداولة في أروقة مفوضية الاتحاد الأفريقي الذي بعثه وسيطا لتعبيد طريق المصالحة وبالتالي لتيسير طريق السلم الاجتماعي في السودان عقب اندلاع ونجاح الثورة الشبابية السلمية /الأسطورية في القضاء على حكم نظام الإنقاذ و الرئيس المخلوع عمر البشير الموجود حاليا في سجن كوبر الشهير. وقد استهدف القراء في هذه العوالم الثقافية المحاطة لهالة العولمة ليبعث رسالة خطية محددة المعالم وغير محدودة الدلالات من وعن ثورة وشعب وسودان وادي النيل : التاريخ والحدث والإنسان والحديث.

وقبل أن نخوض في متن الكتاب ومحاولة عرضه لا بد من طرح حزمة أسئلة حارقة لفتح شهية القراء من جهة وللتوسع بالقراءة والتأويل الضروريتين لمحاولة فهم الكتاب باعتباره نصا منفتحا على أكثر من حقل وفهم وتأويل. فنقول : كيف ولماذا نفذ أو انغرس الاتحاد الأفريقي في المشهد السياسي السوداني الموار في خضم/حمأة الثورة التي انفجرت كالبركان في شوارع العاصمة القومية الخرطوم في ديسمبر 2018م هل بدعوة من طرف داخلي محدد بعينه ؟ أو من طرف دولي محدد باسمه وحقه ؟ أم بتعاطف جمهوري إفريقي له أعماق وأبعاد إقليمية كانت أم دولية ؟ وهل كان الغرض والهدف هو إشفاق من إجهاض الثورة واستشراء العنف في السودان ودول الجوار؟ أم هو إجلال للثورة والثوار؟ وهل قرأت أو لمحت أو استشرفت مفوضية الاتحاد الأفريقي ملامح نجاح الثورة في اقتلاع نظام الإنقاذ في بلد يستحق المناصرة فهبت للمساهمة في تقنين وتقعيد الأوضاع بمشروع مصالحة تمهد لفترة انتقالية وديمقراطية مستقبلية ؟ هل تقبلت الأطراف السودانية مبدأ الوساطة وحضور وشخصية الوسيط والمبادي والقيم والنهج والمسارات والتوقعات التي طرحها صمن أوراق اعتماده ؟ وهل نجح الوسيط في الجمع – اعترافا وتفاوضا – بين قوى الحرية والتغيير الجامعة لقوى الثورة السودانية وبين "منظومة الأمن والدفاع" التي نحت مصطلحها وقنن حضورها القوي في متن الكتاب وفي قلب الوساطة في المشهد المحلي؟

استهل البروفيسور عمر كوناري رئيس جمهورية مالي الأسبق / رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي الأسبق تقديم الكتاب بالحديث عن السودان : البلد العريق الخارج لتوه – ممزق الأوصال – من سلسلة طويلة من المحن ، بحسبه ، كان آخرها في العام 2011م حين انفصل عنه الجنوب ليشكل دولة قائمة بذاتها. وقد تحدث واصفا بتكثيف دبلوماسي مقصود شخصية الكاتب/ البروفيسور محمد ولد لبات : الخبير الوسيط الميسر والمسهل والمبعوث الخاص لمفوضية الاتحاد الإفريقي ؛ الذي نجح بفضل حنكته وتجربته وروح المسؤولية لديه في التغلب على صعوبات التأقلم مع التباين والنشطي والمفارقات؛ وفي مقاربة دربه في

الوســاطة حتى (...) تقمص ببراعة واقتدار عباءة الســارد/القاص ليروي لنا الحكاية المثيرة لتلك الوســاطة بأسلوب سلس بسيط لكنه شائق . ويستطرد كوناري تقديمه بتقييم حاذق للكتاب حين يصفه بأن النهج والكتاب " يشكل إسهاما قيما في ترسيخ المذهب الأفريقي للوساطة ومرجعا عمليا للاستفادة من تجربة تطبيقية على أرض الواقع ." يقصــد بذلك الإضــاءات النظرية والمفاهيمية والمنهجية المتراكبة التي يقدمها الكاتب والكتاب في هذا المسار التاريخي الثوري السوداني المندمج بكلياته في الزمن الأفريقي والزمان العالمي والعولمي.

ومن المهم أن نشـير في مسـتهل هذا العرض إلى أن البروفيسـور لباد الوسـيط الأفريقي قد جاء إلى الخرطوم مسلحا برصـيد معرفي ومعنوي وسـيع وغني : قراءات أكاديمية فاحصـة للتاريخ السـياسـي والثقافي والاجتماعي للسودان وإنصات واع لجدلية التركيب التي تمور وتحتدم في قلب المشهد الراهن وخبرة دبلوماسية بالنزاعات وكيفية الدخول فيها والخروج منها بترتيبات تمهد لزوما للتفاوض والسلام أو الوفاق؛ وإرادة شخصية حديدية معززة بحســـن النية وفوق هذا كله ومن بين أيديه ومن خلفه قوة دفع الاتحاد الأفريقي والمفوضـــية الراغبين جميعا في ترجيح كفة المنظمات الإقليمية في تدبير الشأن الإفريقي لتجسير مشروع الشراكة الجديدة من أجل أفريقيا. وهذا بحق هاجس استراتيجي يشكل قوة دفع دينامي للنجاح.

أوضح بروفيسور لباد الكاتب/الوسيط في الفصل الأول من الكتاب أسباب النزول التي جاءت بالاتحاد الإفريقي عموما والمفوضـية خصـوصـا للدخول في حمأة الشـأن السـوداني الموار عشـرة أيام فقط ومباشـرة بعد سـقوط نظام الاتقاد واعتقال الرئيس المخلوع البشـير وسـط غليان الشـوارع بملايين الشـباب والمتاريس التي أغلقت مداخل ومخارج العاصـمة والتوتر المشوب بالحذر من انفجار الأوضـاع إذا ما حدث أي اصـطدام بين العسـكر والشـباب الثوار المعتصـمين أمام القيادة العامة للجيش الخرطوم . وقد شـكل قرار الاتحاد الأفريقي بالضـغط على اللجنة الأمنية للقوات المسـلحة التي اسـتولت على السـلطة بضـرورة إعادتها للمدنيين حلال خمسـة عشـر يوما حسـب نص القرار رقم 854. وقد نجحت مفوضـية الوسطاء الإفرقية في تمديد المهلة إلى ثلاثة أشهر لإفساح المجال لمفوضية الأمن والسلم بالاتحاد الأفريقي لإيجاد حل عاجل وحازم . ولا ولم يتهيب الكاتب/الوسيط من جسامة وعظم المسؤولية نظرا – بحسبه – إلى عظمة السودان الإنسان والمجتمع والدولة.

اسـتعرض المؤلف في مسـح جغرافي– سـياسـي وبنظر ثاقب تفاصـيل المشـهد السـياسـي والعسـكري والأمني في البلاد . وقد كان حصـيفا جدا في اسـتعراضـه الذي انطوى على تشـخيص دقيق للحالة الراهنة للوقوف على العلل والأســباب والكوابح والمعارضـــات والمواقف والتكتلات وغيرها من معالم الطريق الواجب التوقف عندها قبل الانطلاق في مســاعيه لخلخلة الأوضـــاع . والخلخة نهج اســتراتيجي إن لم تكن هي اسـتراتيجية في حد ذاتها . وقد كان يراقب بحذر بالغ التحركات التي تجري في خضـم الشـارع الثوري المتقد؛ كما كان يقر– بنظر فاحص – تغير تركيبة المجلس العسكري الانتقالي بعد استقالة رئيسه الفريق أبن عوف وتقديم الفريق البرهان وهو أمر يبعث العديد من الرسائل والكثير من الدلالات الصادرة عن المؤسسة العسكرية

والنظام الأمني والدفاعي برمته في حمأة الوضـــع المواز؛ وخاصـــة بعد الظهور المفاجئ والقوي لقوات الدعم السريع في المشهد العام . وأيضا بعدما تأكد للجميع دورها الحاسم في قلب كفة الميزان لصالح قوى الحرية و التغيير وسـقوط نظام البشـير. ولنسـتخلص من كل هذا نجاح الوسـيط في تحديد المعالم الجوهرية للمكونات الأسـاسـية في التركيبة الراهنة : قوى إعلان الحرية والتغيير بتشـكلاتها السـياسـية والنقابية والمجتمع– مدنية ذات الطبيعة المتشـــعبة من جهة؛ و المكون العســـكري والأمني بتركيبته المتينة من جهة أخرى . ولم يغفل الكاتب / الوسـيط أن يذكر الحضـور القوي والمتوتر للحركات المسـلحة التي أقضـت مضـاجع نظام الإنقاذ خلال عقدين من الزمان وأدخلت البلاد في حروب حدودية وعرقية وقبلية ودفع الكل ثمن الحصـــار الدولي بسبب من انتهاكات حقوق الإنسان أو العنف والتقتيل أو غيرها من الأسباب التي جعلت السودان يحتل موقعا غريبا عن تاريخه حين أصبح "أكثر البلدان الأفريقية انتشارا للأسلحة الفردية من شتى الأنواع".

نجح الوسـيط – بادي الرأي – في تحديد المعالم المنهجية والضـرورية جدا لإقرار الاسـتقطاب الثنائي اللازم لتحديد معالم ومسارات الوساطة في المشهد السوداني المتشظي. وقد حزم أمره وحسم اختياره في حصر التفاوض بين قوى إعلان الحرية والتغيير ومنظومة الدفاع والأمن. وشـبه الأمر تشـبيها شـاعريا بليغا بعودة المياه إلى مجاريها الطبيعية في التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق " لينسابا بهدوء في اتجاه واحد على طريق المصـالحة." وبرر موقفه واختياره حين أوضـح أن " هاتين القوتين قد تعاضـدتا في إسـقاط النظام المخلوع . ومن المؤكد أن لهما الفضـل في العمل – إلى حد بعيد – على بعث قوى عسـكرية ومدنية وفكرية وتجميعها لتنصهر في بوتقة الثنائي المقدس : المجلس – الإعلان ". وقد كان الكاتب / الوسيط واعيا بهذا الاختيار من موقعه كممثل للاتحاد الإفريقي الذي كانت صورته قبيحة بل مشوهة في المشهد السوداني بسبب من تطاير أوراق ومعلومات عن تعامله وعدم حياده وعلاقاته المشبوهة مع نظام البشير والإنقاذ. و فرض عليه هذا كله الانشـــغال بأكثر من طاقته وبأكثر من أســـلوب وقناة لإعادة الثقة للمتفاوضـــين والرأي العام من جهة ؛ ولمحاصـرة الأجندة الدبلوماسـية المتناثرة في السـودان بالأغراض والأهواء من جهة أخرى . فما هو السـبيل الأمثل لإنضـاج الوسـاطة في هذا البحر الخضـم من الشكوك والصـعوبات والمتاريس والتصـريحات والبيانات والإشاعات المغرضة؟

في فصل تالي أوضح الكتب منهجية "إنضاج الوساطة" التي استثمر فيها ثقته بنفسه وخلفيته الأكاديمية وخبرته الدبلوماسية التاريخية والمعرفية والروحية لتوضيح وتفسير وتأويل حقيقة مذاهب الوساطة وكنه طرائقها وسبل أجرأتها التي تعترف كلها بأدلة العقل والمنطق وبضـرورة الإنضـاج المتقن مهما كلف الأمر بحسبه من جهد و وقت. فكل عملية وسـاطة تسـتلزم طابعا حيويا لإنجاح العملية متمثلا في أحد أبعادها الأسـاسـية ألا وهو توعية الأطراف وبناء الثقة وتعزيز الإرادة و وضـع معالم على الصـعيد النظري والفكري والمنهجي . وقد

استفاض في توضيح المعالم والمؤشرات والعبر والدلالات الحكمية التاريخية التي ستفاد من مراجعته الدقيقة لمسارات ودروس و وساطات الآباء الروحيين ورموز في الحكم الإفريقي وشؤون السلطة والفكر؛ مثل نايريري ومانديلا وماسيري. وكشف بروح رياضية وتواضع بديع عن الطريق الطويل والخطير للمفاوضات السرية منها والعلنية والتي أدت إلى تطويل وتمطيط عمر الوساطة في بعض المواقف والمنعطفات حتى إنه : ضحى بتقليص ساعات نومه و... وانتهى إلى زيارة المستشفى مرتين وحذره الطبيب ووجه مساعديه بمصادرة هاتفه حفاظا على صحته. ويبدو أن حصر التفاوض الذي نجح في التحول به ومعه إلى شكل منهجي للحوار المثمر بين طرفين أساسيين فاعلين؛ قد يسر له السبيل الأمثل لإنضاج الوساطة من جهة؛ وللسير قدما نحو ترتيب وتقعيد الأسس والضوابط والحصيلة والنتائج المتوقع التوصل إليها. وقد سجل بارتياح نفسي ودبلوماسي قبول الطرفين: المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير لصيغة وتركيبة المفاوضات؛ وخاصة بعدما تأكد لخما بارتياح أن هذه الصيغة سوف تقصي حضور أي طرف أو مجرد شبهة طرف من ممثلي النظام المخلوع . وقد غمض هذا التشدد في الاختيار لهذا النهج التفاوضي الحصري حق العديد من الشخصيات والوسطاء ومنظمات المجتمع لمدني وبعض الأحزاب الصغيرة ، والأخطر: الحركات المسلحة التي انضوت تحت لواء الجبهة الثورية والتي تمتلك سجلا تاريخيا في مناهضة النظام المخلوع .

لخص ولد لبات في مقطع صغير الهدف الاستراتيجي السياسي والإعلامي لكتابه، حين قرر بحزم قائلا " ليس الهدف التاريخي سرد قصة شخصية قد لا تهم القارئ كثيراً، بل الهدف الذي نسعى إليه هو التأكيد على النتيجة الباهرة التي كان لها صدى في المنطقة وفي القارة الأفريقية والعالم، والمتمثلة في اتفاق السابع عشر آب/أغسطس 2019م في الخرطوم " ويتجسد الهدف النجاح في التوصل – بتفويض من مجلس السلم والأمن الأفريقي في سبيل إرساء المركزية الإفريقية – إلى صيغة اتفاق بين السياسيين يكفل إقامة حكم انتقالي يتولى فيه المدنيون الريادة ." ويستند كل هذا الأمر على "المبدأ المقدس الذي يقتضي بأن تسوى مشاكل الإفريقية بأنفسهم ". ويستطرد في موقع آخر " علي أن أعترف دون أي مجاملة ولا محاباة لإخواني السودانيين أني قد تعلمت منهم الكثير في معرض مناصرتي لفكرة قبول الآخر. لم أتعلم منهم فحسب، بل إني كذلك عرفت عنهم الكثير حتى إنهم – وهذا ما يجب علي الإقرار به – عرفوني بنفسي، بمحدودية قدراتي ومواطن ضعفي، خلال الاجتماعات الماراثونية التي عقدتها معهم بدرجات متفاوتة ." وعزز الوسيط اجتهاده بتسجيل الحضور والتشجيع الذي تلقاه من ثلاثة تكتلات داخل السودان : مجموعة الوساطة الأفريقية ومجموعة السفراء الأفارقة المعتمدين بالخرطوم والسفراء العرب غير الأعضاء في المجموعة الأفريقي وتنضاف إلى هذا كله الوساطة الوطنية متمثلة في شخصيات رمزية ومجموعات ومنظمات ساهمت في تفعيل مجهوداته .

استعرض الكاتب في فصل جديد مسارات الوساطة بعد إنضاجها، وقدم الكثير والمثير من المعلومات الحاوية للدقائق والحقائق والعقبات والمزالق والمثبطات وغيرها من الكوابح؛ التي تقف مع رفيقه المبعوث الأثيوبي الخاص السفير محمود درير والسفير محمد بن يعيش رئيس بعثة الاتحاد الأفريقي بالخرطوم، في تجاوزها بحنكة ومهارة وصبر أيوبي منيع وفريد في بابه . وكاد الإعداد للإعلان الاتفاق المرحلي يفشل بعدما قامت قوة عسكرية بفض اعتصام الثوار أمام القيادة للجيش لمنتهى الوحشية في الثالث من يونيو 2019م؛ حيث استشهد عدد كبير من القتلى المدنيين وتفرق الجرحى هاربين أو مفقودين حتى تاريخه. وطفت أو غرقت عدد من الجثث على سطح وضفاف وأعماق النيل في مشهد وظروف روعت الضمير السوداني والإنساني العالمي. ولم تظهر حتى اللحظة تفاصيل تقرير لجنة التحقيق التي شكلتها الدولة للكشف عن حقيقة ما جرى وتحديد الجهات المسؤولة عن ارتكاب هذه الجريمة التي استوقفت مسار التفاوض والحوار. كل هذا وسيف الوقت مسلط على رقبة الوسيط الذي كان ينافخ لتدارك الأمر قبل نفاذ المهلة الزمنية التي حددها الاتحاد الأفريقي من جهة ؛ وقبل ارتداد وانزلاق البلاد برمتها في مستنقع العنف والتمزق والحروب التي تنذر بشر مستطير توسع الكاتب السفير عنده مرارا في التحذير من العراقيل والنتائج في ثنايا السرد بالكتاب.

تم الإعلان في شهر أغسطس عن الاتفاق السياسي بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري في مؤتمر صحفي بعد جهد جهيد كتتويج للحوارات والمفاوضات الماراثونية . وترتب عن هذه الخطوة الشروع في خطوة قانونية أهم وأعتى وهي الإعلان أيضا عن صياغة الوثيقة الدستورية لنظام الحكم وتنسيق العمل بين السلطات الثلاث في الدولة : السيادية و التنفيذية والقضائية خلال الفترة الانتقالية؛ على أساس نظام برلماني سبق للبلاد أن جربته في الماضي القريب.

إن اهم ما يميز هذا الكتاب هو التحليلات الحاوية لبعض الآراء والانطباعات العاطفية والمواقف الذاتية الأشبه – بلغة كرة القدم – بالتمريرات (البينية ) الذكية الحاوية لرسائل ذات مواصفات سياسية وتوصيات وتذكارات وحكم وقسط من المواعظ التي سطرها الكاتب/ السفير/الوسيط بعقل نابه وحدس ذكي وحس أمني وبعد نظر دبلوماسي وذوق أكاديمي رفيع؛ يسمح للقارئ الفطن بالتوقف مرارا وتكرارا عند المحطات والمواقف والرهانات وكذا التحديات، التي تجول عندها وبها وفيها قطار الحوار والتفاوض بالوسيط الأفريقي: من أجل بلوغ الهدف الأسمى المناط بشخصه الرسمي .

كان ميلاد الاتفاق السياسي هو الإعلان لحقيقي لنجاح خيارات ومواقف ومبادئ وأهداف الوساطة الأفريقية وبالتالي لمنهجية " الشراكة الديناميكية " بين مكونات المجتمع السوداني بتشكلاته المتنوعة والمتعددة؛ وبين تدخلات واختيارات ومواقف وتوجهات وحسابات الشركاء الإقليميين والمجتمع الدولي بصفة عامة.

"إن هذا الدرس الذي تعطيه التجربة السودانية للعالم يستحق أن ننحني إجلالا له وأن نتأمله بتأن عندما نحاول حل أزمات مستقبلية ". ويستطرد مستخلصا ومختتما " في هذا الصدد تبدو الدروس المستخلصة من

الوســاطة الأفريقية – بايجابياتها وســلبياتها – جديرة بالاعتبار لأكثر من ســبب. وتملي علينا النزاهة الفكرية واجب التطرق إليها ومساءلتها والإصغاء إلى همساتها المعبرة ".

**انتهى**

**عرض/د. عبدالله صالح سفيان**

**باحث**

***محمد الحسن ولد لبات – السودان على طريق المصالحة – دار عزة للنشر – الخرطوم – الطبعة الأولى 2020م.(423 صفحة)**